

شهاب غانم في بستان طاغور

قراءة في منجزه الإبداعي

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع في دار الكتب - صنعاء

(373) لسنة 2014م

- اسم الكتاب: شهاب غانم في بستان طاغور.
- إعداد: عبدالحكيم الزبيدي.
- الطبعة: الأولى 1435هـ/2014م
- الناشر:

مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب
والفنون

صنعاء



مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون

صنعاء

المؤسس: د. عبدالولي الشميري

سنة التأسيس: 1416 هـ الموافق 1995م

الترخيص: 1995/230م

الموقع على شبكة الانترنت

(www.ebdaa.com)

البريد الإلكتروني

(shamiri@y.net.ye)

صنعاء: ص . ب (15127)

تلفون: (009671371391) فاكس: (009671371392)

مكتب القاهرة

تلفون: (002023024830) فاكس: (002023040783)

www.shemiry.com

shemery@shemery.com

موقع موسوعة الأعلام

www.al-aalam.com



تقديم

هذا الكتاب ليس ملفاً تعريفياً بالشاعر الدكتور شهاب غانم، فهو عَلمٌ غني عن التعريف، ولكنه إلمامةٌ عجلَى ببعض القراءات النقدية التي تناولت مجموعات غانم الشعرية، والشهادات الشعرية التي قيلت فيه كشاعر أثبت على مدى أربعة عقود أو أكثر أنه ابن بار للقصيدة العربية في مختلف فضاءاتها، والقصائد التي قيلت فيه كإنسان فنان، وحاولت إدراك العلاقة الفلسفية فيه بين الإنسانية والفن.

ينتمي شهاب غانم إلى دوحتين بأدختي العظيمة أهلتاه لأن يكون اسماً له حضوره الأدبي المتميز، فهو أولاً نجل الشاعر الكبير محمد عبده غانم صاحب المجموعات الشعرية الكثيرة، وصاحب أول رسالة دكتوراه في اليمن والخليج، والتي أصل من خلالها لشعر الغناء الصنعاني من زوايا مختلفة.

وهو ثانياً صوت شاعري عصري ينتمي لمشروع الشعر العربي في مختلف مظهراته، بدءاً بالبوح الشعري، ومروراً بالتناولات النقدية التي يحاول فيه رصد تطورات القصيدة العربية، وانتهاءً بإسهاماته الواضحة والمتميزة في ترجمة عيون الشعر العربي إلى لغات أخرى.

وبين هاتين الدوحتين نما شهاب غانم وترعرع، وأورق وأزهر، وأعطى وأثمر، وقَدَمَ منجزه الفكري ثرياً، يلتقي فيه جمالية الفن ورسالية الفكر، وعلى مدى عقود كانت أمزان يراعه تنبت واحة هنا، وتزدرع حديقة هناك، وتمد شأبيب عطائها عوالم متنوعة من التفرد والإبداع.

ولأنَّ تجربة غانم الكتابية سمت بنبل غاياتها إلى الأفق الإنساني، وتجاوزت في أدائها المتنوعة الفردية والمحلية إلى آفاق أكثر رحابة؛ فقد احتفت بها الأقاليم المشربنة إلى عوالم الإبداع، من مختلف الأقطار العربية ورأت فيها ما يعزّز مسيرة

القصيدة العربية الأصيلة، ويفتح أمامها آفاق التلقي والانتشار، ويجعل منها رسالة نبيلة ومقدسة تسعى ما وسعها الجهد في الحفاظ على هوية الأمة في واحدةٍ من أخص خصوصياتها، ألا وهو جانب الفكر والثقافة.

في هذا الكتاب مرايا عربية من مصر وسوريا ودول الخليج، ولبنان واليمن والمغرب العربي، وغيرها عكست بعض الأضواء التي وصلت إليها من تجليات هذا النجم المبدع السائر في فلك الكلمة الجميلة، وقد حاول الدكتور عبدالحكيم الزبيدي لملمة هذه المرايا في فضاء واحد يعكس تجربة غانم على سعتها وتنوعها وثرانها سعيا إلى الوقوف بالقارئ الكريم على بعضٍ من مقامات التجلي والإبداع فيه.

د. عبد الولي الشميري

رئيس مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون

صنعاء

أغسطس 2014م

مقدمة

د. عبد الحكيم الزبيدي*

الشعر ديوان العرب، الذين لم يتركوا الشعر منذ عصر الجاهلية حتى العصر الحديث، لأن الإبل لم تترك الحنين، كما ورد في الأثر: (لن تترك العرب الشعر حتى تترك الإبل الحنين). ومصادق هذه المقولة أننا لا نرى نظم الشعر مقتصرًا على الأدباء أو الذين يعملون في مجال اللغة والأدب. ومن هنا فليس عجباً أن نرى طبيباً أو مهندساً أو طياراً ينظم الشعر ويؤلف الدواوين، فالشعر ليس حكرًا على أحد دون أحد، وما صاحب مهنة أولى به من صاحب مهنة أخرى.

نقول هذا القول في مقدمة لكتاب يضم بين دفيته مقالات نقدية عن شاعر متمكن، نشأ في بيئة علم وشعر وأدب. ولكنه لم يختَر الأدب مهنة بل اختار الهندسة والاقتصاد والإدارة لتكون مهنته، بينما ظل وفيًا للشعر يهرب إليه من شواغل الحياة للتعبير عن خلجات نفسه وخفقات قلبه، ونفثات صدره، فأغنى المكتبة العربية بفيض من الشعر الذي ترتاح إليه النفس ويضطرب له الفؤاد، وتقبل عليه النفس.

إن تجربة الشاعر الدكتور شهاب غانم تمتد قرابة خمسين عاماً، وإصداراته الشعرية تجاوزت العشرة دواوين. وقد حصل في مسيرته الشعرية على العديد من الجوائز المحلية والدولية، آخرها جائزة الشاعر طاغور. ومن حقه علينا أن نحتفي بهذه التجربة، وأن نكرمها بإصدار كتاب يجمع بعض ما كتب عنه من مقالات نقدية تقيم تجربته الشعرية، وتضعه في المكانة اللائقة به بين شعراء العربية عموماً وشعراء دولة الإمارات خصوصاً.

* شاعر وباحث من دولة الإمارات.

إن أهم ما يميز تجربة شهاب غانم - في رأيي ورأي كثيرين ممن تناولوا شعره بالدراسة في هذا الكتاب - هو توفيقه بين القديم والجديد، بين التراث والمعاصرة. فقد استطاع أن يمزج في شعره بمهارة وحذق بين الحداثة التي لا تجنح إلى التعمية أو الغموض، وبين التراث الذي لا يقع في رتابة التقليد؛ فجاءت تجربته الشعرية في مجملها، محملة برياح التجديد في الفكرة والتناول، مع التمسك بالأصالة وأهم ما يميزها في شعره: الإيقاع الموسيقي الذي لم تخل منه حتى قصائده التفعيلية.

أما من حيث المواضيع، فإن مما يتميز به شعر شهاب غانم أيضاً، هو جمعه بين الهم الشخصي الخاص، وبين الهم العام، بل كثيراً ما نراه يمزج في قصائده بين الخاص والعام، كما في قصيدته عن لبنان التي بدأها بالتغزل وأنهاها بالأسى لمأساة لبنان. ويميزه أيضاً تلك الروحانية التي نجدها في كثير من قصائده، وهو ما يشي بنفس مقبلة على الله، محبة للإنسانية وللسلام، تحمل الحب لكل البشر على اختلاف أجناسهم ومللهم. ولعل هذا مما يقرب المسافة بينه وبين الشاعر العالمي طاغور الذي حصل الدكتور شهاب مؤخراً على جائزة تحمل اسمه. وقد جاء عنوان هذا الكتاب (شهاب غانم في بستان طاغور) مستوحى من هذه المناسبة ومن التشابه في الاهتمام بين الشاعرين، وقد استعزناه من عنوان قصيدة للشاعر الدكتور حسن الأمراني أهداها للدكتور شهاب بمناسبة حصوله على هذه الجائزة.

إن هذا الكتاب يأتي تحية متواضعة للشاعر شهاب غانم، نقول له من خلالها: إننا نحبك ونقدر تجربتك الشعرية الجميلة التي أثريت بها مكتبة الشعر العربي، ونحن أحن أن نحتمي بك في وطنك، وأن نبارك لك احتفاء العالم بك.

هذا الكتاب لا يشمل كل ما كتب عن شهاب غانم، ولكنها مختارات، حرصنا فيها على تتبع تجربته الشعرية منذ بداياتها، حتى صدور أعماله الشعرية الكاملة. على أننا آثرنا أن

نبدأ القسم الأول بالمقالات التي تناولت ديوان (مائة قصيدة وقصيدة)، لأنها المختارات التي انتقاها الشاعر نفسه لأفضل قصائده من وجهة نظره، وجاءت المقالات التي كتبت عنها شاملة لتجربته الشعرية في مجملها. ثم رتبنا المقالات الأخرى حسب الدواوين بدءاً بالأقدم صدوراً ثم الذي يليه وصولاً إلى ديوان الأعمال الكاملة. ثم أفردنا القسم الثاني للمقدمات التي كتبها الشعراء لبعض الدواوين، وقد رأينا أن نفرد بها بقسم خاص لأن طبيعتها تختلف بعض الشيء عن طبيعة المقالات النقدية.

ثم خصصنا القسم الثالث لكلمات التكريم التي ألقيت في إثنينية الشيخ عبد المقصود خوجة، وقد أفردناها بقسم خاص أيضاً نظراً لطبيعتها التي تميل إلى التقريظ والثناء مع ما في بعضها من لمحات نقدية.

وقد كانت النية في البداية أن يشمل الكتاب تجربة الشاعر شهاب غانم في ترجمة الشعر من الإنجليزية وإليها، فللشاعر حوالى عشرين ديواناً من الشعر المترجم، نصفها بالإنجليزية والنصف الآخر مترجم إلى العربية، ولكن كثرة المقالات التي تناولت الشعر، جعلتنا نضرب صفحاً عن ذلك، حتى نتيح المجال لاستيعاب معظم ما كتب عن تجربته الإبداعية في الشعر. وعسى أن يتاح لنا في قابل الأيام أن نعد كتاباً آخر حول ترجماته وكتبه النثرية الأخرى.

ونظراً لكثرة ما كتب عن الشاعر شهاب غانم، فقد خصصنا القسم الرابع من الكتاب لمقتطفات من شهادات الأدباء والشعراء والنقاد، ممن لم نستطع لضيق المساحة أن نورد كلماتهم كاملة. ثم خصصنا القسم الخامس من هذا الكتاب للقصائد التي أهداها أصدقاؤه الشعراء له، وبدأنا بأحدثها وهي تلك التي كتبت تهنئة له بمناسبة فوزه بجائزة طاعور العالمية، ثم أوردنا مقتطفات من قصائد أخرى أهديت للشاعر خلال مسيرته الشعرية، من شعراء إماراتيين وخليجيين وعرب.

و لأننا أردنا أن يكون هذا الكتاب مرجعاً للباحثين والدارسين؛ فقد ألحقنا به عدة ملاحق، شملت السيرة الذاتية للشاعر، وقائمة بمؤلفاته الشعرية والنثرية، بالإضافة إلى ترجماته للشعر. ثم أردنا كشفاً ببليوجرافيا ببعض المراجع التي تناولت تجربته الشعرية، وقد اقتصرنا على ما وصل إليه علمنا من الكتب والدوريات، وأهملنا الصحف والمجلات لكثرتها.

وقبل الختام ينبغي أن نؤكد على عدة أمور، منها: أن ترتيب المقالات قد خضع لاعتبارات تنسيقية لا علاقة لها بمكانة الكاتب، ولكلّ منهم نكن التقدير والإجلال. الأمر الآخر هو أن بعض هذه المقالات قد كتبت خصيصاً لهذا الكتاب، ولكن معظمها مما سبق نشره في الكتب النقدية أو المجلات الأدبية أو الصحف السيّارة. على أننا تصرفنا بعض التصرف اليسير في المقالات التي سبق نشرها، وذلك بحذف ما يتعلق بالتعريف بالشاعر أو سرد بعض مؤلفاته، أو بعض الاستطرادات التي لا يخل حذفها بالفكرة أو بالموضوع؛ وذلك حرصاً على الاختصار وعدم التكرار.

وأخيراً فإننا نأمل أن نكون قد أدينا بعض الواجب تجاه الشاعر الكبير الدكتور شهاب غانم، وأن نكون قد رددنا عليه التحية بأحسن منها، كفاء ما قدم من أدب صادق، سائلين الله تعالى أن يمتعه بالصحة والعافية وأن يبارك في عمره، ليواصل عطاءاته الإبداعية المتميزة.

العين: في شعبان

سنة 1435هـ

يونيو 2014م

تجربة شهاب غانم الشعرية

التصوير الفني في شعر شهاب غانم

د. عدنان حسين قاسم*

تتميز الصورة الشعرية عند شهاب غانم بما تتميز به الصورة عند الشعراء الرومانسيين العرب الذين علا صوتهم بعد الحرب العالمية الأولى أو قبل ذلك بقليل. ولعل لغة التركيز الوجداني، هي لغة الدلالة غير المحدودة، بما تتطلبه من غنى في الخيال وغازرة في العاطفة وغنائية موسيقية وفيرة. ومن أكثر النماذج الشعرية عنده غنى بالموسيقى قوله في قصيدة "سير ينادا":

ياحبيبي لا تقل إنني أغالي
أو بأنني شاعر خصب الخيال
بل فتى قد شفه وقع النصال
ليس يأسو جرحه غير الوصال
فترقق يا منى النفس بحالي

فالأسطر الشعرية جاءت على بحر الرمل بما فيه من حركة نغمية راقصة، أخصبتها حركة التوازي في كلمات القوافي بالإضافة إلى حركة الروي المكسور التي تتيح مجالا لإخراج النفس الحبيس، وكان لحروف المدّ واللين التي بلغت سبعة عشر صوتاً تأثير في الكشف عن تلك العواطف الغامرة. كما كان لمناجاة الحبيبة بأداة النداء (يا) المسندة مرة إلى (حبيبي) ومرة أخرى إلى (منى النفس) تأثيرها. وقد تخللت هذه الأسطر صور استعارية مثل (خصب الخيال - شفه وقع النصال - ليس يأسو جرحه غير الوصال) تساندت مع العناصر الأخرى فوسعت من حدقة خيال المتلقي وهيأته إلى مزيد من التفاعل.

* ناقد وأكاديمي من فلسطين. المقالة من بحث بعنوان: التصوير الفني في الشعر الإماراتي المعاصر - مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الإمارات- مج 11، ع 1 (أكتوبر 1995م) - ص 164 - 2004م.

وبحاول الشاعر شهاب غانم أن يحوّر التشبيهات المطروقة والسلوكية بنقل ملكيتها، عن طريق صياغتها على نحو جديد، وكأنها تُبدعُ لأول مرة كما وردت في قصيدته "البحث":

ويا قدحا بابلي الرحيق

ويا نجمة فذة في البريق

وراء غيوم الدجى تختفي

فقد شبه محبوبته بالقدرح، والنجمة، وهو تشبيه مألوف لكن التراكيب اللغوية التي صبّ فيها ذلك التشبيه هي التي منحت الصور طرافتها وجدتها؛ فقد أتى بالقدرح والنجمة (وهما مشبه به) على هيئة منادى، وتعامل معهما وكأنهما حقيقتان خارجيتان موازيتان للمشبه. ولم يتوقف عند هذا الحد بل سار في اتجاه تأكيد هاتين الحقيقتين؛ فوصف القدرح بـ(بابلي الرحيق) والنجمة بـ(فذة في البريق) ليضيف إلى الإيحاءات المصاحبة لهما عوامل جديدة؛ فلفظة (بابلي) تستحضر معها كل ما تكتنزه الحضارة البابلية، وأما النجمة فقد أعطاهما ما ينمي أخص صفاتها لتصل إلى أوج اكتمالها فقال: (فذة في البريق)، ومن أجل أن يؤكد واقعية المجال الجديد قال: (وراء غيوم الدجى تختفي)، وهي جملة نحوية فيها تقديم للفضلات على الفعل والفاعل ليشرع المتلقي بأن الاختفاء يزول مع زوال الليل.

وإذا كان الشعراء الرومانسيون العرب من أمثال إبراهيم ناجي ومحمود حسن إسماعيل وأحمد زكي أبو شادي، قد استعانوا بمصطلحات الصوفية ومفرداتها وأحوالها، فإن هذه الروح الصوفية قد تسربت على استحياء إلى بعض القصائد الغزلية عند شهاب غانم في مثل قوله في قصيدته "الأمواج":

ياحبيبي

يا أغاريدي وطبيبي

هات أفداح الهوى شهداً مذوّب

أنا ظمآن فناولني لأشرب

لا تدع كأسِي بعد اليوم تتضب

وتتبدى بصمات الروح الصوفية من خلال المفردات: (حبيبي - أقداح - الهوى - شهذا
مذوب - ظمان - لأشرب - كأسى) والسكر مصطلح صوفي، وهو حالة يهيم فيها
العاشق المريد في عملية الوصال الروحي مع المعشوق الأعظم، وكان لموسيقى هذه
الأسطر دور في نقل المتلقي للعيش في مثل هذه الحال.

وتبدو النزعة الصوفية على نحو أكثر جلاء في قصيدته "حلول":

منذ أن أصبحت جزءاً من حياتي

أصبح الجزء هو الكل

... فقد أصبحت ذاتي

لا تخالي أنني أهذي بإحدى شطحاتي

ربما كنا بجسمين.. وما بينهما الأيام تجتاح ببحر وفلاة

ربما كنت أنا مخشوش الوجه.. وتزهو فيك أحلى القسمات

إنما أنت هنا.. في داخلي

.. في خفقات القلب

.. في نبض الشرايين

وفي الأنفاس تجري في لهاتي

فأنا أنت !!!

وعلى الرغم من أن هذه القصيدة لا ترقى - من الناحية الفنية - إلى مستوى قصيدة
"الأمواج" إلا أنها أكثر منها اقتراباً إلى عالم المتصوفة. ولعل العنوان "حلول" من أعظم
ممتلكات الصوفية؛ فالحلول فناء في المطلق، وبمقتضاه يصير الروح الصوفي إناءً
للأشياء كلها، يقول ابن عربي: "وكانت الحقائق التي جمعها الإنسان متبددة في العالم
فناداها الحق من جميع الجهات فاجتمعت فكان من جمعتها الإنسان، فهو خزائنها، فوجه
العالم مصروفة إلى هذه الخزانة الإنسانية". وفي هذا يقول النفري: "وإن خرجت (الإنسان)
من اسمك وقعت في اسمي". كما أن الصور التي تكوّن بنية هذه القصيدة تشير - على

نحو لا لبس فيه - إلى التفكير الصوفي مثل: (إنما أنت هنا .. في داخلي - في خفقات القلب - في نبض الشرايين - وفي الأنفاس تجري في لهاتي) ففيها يتوحد العاشق مع المعشوق، ويصبحان كونا. كما استخدم الشاعر مصطلحات الصوفية (أصبح الجزء هو الكل/ فقد أصبحت ذاتي/ فأنا أنت).

ولم يخل التصوير الشعري عند شهاب غانم من الغموض، ومن المعروف في تاريخ الآداب الإنسانية أن الشعراء الرومانسيين كانوا أول من نحا هذا المنحى. ولكنه لا يصل حد التعنيم وانقطاع التوصيل كما هو الحال عند الحداثيين. وتعد قصيدة "الحلم المراوغ" أنموذجا لذلك الغموض:

ومذ لاح في الأفق لون اللظى

رحت أخبط بوابة الدهر شوقاً

بكلتا يدي...

فتأبى

وأمضي أدق

فتأبى... وآبى

فحتى متى يستمر العناد؟

فيا شمعة القلب

هل صرت مزلاج بوابة الدهر؟

هل بت أنت السياج؟

وقد كنت نبض الشرايين في قبضتي

فقد اتسم الخيال الذي جبلت فيه الصورة المركبة الأولى (ومذ لاح في الأفق لون اللظى/ رحمت أخبط بوابة الدهر شوقاً/ بكلتا يدي..) - بالشطط وإن لم يكن الأمر كذلك فكيف يمكن أن تكون محبوبته بوابة الدهر؟ وكيف يمكننا أن نتقبل أن تكون (مزلاج بوابة الدهر) أو (أنت السياج)، وإن كانت الصورة الشعرية (وقد كنت نبض الشرايين في قبضتي)

مقبولة لأنها تشير إلى توحيدهما على الطريقة الصوفية في الحلول. ويبدو أن عنوان القصيدة - فيما ذهب إليه التشرحيون البنيويون - يلقي أضواءه، فتبدو هذه الصورة أحلاماً لا تخضع لمنطق عقلي، كما أسهم ازدحام هذا المقطع بالصور في تعقيد الدلالات وغموضها.

ويلجأ الشاعر شهاب غانم إلى تقانة تعدد المشبه به في الصورة التشبيهية، فتمتد لتستغرق مقطعاً كاملاً من القصيدة، كما هو الحال في قصيدته "راقصة الجليد":

تتزلجين

كريشة تنساب في كفّ الرياح

كالطير مبسوط الجناح

كالجدول الرقاق بالماء الفراح

كالقطر فوق الورد يجري عند ميلاد الصباح

وقد شكل كل وجه من هذه الوجوه التشبيهية الأربعة حالة أو وضعاً من أوضاع المشبه ليزداد تعرف المتلقي إليه، ولم يقدم الشاعر هذه الصورة التشبيهية على نحو ساذج ولكنه طعمها ببعض الصور الاستعارية التي تثري الدلالات وتخصب عطاءها الإيحائي، مستخدماً في ذلك وسيلتين رئيسيتين استخدمهما الشعراء الرومانسيون، وهما: التشخيص والتجسيم، مثل: (كف الرياح - ميلاد الصباح).

وتجدر الإشارة إلى أن المعادل الخارجي غالباً ما يكون مظهراً من مظاهر الطبيعة، وهو ما يؤكد النزعة الرومانسية عند الشاعر، تلك النزعة التي تعشق الطبيعة في مثل المفردات: (ريشة - الرياح - الطير - الجناح - الجدول - الماء - القطر - الورد - الصباح).

وإذا كان الشعراء الرومانسيون العرب قد اشتدت - عندهم - حالات الحزن فإن الشاعر شهاب غانم قد أوغل، في بعض مبدعاته الشعرية، في هذا الاتجاه حتى حدّ الاقتراب من

الواقعية الطبيعية التي تركز جهودها الإبداعية على تناول الجوانب المظلمة من الحياة.
ولعل قصيدته "صوت في العتمة" تمثل هذه السمات:

تخنقني رائحة الليل المتعفن حولي
تخنقني البسمات الصفراء للزجة
يخنقني الصمت المستشري...
الصمت المتعفن في صدري
يخنقني.. يخنقني.. يخنقني

وقد صب الشاعر هذا القتام في صور شعرية مركبة، تعددت أبعادها، واختفى فيها الجامع بين أبعاد هذه الصور، ساندها أسلوب التكرار (تخنقني) على نحو جعلها أكثر تشاؤماً، وأعطاه طابعاً جنائزياً. وقد شكَّلت كل جملة نحوية في هذا المقطع صورة استعارية جزئية، نبعت من الفعل المضارع بدلالته على الديمومة واستمرارية الحدث. وتضافرت كل هذه الجزئية لتصنع مجتمعة الحالة الشعورية التي رافقته إبان عملية الإبداع.
وأفاد الشاعر - كذلك - من التقانات السينمائية القائمة على أساس فن المونتاج أو أسلوب القص واللصق كما في قصيدته "خاطر مزلزلة":

في وقت لا يبلغ مقدار دقيقة
بل يوشك ألا يكفي المرء ليلع ريقه
فغر الزلزال شدوقة
ومضى يبتلع الآلاف يمينا وشمال
مدرسة تنبض بالأطفال
غابت في أحشاء الزلزال
بيت الله
في وسط صلاة
في أحد شقوق الزلزال تحطم

وتوارى بين الفكين
في غمضة عين
عُرسٌ في لحظات أصبح مآثم
بين الانقراض
أجساد تتلوى
امرأة تصرخ
شيخ يتألم
رجل ينزف
طفل يرضع جثة أم ماتت من يومين

هذه مجموعة من الصور المجازية تساندها مجموعة من المناظر التي رسمت على الحقيقة. وهي أشبه ما تكون باللقطات السينمائية التي يجمع بينها المونتاج الذي يسعى إلى الربط بينها بالمجاورة، لأن خيطاً من المشاعر المشتركة يضمها في طاقة موحدة. والذي يلفت النظر هو غياب أدوات الربط بين الجمل النحوية التي تحمل هذه الصور، فبدت كل صورة منها وكأنها مستقلة عن غيرها. بالإضافة إلى ذلك نجح الشاعر في صب الصور في قالب حكائي أضفى عليها سمة التشويق. ويكون بهذا قد جمع تقانات السينما وأسلوب السرد القصصي؛ فأحدثت تأثيرها. كما كان للصور الاستعارية دورها في إذكاء الإحساس بالألم وإرباء الهول في نفوس المتلقين، منها: (فغر الزلزال شدوقه - مضى بينتلع الآلاف - مدرسة تنبض بالأطفال/ غابت في أحشاء الزلزال..).

ويبدو أن الجمع بين تقانات السينما والرسم قد أصبح سمة أسلوبية عند شاعرنا، خاصة في مجال الفواجع في مثل قصيدته "المذبحة قبل الأخيرة":
أشلاء القتلى ..

في كل طريق جسدٌ مذبوحٌ لفتاة

جُرِّدَ من كل ملابسه السفلى ..
.. بطنٌ مبقورٌ لامرأة حبلى ..
.. رأسٌ من عنقٍ مذبوحٍ يتدلى ..
.. وأصابعُ طفل تبرز من أكوام الطين
كما لو كانت تستجد بالملكوت الأعلى
فتمر عليها الجرافات
تقفوها كالأختام نعال السفاحين

وتجدر الإشارة إلى أن ما يميز الصور الشعرية في هذه القصيدة هو ذكر بعض التفاصيل التي تضيف دلالات جديدة تجعل الصور أكثر تأثيراً، وأكبر ضغطاً على نفوس المتلقين. فالمنظر الأول: (جسد مذبوح) ، ولكن الشاعر تقدم خطوة فقال: (لفتاة)، لأن المرأة المذبوحة أقوى على استدرار العواطف. ومن أجل أن يبلغ بالتعبير قمة الاستثارة قال: (جرد من كل ملابسه السفلى). وفي صورة ثانية (بطن مبقور)، ثم أتمها ليكون المنظر أكثر ترويعاً فقال: (لامرأة حبلى) ..

وقد غصت مساحة اللوحة المرسومة بأشلاء القتلى وأجساد المذبوحين وبطنون الحبالى المبقورة، والأعناق المذبوحة التي تتدلى، والجرافات التي تدوسهم، فبلغت المأساة أوجها. ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر شهاب غانم في بناء صوره الشعرية المفارقات التصويرية، وهي تقوم على إبراز التناقض بين طرفين "واستتكار التفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض الاتفاق فيما واقعه الاختلاف". وقد سبقه إلى استخدام المفارقات التصويرية عدد من الشعراء المعاصرين في مقدمتهم الشاعر الكبير عمر أبو ريشة في قصيدته "النسر" والشاعر بدر شاكر السياب في رائعته "أنشودة المطر". وكانت قصيدة شهاب غانم "بيروت 82" قد بُنِيَتْ على أرضية تلك المفارقة:

بيروت الحسنة المعتادة أن تسترخي تحت الانغام
أمسّت لا تجد مكاناً لتنام

إلا فوق الألغام
أو تحت جحيم النابالم
بيروتُ المعتادةُ أن تحيا تحت عناقيد الكرم الذهبية
باتت لا تحيا إلا تحت القنبلة العنقودية
والقنبلة الفوسفورية
وسعير الأحقاد الصهيونية

لقد رسم الشاعر صورتين لمدينة بيروت، أولهما قبل العدوان الإسرائيلي على لبنان سنة 1982 م ، والأخرى بعد أن تم ذلك العدوان. في الصورة الأولى بيروت (تسترخي تحت الأنغام - تحيا تحت عناقيد الكرم الذهبية). وفي الأخرى بيروت (تنام فوق الألغام - تحت جحيم النابالم - تحت القنبلة العنقودية - والقنبلة الفوسفورية - وسعير الأحقاد الصهيونية).

ونجح الشاعر في إبراز الصورة الحزينة المخيفة التي عاشتها بيروت إبان ذلك الهجوم الإسرائيلي المتوحش على لبنان، واستطاعت القافية بمكوناتها الصوتية (الميمية الساكنة أو المنتهية بهاء السكت) أن تنقل الحالة النفسية التي اعترت الشاعر في تجربته الإنسانية إلى المتلقين وأن تنقل عدواه إليهم. فالقافية الميمية تتم عن كتمان النفس وأما هاء السكت فهي توحى بانقطاعه.

ومن الأدوات الفنية التي استخدمها الشاعر في رسم صوره الشعرية - الاستعارة الرمزية، وكان الشاعر إيليا أبو ماضي أول من استخدمها على نحو شكلت في شعره سمة أسلوبية في مثل قصائده: "التينة الحمقاء - الحجر الصغير - دودة وبلبل..)، ومن أبرز قصائد شاعرنا الإماراتي "خاطر دوحة":

حين تجف بأغصاني الأوراقُ
ويودعني ظلي الوارف حتى لا يبقى منه باقُ
يضرب مني الخطابون الساقُ
لكني قد أغدو مقعد بستان يحتضن العشاقُ

أو نافذة يتسرّب منها الإشراق
أو تُصنّع من خشبي الأوراق
فثُخّطُ قصائد حب فيها أو بعضُ رسائل أشواق
أو أمسي في مدفأة حطباً للإحراق
فأبثّ الدفء الدفّاق
وأحس بأني حتى في لحظة إعدامي مخلوق خلاق!

وتعتمد الاستعارة الرمزية: "على تمثيل الفكرة بشكل قصصي أو حوارى، يقدم فيه الشاعر شخصيات رامزة كالطيور والحيوانات والأشياء، ويهدف منها إلى تمثيل فكرة مجردة، بأسلوب تصويري ليس مستهدفاً لذاته، وإنما يكون للتعبير عن الفكرة التي يستشفها القارئ بسهولة".

وعلى الرغم من أن هذا النمط من النقائات البنائية تغلب عليه التعبيرات على الحقيقة فإنه لا يخلو من التراكيب المجازية، مثل: (يودعني ظلي - مقعد بستان - يحتضن العشاق..). كما أن الموقف الدلالي - على نحو عام - يستشف استشفافين، لأن كل هذه النثرية المادية تتجرد من كثافتها وتغدو معاني وأفكاراً، وأزعم أن القافية القافية ترعق زعيقاً عالياً وكأنها ترمي إلى رفع الصوت الداخلي للدوحة (الشاعر) من الأعماق، فلو حاول القارئ أن يصيخ السمع للقوافي (الأوراق - باق - الساق - العشاق - الإشراق - الأوراق - أشواق - للإحراق - الدفّاق - خلاق) لأدرك هذه الحقيقة، وربما يكون لتسكين تلك القافية أثر في إبراز هذه الدلالة الافتراضية على قاعدة الإيحاء.

يلعب باللغة كطفل: قراءة في نص (بخبوخ)

سامح كعوش*

لعبة اللغة لا يتقنها إلا الشعراء لأنهم أبناء الحياة، والحياة موضوع اللغة، واللغة مرآتها، ومستودع أسرارها، والشعراء الذين يلعبون باللغة، هم من أول من اعتاد بناء اللغة، بتقنيات كتابية عالية، في السرد والحوار والوصف وحتى البرهان، كما في نقدها بنيوياً وتفكيكياً عبر إحالتها إلى مرجعية قائمة بحد ذاتها، ومستقلة حتى عن كاتبها نفسه، وهي التي تكشف عن أدق تفاصيل تكوينه الشعوري الداخلي، أكان واعياً بهذه التفاصيل أم لم يكن، في حبه وكرهه، وفرحه وحزنه، ورضاه وغضبه، وميله إلى الآخر موضوع هذا الشعور ونفوره منه.

ولعبة اللغة التي يمارسها الشعراء، هي لعبة الخفاء والتجلي كما يصنفها الدكتور كمال أبو ديب، في الكتاب الذي يحمل العنوان نفسه، وهي لعبة الكتابة في أبعادها الأجمل، وتحولات تشكيلها مبنى ومعنى، في (خرشة) الشعراء وتخريبهم الجميل لعناصر إسنادها الفعلي والاسمي معاً، في محاولتهم تحفيز العبارة اللغوية على القول، ودفعهم إياها إلى مساحات الكشف، وحذف إطناب هذا القول وحشوه اللغوي الزائد عن حاجة ما يريد القلب أن يقوله، في علاقات إنسانية شفيفة وبسيطة حد جمالها المفرط الحساسية، وغرابة موضوعاتها الخارجة على مألوف الشعر والشعراء. يقول الدكتور شهاب غانم في قصيدته (بخبوخ) التي كتبها لحفيدته الصغيرة:

وسَطْتُ الدرهم فوق الكف اليسرى

ونفختُ عليه

ووضعتُ عليه الكفَّ الأخرى

قلتُ لها: قولي (بخبوخ)

* ناقد وشاعر فلسطيني، ولد في لبنان عام 1969م، يعمل في الإمارات. المقالة منشورة في كتاب: رؤى وردة المعنى، دار كنعان، دمشق، 2009م.

قالت: بحبوح"

كأن الشاعر يعود بقرائه إلى مرحلة الخفاء المادي والتجلي الشعوري الوجداني والإنساني، المرحلة التي افتتحتها الطفلة بالقول، مسبقاً بفعل طرد ونبذ تمثل بعبارة (نفخت عليه) وفعل إخفاء تمثل بعبارة (وضعت عليه الكف الأخرى)، وهي المرحلة التي عاشتها البشرية النبيلة في علاقاتها الطفلة بالمال (الدرهم)، قبل أن يتسبد فيفسد جماليات الكون والحياة، والعلاقات الإنسانية البشرية، وكأن بنية اللغة تتشكل تبعاً لمزاج الشاعر شهاب غانم، ففي الكلمة الصغيرة كفاثلتها الطفلة اختزال جمالي تتمثل في استطاعة القلب الشاعر على القول الشعري المبدع، في علاقة المفردة (بحبوح) بكل من الحب والبوح، في انزياح طبيعي أقره لاوعي الشاعر الداخلي وانحياز إلى حروفية مريحة تردد حرف الحاء، حاء الحب، حاء البوح، حاء الحياة، وحاء حنان الشاعر الجد تجاه حفيدته الصغيرة الملاك، بدل الحروف الثقيلة التي خاب خطابها الخائي، نسبة لحرف الخاء الوارد في المفردة (بخبوخ)، في عجز وعي الكبار عن التقاط حساسيات اللغة وعلاقتها بالحياة، كما يفعل الشعراء والأطفال الملائكة، فالكبير يقول للصغيرة (قولي بخبوخ) وترد عليه الصغيرة بنطقها الأسلم طبقاً لمنظومة أخلاقية داخلية تفرضها سمات الشاعر الإنسان في شهاب غانم، وترفضها المنظومة الاجتماعية البيثولوجية التي اعتادت قول (بخبوخ) فأقرتها شريعة الحفيدة الطفلة (قالت: بحبوح).

الطفلة التي كانت دون العامين، علمت الجد لعبة اللغة، لعبة الحياة، وفتحت كفيها على واقع أجمل، يترك في العينين أثر الدهشة وعلى الثغر يترك ابتسامة وضحكات بريئة، والطفلة تعيد سؤالاً أزلياً رده البشر منذ عرفوا الجشع، والرغبة في الامتلاك، منذ قتل قابيل أخاه، وخان بروتوس قيصرًا، يقول شهاب غانم في قصيدته، قصته مع الحفيدة والدرهم، وشيطان الأسطورة الشعبية العربية (بخبوخ):

"فتحت الكفين

أين الدرهم؟ ... أين؟"

ويعتمد شهاب غانم أن يشير خفية إلى مكان آخر افتراضي لا تكشفه علاقات اللغة الشعرية في ظاهر النص، فالدرهم بين الكفين ولا، وهو في اللاوعي انتساب الإنسان إلى المادة في حقيقة حاجته وفقره وعوزه، ولكنه في النص سر اللعبة ومفتاح الكشف، ينزاح به الشاعر عن المعنى والمكان الأول، ليحفر له في اللاوعي الجماعي مكاناً ثانياً، ومعنى بديلاً من خلال استحضار حقل دلالة المفردة (الغياب) وإبدال مرجعيتها المتعلقة بالحزن والهم والغم، لتصير سبباً لفرح حفيدته الطفلة وضحكها البريء المعبر، الحافل بدلالات الرمزية الراهية في الشعر والحياة.

فالدرهم غاب، وضحكت الطفلة لهذا الغياب، بينما يبكي ملايين البشر اليوم لمثله، و(البخبوخ) السحري استطاع أن يخفي سبب خلاف بشري أزلني، وسبب تعب وشقاء يومي لإنسان حاضرننا الموبوء، وأن يزرع مكانه ابتسامة على ثغر ابنة العامين، يقول الشاعر:

غاب بلمحة عين

ضحكت .. والتمعت دهشتها في العينين

كانت - يحفظها المولى - دون العامين

(بخبوخ)

وتوارى درهمنا المنفوخ

أي حب وحنان يحمله هذا القلب الشاعر، يشاكس في اللغة وبُحْمَلُها ما لا تحتل ليفجر طاقات الإحساس فيها، فتعود حية وقائلة، في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وبنفسه أولاً، بل أي هم شعري يترجمه النص الرائي في معاناة البشرية برمز لغة رقيقة، ولكن تحفل بالمعاناة لما يعنيه هذا الإخفاء المادي، والمعنوي أصلاً، في فهم الشعراء لعلاقتهم بالآخرين وبالحياة، فالطفلة هنا (الهنوف) حفيدة شهاب غانم، تكتب شكلاً آخر لهذا التجلي الإنساني الحقيقي، ويكتب الشاعر بقلمها وسحر حضورها الطفل نصّه الذي يلهو بكلمات اعتادتها الأذن وردّها الفم تكراراً في تاريخ الرواية والمخيلة العربية الشعبية كأن علاقة هذا التخيل بالمادة تنحصر في الدرهم أو كأن الدرهم يختزل كل الحضور الإنساني في حضوره المادي المجرد فتأتي طفلة بنت عامين لتلغي هذا الحضور وتستبدله بمقال

إنساني جمالي في مقام إنساني أكثر جمالاً ولغة، طفلة سمتها البراءة والنبيل والجمال
الأخلاقي والخُلقي لا الخُلقي الشكلي، يقول شهاب غانم:
راحت تحضر دميّتها الضخمة ذات الثوب الجوخ
وضعتها في كفيّ
وقالت: (بحبوح)

وكأن الدمية استبدال الدرهم بإنسان، وكأن الطفلة تكمل لعبتها لتصل بها إلى نهاياتها التي
تُعري النزعات الغريزية عند البشر، في رمزية لعبة خفاء الدمية بعد الدرهم وانتقال الإسناد
الفعلي في التركيبة اللغوية للنص من موقع الشاعر كفاعل إلى موقع الطفلة كفاعل،
واستبدال حضور الشاعر بموقع هامشي يؤكد حضوره كمضاف في ياء ملكيته في عبارة
(وضعتها في كفي) في ما يشبه قصد إخفاء سلطة الشاعر على النص، لتحضر الطفلة
فاعلة في تغيير مسار النص نحو نهايات لا يقبلها منطق النص نفسه، كتأكيد لفعل خفاء
الراوي وتجلي المضمون الإنساني النبيل، لمفردات الحاء الحانية الحنونة الروحية والحرّة،
صعوداً نحو قمة اللعبة اللغوية وختامها المسك، بالقول (هذي الدمية أحلى) أحلى، أحلى،
أعلى، أعلى، نحو الفرد تحلق الطفلة الملا، لتعلن على لسان جدها، الشاعر نفسه:

قلت أراوغ، في صوت مبحوح،
هذي الدمية أحلى من أن تخفى،
يا روح الروح.

فينومينولوجية التشكيل التخيلي بين التفسير والتأويل في نص شهاب غانم

د. نبيل قصاب باشي*

(1)

توطئة

يخضع نص الدكتور شهاب غانم لقراءة سيميائية يتعانق ويتفارق فيها مصطلحان أصوليان حدثان، تعاورهما الموروث الديني والموروث البلاغي والنقد الحدثي على حد سواء، هما مصطلحا التفسير والتأويل؛ فالتفسير لغة أصله من الفسر وهو البيان اللفظي، واصطلاحاً يعني بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم وأحكامه وهو ما يعرف بعلم التفسير عند الأصوليين؛ وأما التأويل فهو لغة من آل يؤول أي صار؛ واصطلاحاً كما حده الفقهاء هو "إبداء احتمال في اللفظ مقصودٍ بدليل خارج عنه". وزاد غيرهم أن التأويل يقتضي صرف المعنى عن الظاهر بدليل. وعليه فإن التفسير مقصور على توضيح المعنى اللفظي، والتأويل مقصور على توضيح الهدف أو ما يرمي إليه الكلام.

ونرى هاهنا أن نخضع مصطلح التفسير في الأدب لبيان معاني ألفاظه ومضامينه، ولطالما عالج نقادنا البلاغيون في موروثنا الأدبي مسألة ثنائية اللفظ والمعنى ومعايير تفضيل أحدهما على الآخر؛ أما مفهوم التأويل في علم البيان والنقد الأدبي الذي شاع مصطلحه في موروثنا البلاغي، فقد كان له مساحة واسعة في النقد الجمالي الفني لدى نفر غير قليل من نقادنا، كان أبرزهم عبد القاهر الجرجاني فيما نظّر وأصّل⁽¹⁾؛ حتى كان له السبق في إرساء مفهوم السيميولوجية الهرمينوطيقية التأويلية قبل أن يؤصل لها الحدثيون الغربيون بعشرة قرون من تاريخ علم الأدب والجمال.

* شاعر وناقد سوري، ولد في حماة عام 1953، يعمل في دولة الإمارات. نشرت المقالة في مجلة (الإمارات الثقافية)، العدد (6)، أكتوبر 2012م.

(2)

التشكيل التخيلي في نص شهاب غانم بين التفسير والتأويل

إن قراءة التشكيل التخيلي في شعر د. شهاب غانم قراءة فينومينولوجية (Phenomenology) من الناحية الأفقية (Syntagmatiques) يعني أن المعنى الذي يختزله التشكيل التخيلي في شعره ينحو منحى القصد المتجذر بالماهية المنطقية التي تبحث عن المعنى الأبستمولوجي ودلالاته المنطقية؛ ولكننا في الوقت نفسه سنحاول أن نقرب من سيميولوجية المعنى الهرمينوطيقي التأويلي في نص الشاعر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن الشاعر هاهنا ليس معنياً بتفسير ما أبدعه؛ إذ إنه يفقد بذلك خاصية نصوصه الشعرية؛ وهذا عمل مناف لعبقرية الإبداع.

بداية لا بد من القول: إن النص الكلاسيكي عموماً في منجز الدكتور شهاب غانم سوف ينأى بنا عن المفهوم الجمالي للمجاز الكلي (الحدثي)؛ لأن منظومة النص الكلاسيكي بوجه عام، والنص التفعيلي المتأطر بنمطية الكلاسيك بوجه خاص، تنصرف نحو مفهوم المجاز البلاغي النمطي الذي ينصب في الكشف عن جماليات اللغة في نقد النصوص لا في نقد الأنساق، كما هو في المجاز الكلي الذي يعدّ الركن الأساس فيما يعرف بالنقد الثقافي الذي يعتمد الكشف عن الأنساق المضمرّة المتضافرة من عناصر دينامية متميزة، تتفاعل مع المحيط الثقافي الخارجي تفاعلاً سحرياً، يرسم العقلية الثقافية وذائقتها الجمالية.

وطالما حاول الشاعر أن يقدم دلالاته من خلال "معنى المعنى" ليكون أقرب إلى جمالية المعيار الهرمينوطيقي التأويلي؛ لكنه طالما كان يجنح منساقاً في كثير من الأحيان إلى المعنى نفسه، في غلالة من الصور الشعرية التي يموسقها الإيقاع في النص الكلاسيكي موسقة نمطية في إطار من وحدة الوزن والقافية، وغالباً ما كان تشكيكه الفني ينصهر انصهاراً فوتوغرافياً (Graphic) يلقط الحدث عن كذب فيقدمه تقديماً طبق الأصل في حضرة الموضوع، أو ما يمكن وسمه بالمعنى أو بتأطير العلاقة بين الدال

والمدلول لتكون قابلة للتفسير لا للتأويل من جهة؛ ولتكون حَدَثِيَّة لا حَدَاثِيَّة من جهة أخرى؛ ومن ذلك مثلاً نص (البداية والنهاية):

كانت الأرضُ والسمواتُ رتقا	فأرادَ الرحمنُ للجمعِ فتقا
فترامتْ كواكبٌ ونجومٌ	وشموسٌ في الكونِ غرباً وشرقاً
والمجراتُ في بحارِ بلايينِ سنيينِ	بسرعةِ الضوءِ.. غرقى
ويسمونهُ انفجاراً كبيراً	إنما في النظامِ جلٌّ ودقاً
ههْنُ سبعُ فسدرٌ مُنتهاها	عرشٌ مَنْ أوجدَ الوجودَ وأبقى
هذه الأرضُ قطرةٌ في محيطٍ	يترامى في اللانهايِ دفقا
وهي ليستْ سوى ترابٍ وماءٍ	وكذاك الأنامُ أصلاً وعرقاً
ثم يطوي اللهُ السماواتِ طياً	كسجلاً ويُرجعُ الكونَ رتقا
وإذا الأرضُ قبضةً في يدِ الجبارِ يوماً	والكونُ يُسحقُ سحقاً
ثم يأتي يومُ القيامةِ حتماً	ويكونُ الحسابُ عدلاً وحقاً

فنحن هنا أمام نص ينضح بالمعاني الجاهزة نضحاً، في إطار واضح من التفسير لا التأويل؛ والشاعر هاهنا لا يتغور في هرمينوطيقية المعنى، فهو يقدم لنا توصيفاً أبستمولوجياً علمياً من جهة، وعقدياً دينياً من جهة أخرى لخلق الكون؛ أشار إليه الشاعر بالقول: "ويقول بعض العلماء من غير المسلمين في بعض نظرياتهم الحديثة إنهم يظنون أن العالم بدأ بانفجار كبير، وأن الكون في توسع؛ ولكنه في النهاية سيعود كما بدأ، فسبحان الله".

إن المعنى العام للنص هاهنا صورة طبق الأصل في حضرة الموضوع القرآني الذي يندرج تحت منظومة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، في إشارته لماهية الكون نشأة وخلقاً ونهايةً، وفي حضرة موضوع مصائر البشر عند الله، حيث الحشر والحساب والجزاء... إن النص الشعري هنا ينقل توصيف الحدث نقلاً فوتوغرافياً، لا نلمس فيه تأزماً فنياً جمالياً بين الدال والمدلول، أو بين علائق بلاغية حَدَاثِيَّة تتصهر فيها اللوحتان التعبيرية

والتخييلية، بحيث تتشابه فيهما العلامات السيميائية بالحدس الفينومينولوجي الذي يتغور بنا في استكناه الدلالة، واستكشاف إشارات المختبئة وراء دوالها ومدلولاتها.

إنَّ معيارية المعنى في النص الكلاسيكي ليست عيباً فنياً - في المطلق - إنَّ استطاع المبدع أن يُقدِّمها في معيارية فلسفية جمالية، ذات طرافة أو بصمة إبداعية تترك في نفس المتلقي إدهاشاً، جرَّاء خَلْقها خَلْقاً ينحو منحى الانزياح في كسر المألوف من سياق معيارية المعنى، مثلما هو في مُنجزٍ نَفَرٍ غير قليلٍ من المبدعين كالمتنبي، أو كالمأثور من عيون الشعر العربي التي يتناقل درر معانيها المتلقون على مر الدهور والعصور.

وأزعم أن طائفة من الفرائد الشعرية في منجز "الدكتور غانم" شارفت مثل هذا الانزياح في معيارية المعنى من مثل قوله متعشقا:

لعينيك دفءٌ بل جحيمٌ يُذِيبُنِي متى كانَ مِنْ ماءٍ يشبُّ حريقُ؟
فيا حلوة العينين لا تظلمي فتىً بعينيك سكرانٌ وليس يفيقُ
رأى الموتَ في عينيك عذباً مذاقُهُ فمن أيِّ عينٍ تأمرينَ يذوقُ؟
كأنِّي فَرَّاشٌ في المصابيح حتْفُهُ ويسعى إليها جاهداً ويتوقُ

تتشابه هاهنا ثنائية المتضادات بين الماء والجحيم على مستوى السطح الأفقي مع السطح العمودي الذي نلمسه بوضوح في ثنائية متضادية أخرى هي الحياة والموت، وإن كانت الثانية تبدو لنا مضمرة.. نرى أن هاتين الثنائيتين تمنح الدلالة الكلية جمالاً فنياً لا يخلو من صدمة المفاجأة بلذة المعنى في جحيم عيني معشوقة الشاعر الذي ذاب كالماء احتراقاً؛ فإذا الماء العذب حريق ذو دفء عذب، وإذا الموت في هذا الجحيم ذو مذاق عذب أيضاً، بل انتهى بحال العاشق إلى شوق للاحتراق بمصابيح عينيها، فغدا كالفرش الذي تهاوى مشتاقاً إلى نار هذه المصابيح المحرقة طالباً لذّة الحتف في جمال عينيها المُسكرتين.

وفي شعر د. غانم فرائد وقلائد قد انزاحت فيها معيارية المعنى انزياحاً رفيعاً لم يعدم طرافة المعنى رغم بساطته وعفوية صوغه وصياغته؛ وهذه نماذج منها:

أرتلُ فيك أشعاري جميعاً كأنك في الحسانِ خلقت فردا
ومالي لستُ أجني غيرِشوكِ ولا أجني مع الأشواكِ وردا؟
وكيف تذيقي مرأً و صاباً وأنتِ جُبِلتِ يا مولايَ شهدا؟
بحارُ هواكِ جزرٌ بعدَ جزرٍ! وكنتُ رضيئُها جزراً ومداً

ولاجرم أن الغنائية الشعرية الغالبة على نصوص الشاعر، قد منحت معانيه المصوغة من معجم الحياة لغةً بسيطةً، تذوبُ إلى حدٍّ مدهش في شاعرية فذة مائزة، نلمسها في ملامح متعددة من عناصر الجمال الفني الذي يتضافر فيه الأصالي مع الحدائي، في رسم لوحةٍ تشكيلية يتماهى فيها التفسيرى مع التأويلى، والحسى بأنواعه مع المجرد، والظاهر مع المضمّر، أي المعنى التفسيرى مع معاني المعنى التأويلية التي تحجب خلف إشاراتِها الأنساق المضمرة؛ وهذا نموذج منها:

خفتتُ صبغةَ الأغاريدِ والألوانِ فيها.. لم تبقَ إلا الحزينةُ
شابَ شعري وشعر عشتي ولكنْ لم تزلْ مهجتي بكم مفتونةُ
عندما كنتُ أرتقي كنتُم المعنى وما زلتُم المعاني المبيّنةُ

الأغاريد (حسى = سمعى) ذات ألوان خافتة (حسى = بصرى)، والألوان حزينة أي: ذات مشاعر وأحاسيس (حسى + مجرد).. والشعر (حسى) والشعر (مجرد) وكلاهما قد أصابهما الشيب، مما جعل دلالة شيب شعره (التفسيرى . الحسى) ودلالة شيب عشقه (التأويلى . المجرد) تذهب بنا إلى ما اصطلحتُ عليه (في دراسة سابقة) بمعاني المعنى، أو إلى ما يعرف بالنسق المضمّر الذي يذهب بنا إلى ما يعرف بالمجاز الكلى.. وتمضي الأنساق المضمرة ذات الدلالات المتعددة أفقياً لتصب في نسق عمودي في البيت الثالث؛ حيث يحرّض فينا ثقافة التأويل الجمالية، فلا تدري أي دلالة تشتهى ذائقتك في قوله (كنتُم المعنى)، لتتوتر لذة الشهوة توتراً أكثر في الكشف عن دلالة الشاعر في قوله (ومازلتُم المعاني المبيّنة). إننا أمام لمسة جمالية غامضة؛ لكنها تشفّ إلى حد ما عن غلالة من المعنى لا نستطيع أن نحدها أو نوّطرها، فماذا يريد الشاعر تحديداً بـ(كنتُم المعنى) أو (مازلتُم المعاني المبيّنة)؟؟. هنا تكمن المفارقة بين المعنى التفسيرى المسطّح بالوضوح،

وبين المعنى التأويلي المغلف بالغموض الشفيف؛ وهنا تكمن - أيضاً - لذة الكشف عن المعنى الذي لا تحده دلالة واحدة؛ بل تذهب بنا غلاته الغامضة إلى عدة دلالات. ولو تفحصنا دلالات أخرى في نص آخر يقول:

فما للحواس الخمس في أن تتير لي سوى ما تجلى في المظاهر للخمس
وما كان عندي زائل الشكل مأرباً ولا استحوذ المحسوس يوماً على حسي
لكان لهذه الدلالات عند المتلقي غير ما قصد إليه الشاعر، ولتجلى له من مظاهر الحياة
لحواسه الخمس ما لم يتجل للشاعر؛ وقد يستحوذ ما يراه من محسوس هذه المظاهر في
حسه على ما لم يستحوذ عليه حس الشاعر، أو قد يقرأ في إشارات هذه المظاهر الحسية
ما لم يقرأه الشاعر ويرى ما لم يره فيها، في إطار من القراءة الفينومينولوجية، فيصل إلى
ما قد رمى إليه الشاعر، أو إلى ما لم يرم إليه، سواء أخرج عن الإشارات التي تبتها
الدلالة الكلية للنص أم لم يخرج؟

ولعل قراءة أخرى في نص "من وراء الستار الحديدي" تذهب بنا مثل هذا المذهب:

أريد السؤال

ولكن محال

لأن الظلال

تصيح إلى كل قيل وقال

أريد الذهاب

ولكنه مثل لمع السراب

وأمنع من ريشة في عقاب

فقد أوصدوا ألف باب... وباب

فدلالتنا "السؤال" و "الذهاب" بمعزل عن سياق النص العام دلالتان ذاتا فضاءات
مُشتة لخيال المتلقي، لما فيهما من تكثيف رمزي، على مستويي الجزء والكل في تشكيل

المؤدى الدلالي للمستويين الذي يمنحنا المعرفة الحدسية المفتحة على نوع من الميتافيزيقيا، كما أشار إليها "أدموند هوسرل" في منهجه الفلسفي للفينومينولوجيا⁽²⁾.

.....

وهذا نص ثالث يحيلنا إلى مثل تلك القراءات السابقة التي تستفز فينا الكشف الحدسي المفتوح على دلالات متعددة، تترك في نفوسنا متعة الكشف عن المخبوء في إشارات الماتعة:

ويظل يشغلك السؤال

ووراءه جيشٌ بكل كتيبة ألفا سؤالٌ

وتظلُ تنبشُ خلفَ أقنعةِ الجوابِ

فإذا النقابُ وراءَه ألفا نقابُ

يا صاحبي المسكين ما لك لا تنامُ

ماذا تريد من السؤالِ أو الجوابِ

أنسيت (هملت) كيف دوّخه السؤالُ:

أيكونه... أم لا يكونُ؟

بل كاذ أن يرميه في أيدي الخبالِ

كيما تمزقه مخالِبها الطوالِ

ثم ما معنى أن يفنى الشاعر فيمن هي عنده معنى الحياة ومعنى الموت ومعنى المعنى؟ وللقارئ أن يسوح في تأويل دلالة ماترمي إليه إشارات هذا البيت؟ وأن يفتش في ذاكرته عن مخبوءه الكنائي الغارق في فلسفته الجمالية المدهشة:

هي عندي معنى الحياة ؛ وعندي هي معنى الردى، ومعنى المعنى

(3)

غائية الدلالة الشعرية في إطارها التفسيري والتأويلي

تنحو نصوص الشاعر د. شهاب غانم في كلها لا في جلها منحى تفارق فيه رؤية كثير من فلسفات المناهج الحداثية في إقصاء فن الشعر عن غائيته، غير آبه لنظرية الفن للفن، أو عبثية نفر غير قليل من الحداثيين الذين طمسوا غائية هذا الفن، ورسالته في الحياة من خلال اعتبارية (البوصلة الفكرية القصدية) وتأرجحها في جهات لا تحدد المكان ولا الزمان فيما تريد أن تتجه، أو فيما تريد أن ترمي إليه، سوى التأرجح في دائرة ضبابية ميتافيزيقية مغلقة لا تَرى ولا تُرى.

ولا شك أن النص الشعري في إطاره التفسيري والتأويلي على حد سواء في منجز شاعرنا، يتلمس في دلالاته غائية قصدية، تطفو عائمة إلى حد السطح في النص المصنف في دائرة المعيار التفسيري، وتومئ إيماءً كنائياً إلى حد الغيبوبة في عمقها المجازي في النص المصنف في دائرة المعيار التأويلي.

وبعيداً عن تصنيف هذين المعياريين من الناحية الجمالية التي سبق أن كشفنا عنها آنفاً؛ فإننا هاهنا سنستكشف مضامينها الغائية، محاولين أن نتلمس في النصوص التالية تعانق هذه المضامين مع هذين المعيارين في مؤداهما الفني على حد سواء.

ففي نص الشاعر المعنون "من خواطر دوحة" نقرأ منذ البداية الدلالة المفتاحية - التشخيصية التي تكشف عن فيزيقية النص وسيمولوجيته فيما تشحنه من دينامية معيارية تفسيرية يتعانق فيها الحسي مع المجرد لتوحي بما انتهى إليه المقطع الشعري من قصدية الشاعر بأن الغائية الإنسانية تقتضي أن يتفانى الإنسان في خدمة أخيه الإنسان، ولو شاخت به الحياة وجفت منابع عطائه؛ بل ولو كان في فنائه حياة الآخرين، ويقدم لنا النص هذه الغائية في إطار من التأويل الذي يشحن فينا ذائقتنا الفنية الثقافية لنذكر هذه الغائية فيما ترمي إليه مونولوجية هذه الدوحة التي تحاور نفسها قائلة: "وأحس بأني حتى في لحظة إعدامي مخلوق خلاق!".

أما جسم النص (الدوحة)؛ فإنه يشير إلى غائيته بوضوح من خلال بساطة التعبير ودلالاتها الإيمائية:

حين تجف بأغصاني الأوراق
وبودعني ظلي الوارف حتى لا يبقى منه باق
يضرب مني الحطابون الساق
لكني قد أغدو مقعد بستان يحتضن العشاق
أو نافذةً يتسرب منها الإشراق
أو تُصنَّع من خشبي الأوراق
فتخط قصائدُ حب فيها أو بعضُ رسائل أشواق
أو أمسي في مدفأة حطباً للإحراق
فأبثّ الدفء الدفاق
وأحسّ بأني حتى في لحظة إعدامي مخلوق خلاق!

إن النص هاهنا يقدم نفسه من خلال المعيار التفسيري؛ فالمعاني في إطارها الجزئي واضحة، لكن لم تعدم جمال ما فيها من ثنائية المتضادات المعنوية وتجانسها اللفظي في أن معاً كما في "مخلوق خلاق"؛ ولكن تبقى الذائقة الوجدانية لا تنبش كثيراً من ثقافتها الشعرية، كي تتلمس بؤرة المحتوى المضموني، وإيماءته الرمزية التي تفك غائيتها من خلال المعيار التأويلي الذي أشرنا إليه في بداية التعليق على هذا المقطع.

الإحالات:

- (1)- انظر: الجرجاني. عبد القاهر: أسرار البلاغة 69 وما بعدها.
- (2)- انظر: "قراءة هرمنيوطيقية للصورة الفنية في شعر علي دمر" -جريدة الفداء- حماة -سورية- تاريخ 2009/8/25م.

سيمياء الحواس وجدلية الصمت والكلام في شعر شهاب غانم

الدكتوة شادية شقروش*

يرتقي الإنسان ويسمو عندما يعبر عن أحاسيسه شعراً، والذات لا تدرك سموها إلا في لحظات الابتكار الفني، لتخلد تلك الحالة الشعورية المتمردة على الحصار، لتخلد ذلك النبض العاتي الذي تولّد لحظة إدراك الذات لذاتها. كيف يستطيع الجسد أن يصبح عنصراً ضمن نسق رمزي يتكثف وسط ألغام الحواس؟⁽¹⁾ وكيف يصبح الصمت فضاء للكلام؟ وكيف تفسح الحواس مجالها للصمت المتكلم؟ هل يمكننا أن نقبض على تلك اللحظات المنفلتة من الزمن ونحن في رحلة البحث عن المعنى داخل النفس البشرية؟ أيمن أن يكون الشعر تصريحاً لا يشوبه التلميح؟ قد تحسّ وأنت تتفياً في روضة شعر شهاب غانم أن كلامه سهلاً ومفهوماً ولا يحتاج إلى أعمال فكر، يبرز من خلاله أفكاره وأحاسيسه وأبعاده الأيديولوجية، ولكنك عندما تمنع النظر ستجد لغة صامتة أو المسكوت عنه خلف ذلك الوضوح الصارخ. وهكذا يشكل الصمت حيّزاً ظاهراً في جسد قصائد شهاب غانم، ويتجلى المكوّن الحسي ليطغى على الديوان برمته، أحاسيس تجاه الحبيبة، أحاسيس تجاه الوطن، أحاسيس تجاه ما يحدث للإنسانية برمتها.

لذلك لم أر بدأً من الاستعانة بالآليات الإجرائية لسيمياء الأهواء لكي أستطيع أن أقبض على المسارات النفسية التي ترتسم من خلالها خريطة العواطف والحالات التي تعترى الذات المتكلمة.

«ظهرت سيميائيات الأهواء لدراسة الذات، والانفعالات الجسدية والحالات النفسية، ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات الاستهوائية، وذلك من

* أستاذة السيميائيات وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب، جامعة تبسة، الجزائر. الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية، قسم الأدب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المملكة العربية السعودية.

خلال التركيز على مكونين أساسيين: المكون التوتري (انعكاس العالم الطبيعي على الذات، والمكون العاطفي أو الانفعالي) منبع الأحاسيس والعواطف ويتولد عبرهما ما يسمى بـ «كينونة المعنى»، وخلق ما يسمى كذلك بذات الإدراك والعاطفة»⁽²⁾.

اخترنا بعض القصائد التي يتحدث فيها الشعر عن أنبل عاطفة في الوجود وهي "الحب". وهذه العاطفة لا يمكن القبض على مدلولها وإذا ذهبت تتحدث عنها لن تستطيع إعطاءها حقها من الكلمات، فقد ينفذ حقل العبارة وأنت مازلت تعبر عن هذه العاطفة، وقد حاول الشعراء التعبير عن مكنونات النفس، وتباينت نظرتهم للحب وللعشق فمن يستطيع القبض على إكسير الحب؟؟ لكل عصر جماليته ولكل شاعر معجمه، ولكل مدع بوابة يلج من خلالها للحب فكانت بوابة شهاب غانم الحواس ومفتاحه العيون.

يفتح شهاب غانم عالم العواطف بالصمت الذي يتجسد في محاورته للحبيبة من خلال حاسة البصر أو لغة العيون على حد تعبيره، فيتجلى الكلام في صمت العيون، ليصبح علامة بارزة تتشكل من خلالها الحالة العاطفية التي استحوذت على كيان المتكلم وهو يصف لحظة اللقاء في صمت، وهذا الصمت تبوح به القصيدة، وإذا كان لكل باب مفتاح فإن باب القصيدة عنوانها، لذلك استوقفني وأنا أتجول في رحاب ديوان الشاعر شهاب غانم عناوين شدت انتباهي واستوقفتني طويلاً منها: "لغة العيون"، "عيناك"، "معاني الهوى عندي"، "أعلم كم أحبك"، "أيها الحب" ومنه يمكننا أن نقبض في البداية على:

تستوقفنا في البدء، "لغة العيون"، والمنطق يقول أن العيون صامتة فكيف ستتكلم العيون وتتبادل الأدوار مع اللسان، من هنا تأتي المفارقة التي تحول العنوان إلى علامة صارخة منقولة بالصمت المتكلم: «وللصمت في هذه القصيدة وجوه من التعبير بحيث يمدّ حبل الكلام الذي ينقطع ويتبادل معه الأدوار»⁽³⁾.

لغة العيون

إذا أنظارنا اعتقت

أحس القلب يضطربُ

ويزهو وجهها خجلاً
ويعلو خدّها اللهبُ
وتسبل فوق عينيها
جفوناً زانها العتبُ
فأشعر أن هذا القلب
بين جوانحي يثبُ
وأغضي مثلها خجلاً
ولا أفضي بما يجبُ
فتمضي لم تفه شفةً
ولكن صمئنا خطبُ!» (4)

أبردين/اسكوتلندا ١٩٦٠م

فعندما تتعانق العيون أو تعتق فإن الحالة العاطفية يحدث لها نوع من الحلول، أو أشعة ممغنطة تجعل كلا من الذاتين تعتريهما حالة تشبه حالة المتصوف فيبدأ الكلام الصامت، ويتجلى في عاطفة العشق؛ لأنه لا يمكن أن تحدث للذات هذه التقلبات إلا إذا كانت متلبسة بالعشق: فيعترى الذات الأولى ما عبّر عنه الشاعر بـ"أحس القلب يضطرب" فيصل هذا الكلام الصامت أو هذا الاضطراب المتخفي عبر عيون الذات الأولى، وفي نقطة التلاقي بين الحرف والجسد تولد كينونة الأنثى الذات الثانية التي تنصت عبر العيون فتضطلع العين أيضاً بحاسة السمع وتتحول إلى شاشة مرهفة حساسة تنظر إلى الأعماق، فتتفعل وتعرف أن ذلك الاضطراب هو ناقوس اللذة أو ناقوس القلب يدق له، فيكون رد فعل المحبوبة:

«ويزهو وجهها خجلاً
ويعلو خدّها اللهبُ
وتسبل فوق عينيها
جفوناً زانها العتبُ» (5)

وإذا كان «الخطاب السيميائي يدرس مجمل الانزياحات الموجودة بين العاطفي والتوتري، وذلك من خلال رصد علاقة الذات الاستهوائية بالعامل الموضوع انجذابا واتصالا ومقصدية. ويتم هذا التفاعل الاستهوائي الإدراكي عن طريق فضاء الحس والجسد»⁽⁶⁾؛ فإن الشاعر يقدّم صورةً بصريةً حركية، تتراسل معها الحواس، ويصبح الموضوع الرئيس بين الذات الأولى والذات الثانية هو العشق والمحرك أو الدافع هو لغة العيون أو ما يسمى في سيمياء الأهواء التطويع الانفعالي الذي يلعب دور المرسل، والمرسل إليه هو القلب، وإذا كان التواصل قد قدح شرارة العشق أو الحب، فإن الذات الأنثوية انعكس على وجهها فعلان متناقضان قد يحيلان على الحياء، ولكن الشاعر هنا يبرز الفاعل الاجتماعي المعارض، وعلى الرغم من بوح الشاعر بالكلمات إلا أن الوجه يقول شيئاً آخر أوماً إليه بعبارة "يزهو وجهها خجلاً" الذي يحيل على الحياء، و"يلو خدّها اللهب" الذي يحيل على دالتين: الدلالة الأولى هي الحياء المتمثلة في حمرة الخدود والدلالة الثانية هي الخوف أو الرفض، وهنا يأتي الفاعل الاجتماعي المتمثل في (الوازع الديني)، الذي يمنع المرأة ويرفض أن يصدر عنها هذا السلوك لذلك يردف الشاعر قوله ب: "وتسبل فوق عينيها / جفونا زانها العتب"، فوصف الحالة الخارجية للذات الثانية (الحبيبة)، تتم عن الحياء والإحساس بتلك اللذة الداخلية العارمة، التي تحدث بين اثنين عند اللقاء الأول. فيلعب الصمت فيه دوراً بارزاً كونه «يكتُم الأسرار والأسماء ويمثّل "بلاغة العشاق" وكذا دأبهم في شريعتهم يتناوبون على الكتمان والبوح»⁽⁷⁾، فيقولان كل شيء دون كلام فيصبح «التعبير الجسدي أكثر التصاقاً وصدقاً وشاعرية من الكلمات فاللغة تكذب وتموه أما الجسد فلا يعرف الكذب فهو يقول جوانبه سواء كان تعبيره مباشراً قريباً أو ملغزاً بعيداً»⁽⁸⁾، فيتولد عن الصورة البصرية صورةً حركيةً حسيةً ونفسيةً؛ فينتقل الشاعر في رسم الأحاسيس بأسلوب سلس يحيل على منطق الحكاية الشعرية وتصبح لغة الجسد، مرآة تعكس الداخل والخارج والعلاقة بينهما ترجمة لأحاسيس تتمظهر على صفحة الوجه، فالشعر ليس مجرد إشارات لغوية، وكذلك لغة العيون والوجه ليست مجرد علامات جسدية، بل هما فعلان ينفلان لنا الإيقاع الذي لا يعني هنا الوزن فنحن يمكننا سماع

دقات القلب في الانفعال، ويمكن لنا ترجمتها لغوياً، وبهذه الترجمة يتم نقل أثرها إلى الآخرين بفعل يشبه فعلها، فالإيقاع يساوي تحولات العواطف والمشاعر وتنظيمها جسدياً في حالة العيون وتعابير الوجه، ولغوياً في حالة التعبير الشعري⁽⁹⁾. وإذا جاز لنا أن نرسم الخطاطة الخطابية لسيمياء الأهواء فإنها ستكون بالشكل التالي:

المرسل = لغة العيون، ، المرسل إليه = القلب

وبين المرسل والمرسل إليه علاقة تواصل تمثلت في الاستجابة الخارجية التي ظهرت على وجه الذات الثانية

الذات: ذات الشاعر الموضوع: الحب/العشق والجامع بينهما علاقة الرغبة

المساعد: التقاء العيون، اضطراب القلب، حمرة الوجه، الخجل .. المعارض: المجتمع والوازع الديني، والجامع بينهما علاقة الصراع، فيتم الاتصال عن طريق العاطفة والانفصال من خلال الارتباك والخوف وعدم الكلام:

"فأشعر أن هذا القلب

بين جوانحي يثبُّ

وأغضي مثلها خجلاً

ولا أفضي بما يجبُ"

ويمكن أن نقرأ العلاقة:

اتصال في البداية؛ أي في بداية اللقاء عندما اعتنقت من خلاله لغة العيون (الصمت).

انفصال في نهاية اللقاء عندما أسبلت الجفون وزانها العتب (الصمت).

ولكن البرنامج السردى مرتبط باتصال الأحاسيس والمشاعر و الصمت في هذا اللقاء أبلغ من الكلام، لأنهما قالوا كل شيء دون أن ينبسا بكلمة واحدة، والكلام في هذا المقام مرفوض تماماً، إما لاعتبارات مسيجة بسياج الحياء والخجل أو لاعتبارات مسيجة بالشرع والدين، وفي كلتا الحالتين يزدان اللقاء بالصمت المثقل بالكلام:

فتمضي لم تفه شفة

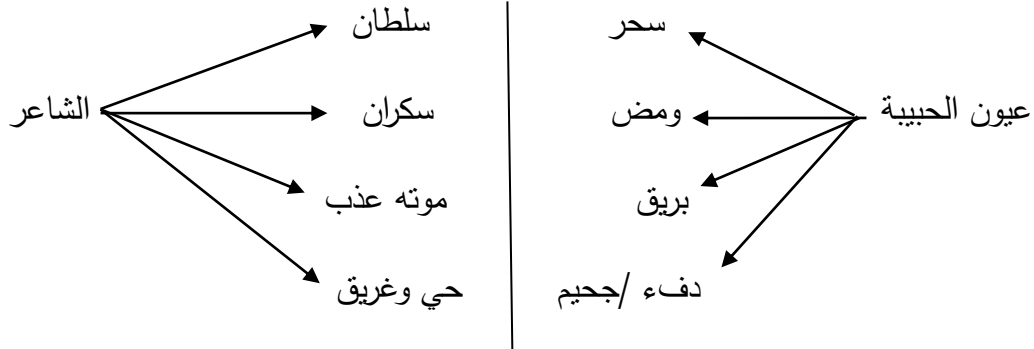
ولكن صمتنا خطب!

يرتبط الجسد بالشعور ارتباطاً جديلاً ينقل مفهومه من شكل صامت ذي أبعاد بصرية إلى خطاب صارخ مفعم باللذة، يجسد تجربة العشق ويحقق هوية الذات وخطابها ويفسر وجودها وكيونتها، من هنا تتشكل لغة الجسد النصية وتفيض شعريته حين يتم تمثيله شعرياً⁽¹⁰⁾.

وعندما تنتقل إلى قصيدة "عينك" تجد ذات الشاعر تعبر عن دواخلها وتخرج مكنوناتها، وعلى الرغم من تباعد القصيدتين زمنياً؛ فالأولى كتبها سنة 1960م والثانية كتبها سنة 1964م، إلا أن سحر العيون مازال يحدث خلخلة في كيان الشاعر، فتتفجر المكبوتات عند عتبة العيون فيبحر الشاعر مخاطباً الذات الأنثوية، وتضطرم عاطفة العشق ويشب حريقها في صلبان الكلمات، فتتكرر لازمة "عينك" ومشتقاتها ثلاث عشرة مرة، مما يثب على تأكيد المعنى، وبأن سحر عيون الحبيبة قد تمكن من ذات الشاعر فأصبح متيماً ولهاناً، ومن هنا تتولد عن حاسة البصر معاني ودلالات عديدة.

وإني لسلطان <u>العيون</u> رقيقُ	<u>لعينيك</u> سحرٌ أسرٌ وعميقُ
تألق برق في الظلام سحيقُ	<u>لعينيك</u> ومض يخطف الطرف مثلما
<u>رموش</u> .. <u>وجفن</u> ناعسٍ . وبريقُ	<u>لعينك</u> أسرار تموج بسحرها
متى كان من ماء يشب حريقُ!	<u>لعينيك</u> دفء بل جحيم يذيني
<u>بعينيك</u> سكران وليس يفيقُ	فيا حلوة <u>العينين</u> لا تظلمي فتى
فمن أي عين تأمرين يذوقُ	رأى الموت في <u>عينيك</u> عذبا مذاقه
ويسعى إليها جاهداً ويتوقُ	كأنني فرّاش في المصابيح حتفه
ولكنني في <u>مقلتيك</u> غريقُ	حنانك في <u>عينيك</u> أحيأ مُحلّقاً

فتصبح علاقة الشاعر وعيون الحبيبة علاقة تضاد، تحيل مباشرة على أحاسيس الشاعر، ويمكن أن نمثل إلى هذه العلاقة بالخطاطة التالية:



سحر عيون الحبيبة ووميضها وبريقها جعل الشاعر يكتوي ولكنه يحس بالدفع، يغرق ولكنه يحس بالطيران ويحس بالحياة، فوسط هذا القداس المفعم بالشوق يتعبد الشاعر في محراب العيون كأنه متصوف لا يملك إحساسا عندما يكون في مقام من مقامات التعبد، فيفقد الإحساس بالاحتراق، وبالفناء والموت، وفقدان الإحساس هنا تعطيل لكل الحواس، لأنها متمركزة في حاسة واحدة هي الشعور بلذة الوجد ونشوة السكر في محراب العشق.

تستدعي هذه الصور المتضاربة في ذات الشاعر، صورة النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) المحترق/الحي..... تعطيل وظيفة النار.

وصورة النبي يونس (عليه السلام) الغريق /الحي الاحتماء بالحوت/..... تعطيل وظيفة الغرق.

يقذ يونس عليه السلام في البحر فيبتلعه الحوت الذي يضطلع بوظيفة حمايته ولكنه في الحقيقة في جوف البحر، وفي جوف الحوت، وتتخذ هذه الصورة صفة الموت الذي يحمل في جوفه الحياة، وهنا تتشاكل صورة الشاعر وهو يستحضر الفناء أو الموت أو الذوبان، فتكون المقابلة التالية: يحتمي الشاعر بعيون الحبيبة ليحيا(الحياة)، ولكنه في مقلتيها غريق.....(الموت).

يقذف ابراهيم عليه السلام في النار، فلا يحترق بل يحيا لأن وظيفة النار تعطلت، لذلك يحمل النص ثنائية الحياة والموت، والظلمة والنور، التي من عمقها يتخلق "العشق" .

كان الصمت هو الذي يؤطر القصيدة، ووحده الشاعر يظهر تلك المكونات التي صهرت في ذاته كبركان تخرج حممه كلمات على أديم الورقة، ولكل شاعر طريقته في نقل الأحاسيس للمتلقي، ويبقى الشاعر مع حاسة البصر التي أصبحت تشكل لازمة متكررة في شعر شهاب غانم.

ويقدم الشاعر في قصيدة "معاني الهوى" فلسفة خاصة في الحب، فهو الطهارة والقداسة، وهو الجوهر فكيف فلسف الشاعر الحب؟.. يقول:

وهل أنا إلا شاعر في ضلوعه

فؤاد رقيق حالم مرهف الحس

يريد الهوى كالنور.. كاللحن.. كالشذى

يفيض ويستشري ويبقى بلا وكس

يتوق إلى دنيا الكمال كأنما

تباح لأيدي الملهمين من الإنس

الحب / الهوى عنده = النور، اللحن، الشذى.. وهي أشياء تُحس ولا تُلمس.

*حاسة البصر يقابلها النور

*حاسة السمع يقابلها اللحن

*حاسة الشم يقابلها الشذى

تتراسل هذه الحواس في صمت لترسم صورة الحب المقدس الطاهر وتكون العين هي البؤرة، فالحب عنده يتوق إلى الكمال، ومن خلال حاسة البصر تفيض الالهفة:

وأعظم من حبي لعينيك لهفتي

إلى مثلي أعلى من الطهر والقدس

فسيمياء البصر هنا تكمن في رؤية الحبيب لحبيبتة، فهو يراها تتلألأ كالنور. كما أن لحن صوت الحبيبة علامة سيميائية، ذو دلالة على فرح أو ترح، حسب المنظور النفسي للمتلقى. وكما يقال: الأذن تعشق قبل العين أحياناً. وللحن الصوت دوره في جذب الحبيب الذي يطرئه الصوت الحسن، وكذلك سيمياء الشم تكمن في الرائحة الطيبة وهي رائحة الحبيبة التي وإن بدت للغير رائحة غير مقبولة فإنها بالنسبة للحبيب رائحة شذى الزهور. فالطهارة والقداسة لا تكمن في تلاقي الأجساد فالجسد عنده يؤول إلى الفناء، فمعنى الهوى عند الشاعر حسي، وينأى عن اللمس، لأنه يدنس:

فما الشكل إلا هيكال الطين ينتهي

على حسنه الخلاب في طينة الرسم

وللحسن معنى غير قد مهفهف

وغير شفاه عذبة حلوة لعس

وفي حين يهتم غيره بالمظاهر المتمثلة في الشكل واللبس المنمق :

سواي بتمويه المظاهر يستبي

ويؤخذ بالشكل المنمق واللبس

وما أنا ممن يرتضي بسعادة

مزيفة تقضي إلى هوة اليأس

يحز بنفسي أن أبيع مودتي

وأعرض غالي القلب بالثمن البخس

نجد معنى الهوى عنده عناق الجواهر بالجواهر، أي عناق الأرواح، تضحية وعطاء؛ فالنظر للمرأة كجوهرة ثمينة لا يجب أن تبتذل طهارتها إلا بما يرضي الله، كما أن الحب بالنسبة للحبيبة رقة وصدود وتمنع يجعل العاشق في لهفة مستمرة، تلك هي فلسفة الحب عند الشاعر شهاب غانم:

معاني الهوى عندي سمو ورقة
وصبر على ما حُطّ للمرء في الطرس
وروح بروح تلتقي في تعانق
ونجوى تزف القلب للقلب في همس
وما الحب إلا البذل بالنفس عن رضى
وتضحية عند المكاره والوهس

قصائد عديدة ضمنها الشاعر معاني الحب عنده: (أيها الحب، حلول، عواطف وعواصف)، ولكنه مع ذلك يجده كالحقيقة البراقة تتمظهر في مظاهر عديدة؛ غير أن هذه المظاهر تشكل في نهاية المطاف تلك الجمالية وتلك اللذة التي لا نستطيع التعبير عنها باللغة مهما حاولنا فالحب عنده كل ما هو جميل وكل ما تتوق إليه النفس، الحب حلول في تفاصيل العالم، بعواطفه وعواصفه. حب الله، حب الوالدين، حب الزوجة، حب الأبناء والأحفاد، حب الوطن، حب العلم، حب المساكين، الغيرة على الوطن، حب الإنسانية، حب العدالة، كلها معاني ضمنها الشاعر ديوانه مئة قصيدة وقصيدة.

الهوامش والإحالات:

- (1)- بايزيد فاطمة الزهراء: سيمياء الحواس في فوضى الحواس، الملتقى الدولي الخامس، السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2008م، ص: 1، univ-biskra.dz/lab/IIa/images/pdf/sem5/bayazid.pdf
- (2)- جميل حمداوي: سيمياء الأهواء، في رواية الإرهابي 20 لعبد الله ثابت، أعمال مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب يومي 15-16/3/1433هـ الموافق ل: 7-8/2/2012م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الأدب، المجلد الثالث، ص 340
- (3)- أحمد الجوّ: الصمت أنواعه ووظائفه في الشعر العربي الحديث: كتاب في الصمت، أعمال الندوة العلمية الدولية: "الصمت"، أيام 5-6-7، أبريل 2007م، تقديم وجمع محمد الشيباني، وحدة تحليل الخطاب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس، ط 2008/1م، ص: 47.
- (4)- شهاب غانم: ديوان مئة قصيدة وقصيدة، لغة العيون، ص 5.
- (5)- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (6)- جميل حمداوي: سيمياء الأهواء في رواية الإرهابي 20، لعبد الله ثابت، مؤتمر الإرهاب في مواجهة الأدب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية.
- (7)- محمد الشيباني: الصمت وتأويله، كتاب في الصمت، ص: 123. وانظر أيضا: ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، باب "الإشارة بالعين" ص 91-93.

- (8)- لنا نقلا - علي الطه: سيميائية الجسد في شعر جويس منصور 30 كانون الثاني 2013، بوهيميا مملكة الحرف والكلمة، الموقع الإلكتروني: <http://www.bohemea.com/mag/index.php/eighth-art/item/36>
- (9)- لنا نقلا - علي الطه: سيميائية الجسد في شعر جويس منصور، مرجع سابق من الصفحة نفسها والموقع نفسه.
- (10)- محمد صابر عبيد: مرايا التخيل الشعري، سلسلة كتاب الرياض، العدد 140، الرياض، ط1، 2006م، ص134.

في تجربة شهاب غانم الشعرية:

إيقاع الوطن.. إيقاع الحياة

د. يوسف حطيني*

يعدّ الدكتور شهاب غانم واحداً من أبرز الشعراء الإماراتيين المؤسسين الذين حملوا لواء تشكيل خارطة الشعر الإماراتي، بعد جيل الرواد، فإذا كان كلّ من سلطان بن صقر القاسمي، وسالم بن علي العويس، وخلفان بن مصبح، قد وضعوا اللبنة الأساسية للشعر الإماراتي الحديث، فإنّ الجيل اللاحق من مثل عارف الشيخ، وشهاب غانم، وسلطان خليفة، ومانع سعيد العنتيبة أرسى قواعد هذا الشعر وأتاح للجيل اللاحق أن يطوّر القصيدة الإماراتية، ويبعث فيها الروح نحو آفاق التطوير والتحديث على يد حبيب الصايغ وأحمد راشد ثاني وصالحة عبيد غابش وظبية خميس وجمعة الفيروز وغيرهم.

فالرجل يحمل على كاهله سبعين عاماً قضى نصفها، وربما أكثر في معاقرة القصيدة، دون أن يعوقه ذلك عن متابعة عمله، ودون أن يعوقه أيضاً عن الالتفات إلى أشكال أخرى من الإنتاج الأدبي الذي فاق خمسين كتاباً في الشعر والترجمة والدراسات.

من هنا، ومن منطلق تعدد اهتمامات الكاتب وثقافته، فإنّ الإحاطة بمجمل إنتاجه تبدو صعبة، وبناءً عليه فضّلت هذه الدراسة أن تتعامل مع بعض إنتاجه الشعري الغزير، لاستنباط بعض ملامح تجربته على الصعيدين المضموني والفني.

* أديب وأكاديمي فلسطيني. ولد في دمشق عام 1963م. يعمل محاضراً في جامعة الإمارات العربية المتحدة.

يجد قارئ شعر شهاب غانم اهتماماً ذا أبعاد مختلفة بالقضايا الوطنية والاجتماعية والدينية والإنسانية، فهو ينشد للإمارات مثلما ينشد لليمن ولبنان وفلسطين، ولعلنا نشير بداية إلى أنّ الاحتفاء بالاتحاد الذي جمع إمارات الدولة في كيان سياسي واحد يبدو عنده شكلاً من أشكال الانتماء إلى الوطن الإماراتي، إذ رأى في هذا الاتحاد حلمًا تحقق، ونجح في لم شمل أبناء الأرض الواحدة، ونقلهم من حالة العدم إلى حالة الوجود، يقول شهاب غانم:

رفعوا الحدود فلا حدودا	فكأنّ ما عرفتُ وجودا
وكأنّ ما كانت لنا	من دون وحدتنا سدودا
وكأنّ هذا الشمل لم	يكُ عندها شملاً بديدا
للاتحاد على جميع	ع ربوعها رفعوا البنودا
فالحلمُ باتَ حقيقةً	واللا وجود غدا وجودا

ولا يبدو الشاعر في انتمائه الوطني بعيداً عن انتمائه القومي والإسلامي، فهو يربط دائماً بين العروبة والإسلام ربطاً وثيقاً، لأنّ البطولة في التاريخ العربي القديم والحديث كانت إسلامية بمقدار ما كانت عربية. ويمكن لنا هنا أن ننظر في أبيات قالها هذا الشاعر، ورأى فيها أن الأبطال الذين ما زالت آثارهم خالدة في جبين الشمس هم من العرب المسلمين، فيقول:

من هذه البيد قد سارت غطارفة	بالعدل والحق والإحسان تأتمر
منها رسولُ الهدى، والمؤمنون به	من هاجروا في سبيل الله أو نصّروا
آثارهم في جبين الشمس ماثلة	أفكارهم في العلى منها لها صور

لذلك تعدُّ نيمة الفخر بالماضي العربي والإسلامي المجيد شكلاً بارزاً من أشكال الانتماء للعروبة، وباعتاً على الأمل، لأنّ أمةً منها أبو عبيدة وطارق بن زياد وصلاح الدين ستبني مجدها السني الوضاء من جديد، يقول شهاب غانم:

سوف يمضي الدجى ويأتي صباح	تتلاشى في نوره الأشباح
إنّ قوماً أبو عبيدة منهم	وعليّ.. وطارق.. وصلاح
سوف تغلو شمسُ لهم من جديد	ويغني سناؤها الوضاح

وإذا كان الشاعر شهاب غانم قد كتب للاتحاد قصائد مجيدة تخلّده، فإنه لا يفرط ابداً في الانتماء القومي والفكرة القومية، فهاهو ذا يرجو أن يكون الاتحاد بداية وحدة عربية كبرى، تطوي صفحات النكسة، وتأتي بانتصار الأمة، وتحرير أرضها من الذين دنسوها، فيقول:

أتى تكون الوحدة الكبـرى
رى تموج بنا جنودا
لندق في النعش الحزيرا
ني مسماراً جديدا
حتى يتم لنا العبور إلى المنى نصراً أكيدا
فنطيل في الأقصى متى شئنا ركوعاً أو سجودا

ويبدو الانتماء القومي للشاعر في مواقف متعددة، فإذا يتأمل ما جرى في حرب صيف عام 1982م، عندما اجتاحت القوات الإسرائيلية الأراضي اللبنانية وصولاً إلى بيروت، يرى أن هذه الحرب لم تُسقط خيار المقاومة، ولكنها أسقطت ورقة التوت عن أولئك الذين لم يهبوا لنجدة لبنان:

عشرون نهراً تحت القصف
وما زالت صامدةً بيروت
لم تسقط،

لكن قد سقطت عن عورتنا أوراق التوت

وينحو الشاعر شهاب غانم المنحى السابق ذاته حين يسخر من التضامن العربي الذي يبقى في معظم الأحيان أمنية لفظية، في حين يدنس الغزاة أرض الأقصى المبارك، فيفتقد في هذا الحاضر العربي الأليم صورة الأحفاد الأماجد:

تضامن العرب آمالاً مبددة
ووحدة العرب تاريخ وأخبار
وتربة المسجد الأقصى يدنسها
نعل الغزاة.. ولا خزي ولا عار
لا خالد، لا صلاح الدين، لا عمر
لا مرهف من سيوف الله بتار

وتبلغ السخرية مداها في شعر شهاب غانم، إذ يردّد صدى صرخة كان قد أطلقها إبراهيم طوقان قبل نصف قرن⁽¹⁾، إذ يحدثنا ساخرًا، والألم يعتصر قلبه، عن مقابلة العدوان بالخطب الرنانة الجوفاء التي لا تسمن ولا تغني من جوع:

فلماذا قرع الطبول طويلاً ولدينا حلولنا السلمية
ولماذا هدر النقود هباءً ولماذا سفك الدماء الزكية
كلما يغضب العدو بلاداً أشجبه بخطبة نارية
فامنحونا من الشعارات سيلاً إنها منجزاتنا القومية
وعلينا ردّ الجميل هتافاً للزعامات بكرّة وعشيّة

ومن الطبيعي أن تنتج مثل هذه المقارعات اللفظية مع العدو مذابح جديدة، لأن عدم وجود الرد الرادع يشجعه على مزيد من القمع ، فإذا رأى الشاعر شهاب غانم مذبة صبرا وشاتيلا نظر إليها من زاوية أخرى، مُدينًا الصمت العربي، ومستكراً الاكتفاء بالبكاء على الضحايا، لأن البكاء لن يردع المحتلين المغتصبين، بل سيشجّعهم على ارتكاب المزيد من المذابح:

يا من تبكون شتيلا وتتوحدن على صبرا
بالأمس بكيتم ثلّ الزعتر
واليوم تتوحدن بدمع أغزر
لكن صبرا
ما دمنا أبداً لم نتغيّر
فانتظروا مذبةً أخرى
مذبةً كبرى

وإذ يدين الشاعر الصمت العربي فإنه لا يبرئ ساحة المحتلّ الغاشم الغاصب، فيصف بشاعة مجازره، ويعري زيف تحضره، وها هو ذا ينظر إلى المذبة التي ارتكبتها الصهيوني (هاري غولدمان) الذي اقتحم المسجد الأقصى، وراح يطلق النار على المصلين، مما أدى إلى سقوط ستين فلسطينياً بين شهيد وجريح، فيكتب قصيدة بعنوان "المجنون" من وحي هذا الاعتداء الآثم الذي حاول الصهاينة تسويغه، عبر الزعم أن غولدمان يعاني مرضاً نفسياً، يقول شهاب غانم:

كالجرّد تسلّل بين الجدران

والحق النابع من أعماق الأزمان

من أحجار الهرم الأكبر..

من أسواط نبوخذ نصر..

من كل أذان في خيبر

يغلي بين الأضلع كالطوفان

والكف على الرشاش كمخلب شيطان

وانطلق الحقد رصاصاً في بيت الله

في الحرم الثالث.. في قدس الإسراء

سال نجيع الخشع بين صلاة ودعاء

وعلى الرغم من غدر الأعداء وبطشهم، وعلى الرغم من الصمت الذي يدينه، والعجز

الذي يعرّيه، فإنّ الشاعر يبقى مؤمناً إيماناً عميقاً أنّ هذه الأمة قادرة على تحدي

المعتدي، مبيناً أن هذا المعتدي عاجز عن تحطيم إرادتها، واستعداد أبنائها المستمر

لافتدائها، حتى تحقق أهدافها في الرفعة والسمو والسؤدد، فيقول:

عبتاً يريد المعتدي

تحطيم نفسي أو يدي

ما دمت فوق الأرض أو تحت السماء

سأظلّ دوماً أفتدي

أرض العروبة بالدماء

حتى يعود العدل مرفوع اللواء

وبضيء نور الحق من غير انطفاء

من هنا فإنّ الشاعر الملتزم يسعى إلى تسليط الضوء على النقاط المضيئة في التاريخ

العربي المجيد ماضياً وحاضراً، ولأنّ للانتفاضة الفلسطينية هذا الألق والتوهج فقد راح

الشعراء يتغنون بها ويغنون لها، وبطالبون باستمرارها لأنّ فعلها أقوى من أيّ قول، ولأنّ

في استمرارها إصراراً على عودة الأمجاد العربية إلى سابق عهدها، يقول شهاب غانم:

آن للمارد أن يخرج من قمقمه من بعد دهر
آه ما أروعهُ أن تستمرّي
فاستمرّي.. واستمرّي.. واستمرّي
أنتِ مهما صيغ في سحرِك من شعرٍ كُدُرّ
سوف تبقيين مدى تاريخنا أروع من أروع شعرٍ

* * *

وثم جانب بارز آخر في شعر شهاب يستطيع المتتبع أن يلمسه بسهولة، وهو البعد الاجتماعي للمشاعر الإنسانية التي تملأ قلبه نحو مَنْ حوله، ويمكن هنا أن نشير إلى مشاعر الآباء نحو الأبناء، على سبيل المثال، فها هو ذا يرى في طفله "وضّاح" نور قلبه، وهو يمثل عنده سعادة الدنيا وبشاشتها. يقول الشاعر:

ألقاك حين همومُ العيش تدحرنِي فينجلي الهم عني وهو مدحور
فيك البشاشة مثل النور يغمرنِي رشاشها فإذا في مهجتي نورُ

كما يكشف الشاعر جانباً من جوانب النفاق عند بعض شرائح المجتمع العربي، إذ يرى بعض شرائح هذا المجتمع أن النساء هنّ زينة الحياة وبهجتها، حين يتعلّق الأمر بالنظرة الذكورية لجسد المرأة، أما حين تكون الأنثى أختاً أو ابنةً فإن المعيار يختلف، وتصبح "مشروع عارٍ" على المرء أن يتخلّص منه بسرعة.. حتى إنّ الرجل الذي يعبر عن إعجابه بجمال "الحريم" هو ذاته الذي يغضب حين يبشّر بالأنثى. يقول شهاب غانم:

سمعتُهُ في سهرةٍ يقولُ:

"ما أجمل الحريمُ

من دونهنّ العيش كالجحيمُ"

وذاث يوم بشرته زوجهُ بطفلةٍ

.. فظلاً وجهه كظيمُ

وثمة ملمح آخر لا يقل أهمية في شعر شهاب غانم هو التوجّه الديني الإسلامي، إذ يبدي الشاعر إعجابه بالأخلاق الإسلامية السمحاء، ويطرح التكاليفات الشرعية في قالب شعري

بديع، ويمكن هنا أن نرى صورة للحج في شعره الذي يبين مجيء الناس من كل فج عميق، ملبيين دعوة الله سبحانه وتعالى، يلبسون لباس الإحرام، وهم يحملون في قلوبهم الشوق والرجاء، والتوبة والدعاء، فيقول في مقطع يقطر عذوبة وغنائية على الرغم من كونه ينتمي إلى شعر التفعيلة:

أتيناك من كل فج عميق

نلبي النداء

نهلاً حتى تفيض تهاليلنا في السماء

نطوف بأرض مشى فوقها الأنبياء

أتيناك شعناً بهذا الرداء البسيط

بلا زينة أو مخيط

بلا كبرياء

أتينا بأشواقنا والرجاء

بفيض الدعاء

وكثيراً ما يقوده تدفق المشاعر الدينية في داخله إلى طلب الاستغفار، ويمكن أن نجد لذلك أمثلة عديدة، غير أننا سنشير هنا إلى قصيدة دالية، يربط فيها الشاعر ذلك الاستغفار بقرب الموت الحق من أي إنسان، لذلك فهو يطلب المغفرة، بل يطلب أيضاً أن يخفف الله عنه ظلمة القبر، وأن يحشره مع الذين يتقبل منهم المغفرة:

يا ربّ حين تفيض الروح من جسدي وأنتهي من شرور الناس للأبد

هب من ضيائك لي تحت الثرى قبساً يمدني في ظلام القبر بالمدد

وحين يا ربّ نفخ الصور يحشرنا فيهرب المرء من أمّ ومن ولد

لا تأخذني بآثام غرقت بها فما شككت ولا أشركت بالأحد

وفي غمرة الالتفات إلى الشعر الاجتماعي والوطني لا ينسى الشاعر نصيبه من التأمل، لينتج من خلال ذلك، شعراً إنسانياً نبيلاً يرصد مرور الزمن السريع على الإنسان، حيث يضيق التصوّر، ويتركز حول الفردي في الذات الشاعرة، منكفئاً عن تصور الإنسان

الكلي، وتتراجع حدة التشاؤم، ويحلّ انتظار المجهول مكانها. هكذا نقرأ ما قاله شهاب غانم الذي لم ير في مستقبل ما بعد الثلاثين إلا مجهولاً:

مرّت الأعوام عاماً بعد عام
وكأنّي قمت تَوّاً من منامي
وكأنّ الصبح قد بدّد أحلام المساء
فإذا بي والثلاثون ورائي
والذي ما لست أدريه أمامي

غير أنّ الذي يميّز شهاب غانم عن أولئك الذين غنوا للوحدة والعزلة، أنّه كان ينظر لتلك الوحدة بإيجابية، فهو لا يعاني في أثنائها مطلقاً، إذ ثمة إيمان يؤنسه، ويقوّي عزيمته بإله موجود في كل الوجود، يتجلى له في كل نأمة، فيزيده ثقة، ويملأ نفسه تحدياً. فهو يقول:

لقد كنتُ وحدي

وما كنتُ وحدي!

معي الله قد كان في كلّ لحظة بُعِدِ

لقد كان في كلّ بُؤْسٍ يجود عليّ بسُعدٍ

ويُسَعِّفُ في كلّ جزرٍ بمدٍّ

وقد كان قرآنهُ العذب يمسحُ دمعَةَ خدّي

ويملؤني بالتحدي

* * *

لقد حافظ الشاعر شهاب غانم، بشكل عام، على القصيدة التقليدية، من حيث الوزن الخليلي، وعلى الرغم من أنّه يلتزم الوزن والقافية في معظم ما يكتبه فهو يرى أنّ الأهم أن يكون الشاعر مخلصاً لشعرية الشعر الذي خُلِقَ للترنم والغناء، وليس للمدح والهجاء. يقول شهاب غانم:

فما أحرّك أن تشدو بلحني	وإن أنشدتُ ردّد رجح لحني
وابداعٍ وفلسفةٍ وفنٍّ	فما شعري لقافيةٍ ووزنٍ

وما شعري لمدحٍ أو لهجوٍ ولكن للترنم والتمني
ويميل الشاعر إلى الوضوح بشكل عام، ويعدّ الغموض الذي يتخذه بعض الشعراء أرضيةً
للكتابة، سبباً لإحداث نوع من القطيعة بين القارئ والكاتب، ولا يرى في الشعر الذي يعتمد
ذلك الغموض إلا "شعر خرابيط"، معبراً بسخرية عن عجزه عن فهم اختلاط الوعي
باللاوعي، فيقول:

شِعْرَ "الخرابيط" إِنِّي جُنْتُ أَعْتَرُفُ بأنني بقصور الفهم أَتَّصِفُ
أَغوص فيكَ كمن قد غاصَ في وحلٍ وفيك أسري ودربي كلّه سدفُ
قالوا: هو الوعي باللاوعي مختلطُ ولا أرى غير خلطٍ ما له طرفُ
ويربط الشاعر بين الشُّعر والحياة، ويضيف شرطاً آخر للوزن والقافية، هو شرط الغنائية
الذي يشبه جمال العيش، فإذا حاكى المرء عيشه النضر كتب قصائد أجمل من
الجماليات، فهو يقول:

دع الأسى وترنم فالأسى عبثُ والعيش أولى بترنيم وتغريدِ
فانشد قصيدك وانشر من غلائله على الدنى حلةً ألقى من العيدِ
غير أن التزام الشاعر في أغلب قصائده بالوزن الخليلي لم يمنعه من الإفادة من نظام
الموشحات الموسيقي الذي يعدُّ أقلَّ صرامةً في التعامل مع نظام القافية، إذ يتيح تغييرها
وفق نظام محدد، ومن ذلك الخروج الطفيف على نظام القافية قصيدة كتبها شهاب غانم،
وهي تتألف من رباعياتٍ تنتهي جميعها بكلمة الخليج، ومنها الرباعيتان التاليتان:

ليالي العيد تحلو في الخليج بسحر سنا محيّاك البهيج
ونعمة صوتك العذب الغنوج يغني: العيدُ يحلو في الخليج

* * *

حباك الله وجهاً كالبدورِ وشعراً مثل موج من حرير
وإذ تمشين في خطر خطير ليالي العيد تحلو في الخليج
هكذا يبدو لنا الشاعر شهاب غانم من خلال شعره: شاعراً مشغولاً بقضايا أمته العربية
والإسلامية، مدافعاً عن حقّها في الحياة، معبراً عن انتمائه إلى مجتمعه الصغير،

ومجتمعه الكبير، يصوغ كل ذلك في قصائد لها جلال الشكل القديم، وغنائيته وموسيقاه، ولها أيضاً انتماءها الواضح إلى المحيط الذي يعيش الشاعر بين ظهرانيه.

الهوامش والإحالات:

- 1- إشارة إلى قصيدة طوقان التي مطلعها: أنتم المخلصون للوطنية.. وتمكن مراجعة: ديوان إبراهيم (أعمال شاعر فلسطين إبراهيم طوقان): ترتيب وتحرير د. إحسان عباس، دار القدس، بيروت، 1975، ص163.

مفهوم الشعر عند شهاب غانم

د. حسن الأمراني*

إذا كان النقاد والفلاسفة قد عونا بتحديد مفهوم الشعر، فإن الشعراء كان لهم آراؤهم الخاصة في هذا الموضوع. وقد عني الشاعر منذ الجاهلية بأن يقدم تصويره للشعر. فامرؤ القيس، وهو من القدماء، إن لم يكن أقدمهم يقول:

أذود القوافي عني ذيادة ذباد غلام جريء جوادا

وكعب بن زهير، وهو مخضرم، يقول:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفورٌ جرول

فاعتبر الشعر نسجا وحياسة. وقد قال البحتري لمن اعترض عليه في مفهوم الشعر، مقدما رأي أبي العباس ثعلب: ليس هذا من شأن ثعلب وأصحابه من اللغويين، فإن النساج يعرف من الثوب ما لا يعرفه البزاز الذي يتاجر فيه.

وكذلك كان شأن أبي تمام والبحتري والمنتبي وأبي العلاء، وسواهم، فكلهم خاض في مفهوم الشعر شعرا. والناس يحفظون قول أبي تمام، إمام الصنعة، متحدثاً عن القصيدة:

خذها ابنة الفكر المذهب في الدجى والليل أسود حالك الجلباب

كما يحفظون قول البحتري:

كلفتونا حدود منطقكم والشعر يغني عن صدقه كذبه

وخاض المعاصرون في الموضوع وأفاضوا، وأقوال البارودي وشوقي ومطران وجبران وأبي ماضي والشابي وشكري في ذلك معروفة متداولة.

وليس من غرضنا الاستقصاء، وحسبنا الوقوف عند شاعر من معاصرنا، اکتوى بنار الشعر، وكان له فيه رأي، ولاسيما بعدما تناول على ساحة الشعر كثير من الأدعياء، فحملته غيرته على الشعر على بيان رأيه في الشعر الذي منه الحكمة، وهاجم أدعياء الشعر هجوما عنيفا، بحق.. إنه الشاعر الدكتور شهاب غانم، وهو سليل أسرة شاعرة، فأبوه وخاله وإخوانه كلهم شعراء، بل ممن يحسب لهم في باب الشعراء الحساب.

* شاعر وأكاديمي مغربي، يعمل أستاذاً في جامعة الشارقة.

وشهاب غانم شاعر رضع الفصاحة من جذمها، ثم اطلع على شعر الغربيين، بل عاش في بلاد الغرب فترة اتاحت له أن يتذوق شعرهم، وأن يترجم منه إلى العربية. كما أنه عندما أقبل على نظم الشعر أقبل عليه عن بصيرة وبيان.

وقد لاحظ شهاب غانم وجود زعانفة - بتعبير المتنبي - يريدون تدنيس حرم الشعر، فواجههم، وأطلق على ما ينظمون لقباً طريفاً، وهو (الخرابيط). وهي لفظة وإن لم يكن لها معنى معجمي، إلا أنها يُشتمُّ منها ما يدل عليها، وإذا نحن عدنا إلى المادة القريبة منها، وجدنا (خبط) تدل على التخبط وعدم بيان الصواب، كما نجد أن لفظ (خرط) يؤول إلى الخروط، وهي الدابة الجموح.

وهكذا فإن شعر الخرابيط هو الشعر الذي لا يكاد يستقيم، لا معنى ولا مبنى. وبتبين صفات شعر الخرابيط يتبين مفهوم الشعر الجيد، إذ بضدها تتميز الأشياء. يقول شهاب غانم من قصيدة عنوانها (هو الحب):

وأجملُ أنواعِ الفنونِ قصيدة	على رغم حسن الرسم واللحن والنثر
ولكنَّ أشعار "الخرابيط" أصبحت	تدافعُ حول المرء كالسيل والنهر
وباتت لها عُزَّى ولأت وقد غدا	لها هبلٌ يختال بالزور والكفر
فأواهُ من شعر دعي مُزَيَّف	تمادى كثيراً في السماجة والهذر
وإفساد أذواق الصغار وإنه	هو الهدف المرسوم لو أننا ندرى
درستُ نتاج الغرب منذ حدثني	وأُشربتُ من موزون شعر ومن حرّ
فأدركتُ أنا في محاكاتنا له	نمج هراء لا يمت إلى الشعر

فشهاب يقر بحسن كافة الفنون، إلا أنه يجعل الشعر أفضلها، وما ذلك إلا ليقرر أن الشعر الحق هو الذي يستحق الإشادة بالجمال، أما سواء فليس غير (خرابيط). والمأساة أن شعر الخرابيط طمَّ وعمَّ فصار كالسيل الجارف، ونبتت طائفة تقوم منه مقام اللات والعزى وهبل، فصار يختال بين الناس زورا وكفرا، ويصمه شهاب بأنه شعر دعي مزيف، وتلك وصمة رمى بها القدماء بعضاً من الشعر المتهافت على زمنهم. وقد جاء في الكامل للمبرّد:

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسانُ دعيّ في القريض دخيل
قال أبو العباس: "وبعر الكبش يقع متفرقا".
وقال خلف الأحمر:

وبعض قريض الشعر أولاد علة يكذّ لسان الناطق المتحفظ
وهذان البيتان إنما يراد بهما ذلك الشعر الذي ليس له قران، كما قال رؤبة بن العجاج،
أي إنه غير متماسك. والتماسك الشعري عند العرب من شروط الجودة. وأما شعر
الخرابيط فلا يفتقر للتماسك فحسب، بل هو يفتقر إلى كل مقومات الشعر.
ومما يزيد الأمر ضغطاً على إباله كما يقال، أن ذلك الشعر يرمي إلى إفساد أذواق
الناشئة، ويجعل ذلك هدفاً.

وأصحاب ذلك الشعر يريدون أن يتستروا وراء حجة تافهة، وهي تقليد الغرب، والحال
أن الغرب بريء من تلك الترهات. فالشعر في الغرب له رسالة، ولأن له رسالة فهو
يجتنب الإبهام، وإن كان لا يمنع أن يكون بعضه غامضاً، حيث تجد له لذة بصوره
وموسيقاه. فلما أردنا محاكاته اخطأنا الطريق، وجئنا بكلام مبهم، لا هو عربي ولا هو
أعجمي. واسمع لشهاب يقول من قصيدة أخرى:

شعر الخرابيط إنني جئت أعترف	بأنني بقصور الفهم أتصف
أغوص فيك كما قد غاص في وحل	وفيك أسري ودربي كله سدف
قالوا هو الوعي واللاوعي مختلط	ولا أرى غير خلط ما له طرف
يقلدون كلام الغرب في شغف	بكل تقليعة للغرب قد شغفوا
يقلدون بلا فهم ولا هدف	والغرب لو أدركوا في شعره هدف
لكن أنستورد الدنيا برمتها	من غيرنا ثم نبغي الشعر يختلف؟

.....

فحاله إذن كحال معظم المنقّفين الشرفاء الذين صاروا يتهمون أنفسهم، عند مواجهة شعر
الخرابيط، بقلة الفهم، فحجة هؤلاء أنهم يخلطون الوعي باللاوعي في شعرهم، وذلك جوهر
الشعر، ولو أنصفوا لعلموا أن ذلك الخلط إنما هو من التخليط وعدم التمييز. وإذا خاطبهم

العقلاء احتجوا بشعر الغرب، وشعر الغرب له هدف مرسوم، ولا هدف لما يكتبون غير
إفساد ذوق الأجيال. وها نحن نستورد الشعر كما نستورد سائر المواد الاستهلاكية.

وبيزيد الشاعر الأمر بيانا في قصيدة أخرى فيقول:

فأعجب من شعر "الخرابيط" كيف قد	ترعرع في هذي البلاد وخيما
وكاد له يغدو بكل صحيفة	مريد بأذواق العباد تحكما
عرفت من الأقطار خمسين دولة	وزرت زواياها لكي أتعلما
وذقت ثقافات الشعوب بمهجة	مُفتحة للعلم في جوفها ظما
فأدركت أنا قد بُلينا بصيبة	بذوقهم داء وفي قلبهم عمى
غراب حكي في جهله مشية القطا	فضيعة كلتا المشيتين وأعدما

فنحن إذن أمام شعر هجين، لا تستطيع أن تقول إنه شعر عربي ولا إنه شعر غربي.
وذلك أمر طبيعي ما دام أصحابه (صيبة بذوقهم داء وفي قلبهم عمى).

فالشاعر واضح في موقفه، وهو يبحث عن أصل الداء، فإذا هو يقول:

شعر الخرابيط هل زالت مشاكلنا	حتى يحق لنا الإرغاء والترف؟
أم أنه النفط قد أمسى يباح لنا	به بكل مجال في الدنى السرف؟
رحماك يا نفط كم أنشأت من صحف	وكم يفيض على صفحاتها القرف

فالنفط دون شك فوائد كثيرة على دول الخليج، ولكنه لا يخلو من شر، حين يفتح للخرابيط
أن يستولوا على عدد من المنابر، يفسدون من خلالها ما هو جدير بالعناية والرعاية، ألا
وهو الذوق الفني والقيم الجمالية.

والقيم الجمالية شيء جوهري في الكون، ولا سبيل إلى الإصلاح إلا بمراعاة تلك القيم.
وأما "شعر الخرابيط" فليس غير وسيلة من وسائل إفساد الذوق وقطع الطريق أمام مظاهر
الجمال.

والغريب أن أصحاب هذا الشعر بضاعتهم من الفن مزجاة، فهم يخطئون في اللغة،
ويخطئون في العروض، ويخطئون في كل مقومات الفن، فإذا قيل لهم لا تفسدوا في
الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، وإذا نهوا إلى ما يكتبون من أخطاء تحججوا وقالوا: إنما

هو انزياح. صدقوا، فهو انزياح عن الحق إلى الباطل، وانزياح عن الحسن إلى القبح، وانزياح عن الصلاح إلى الفساد. ومن هنا فهو شعر لا يخدم إلا الأعداء:

يحركني شوق إلى فرحة اللقاء إلى كل سحر في الكنانة أعرف
إلى كل فنان أديب وشاعر عهدناه من بحر البلاغة يغرف
إذا عزفت أوتار قلبي تقطعت فلا عاش شعر مستعار مزيف
ألقبه "شعر الخرابيط" فهو لا يفيد سوى الأعداء إذ هو يضعف

وهو إذا قيل له رفقا بلغة الضاد، فقد أوسعتموها هدمًا، قال: وهل يستقيم التجديد إلا بتفجير اللغة؟ فيقول شهاب:

يُفَجِّرُ اللغة الفصحى بلا هدف ولم يفجرَّ عدوا صال في تيه
ثم يبين في قصيدة أخرى كيف اختلطت الأمور، وفسدت الأذواق، واستبيح حمى قواعد الشعر لغة ووزنا وتعبيرا، بزعم التجديد. ولكن الشاعر مع ذلك متفائل بالمستقبل؛ يقول:

سوف نصحو ولو يطول الزمان وتُشَقُّ اللحد والأكفان
وتُدَكُّ القيود قيда فقيدا وتُهدُّ السجون والسجان
وبغني الشعر الذي اليوم باتت في مغانيه تتعب الغريان
هي في ظنها تغني وكم قد ناح نحوَّ وأجهشت أوزان

هذا ولعله من المفيد الإشارة إلى قصيدة طريفة للشاعر محمد عبده غانم، والد شهاب، يشير فيها إلى ما ابتدعه ولده من مصطلح "الخرابيط"، ويثني على جهده في الدفاع عن فن العربية الأول، الشعر، يقول:

وجعلت تصلح في القصيدة ما أشاع بها الخرابُ
شعر "الخرابيط" الذي جمحت لنزوته الذئابُ
وأريتنا كيف استقا د لطالبي العلم الطَّلابُ
بل كيف يهدي العاملي بن له فما خاروا وخابوا

وقد خص الشاعر شهاب الشعر بقصيدة عنوانها: (أيها الشعر)، على غرار ما صنع الشابي وغيره من الرومانسيين. وفيها نجد أن الشعر مجمع الفنون، حيث يقول:

أيها الشعر قد ملأت الخلايا بالخيالات بين معنى ومبنى
أنت تحوي رسما، وقصا، ورقصا وغناء يختال وزنا ولحنا
وتضم الجمال من كل شكل كان عطرا أم كان نورا ولونا
ولو أردنا التقصي لطال بنا الحديث، فللشاعر شهاب جولات وصولات في مفهوم الشعر،
ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.

التناص في شعر شهاب غانم

د. عبد الحكيم الزبيدي*

الدكتور شهاب محمد عبده غانم شاعر غزير الإنتاج، فقد أصدر في مسيرته الشعرية عشرة دواوين، ثم أصدرت له هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (الأعمال الشعرية الكاملة- 2009م)، ومؤخراً أصدرت له مجلة (دبي الثقافية) مختارات من شعره بعنوان: (مائة قصيدة وقصيدة-2011م)، وهي التي اعتمدها في هذه الدراسة، لأنها مختارات اختارها الشاعر نفسه لأفضل قصائده، وهي الأقرب إلى نفسه، كما وصفها في مقدمته.

والدكتور شهاب يكتب الشعر بنوعيه العمودي (أو البيتي- كما يسميه) والتفعيلي، وهو متميز في النوعين. وشعره يميل إلى تغليب الفكرة على العاطفة، خاصة في قصائده التفعيلية، ويبدو أن ذلك نتيجة لتأثره بالشعر العالمي الذي يترجمه.

ورغم أن ثقافة الدكتور شهاب علمية في أغلبها، فهو مهندس حاصل على البكالوريوس في الهندسة والدكتوراه في الاقتصاد من بريطانيا، إلا أن ثقافته التراثية عميقة؛ فقد نشأ في بيت علم وأدب. وتظهر ثقافته التراثية واضحة في شعره، وهو ما سنتناوله في هذه الدراسة من خلال دراسة التناص الديني والأدبي في شعره.

التناص الديني

يظهر التناص الديني في شعر شهاب غانم من خلال تضمينه لنصوص دينية مُستمدّة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وسنمثل كل منهما فيما يأتي.

التناص مع القرآن الكريم

جاء التناص مع القرآن الكريم في شعر شهاب غانم في معظمه من النوع الخفي، باستثناء حالتين: الأولى هي قصيدة بعنوان: (البداية والنهاية)، وهي أولى قصائد المجموعة وقد

* نشرت المقالة في كتاب: التناص في الشعر المعاصر في الإمارات، مركز سلطان بن زايد للثقافة والتراث، أبوظبي، 2011م.

صدرها الشاعر بآيات من القرآن الكريم، بعضها يتناص مع بعض أبيات القصيدة، ومطلعها:

كانت الأرض والسماوات رتقا فأراد الرحمن للجمع فتقا

فمطلع القصيدة يتناص مع الآية الأولى التي صدر بها الشاعر وهي قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء-30).

والتناص هنا جلي (مباشر)، ولا يراد منه إلا تقرير حقيقة علمية، وإثبات معجزة القرآن الكريم التي تحدثت عن أمور أثبتتها العلم الحديث. والشاعر يتخذ من تلك الحقائق عن بداية الكون التي أثبتتها العلم الحديث دليلاً على البعث والنشور والجزاء الذي ذكره الله في القرآن الكريم، فكما صدقت تلك الآيات عن بدء الكون، فإن الآيات التي تنذر بالبعث والنشور ستصدق أيضاً:

ثم يأتي يوم القيامة حتماً ويكون الحساب عدلاً وحقا

والحالة الثانية التي جاء فيها التناص من النوع الجلي أيضاً هي قول الشاعر في قصيدة بعنوان (شياطين وشياطين):

والعنصرية قد أرسى قواعدها إبليس: "ناري أنا خير من الطين"

ففي الشطر الثاني تناص جلي مع قول الله تعالى على لسان إبليس: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (ص 76). وقد وضع الشاعر النص بين قوسين للدلالة على أنه مقتبس من القرآن الكريم، وإن كان قد حوّر في العبارة ليستقيم له الوزن. وقد جاء التناص مناسباً لجو القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن شياطين الجن والإنس. وبعد أن يُعدّد الشاعر جرائم إبليس وشياطينه يختم القصيدة بقوله:

لكنهم دون صهيون بما اقترفوا من الجرائم في الشعب الفلسطيني

أما التناص الخفي، فأمثلته كثيرة، والتناص الديني في عمومته أكثر من التناص الأدبي في شعر شهاب غانم، مما يدل على عمق ثقافته الدينية.

فمن أمثلة التناص الخفي قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (الحل):

واجنحوا للسلام مهما تمالى
وفيهِ تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنفال، 61). والشاعر في القصيدة، لا يدعو إلى السلام مع العدو،
ولكنه بنى قصيدته على أسلوب التهكم والسخرية، فهو منذ المطلع يخاطب قومه قائلاً:

اطلبوه من قمة (البندقية) ودعونا من فوهة البندقية

وذكر الشاعر أنه كتب القصيدة "ليلة أعلن الكيان الصهيوني القدس عاصمة أبدية
لإسرائيل". فتأثرت تأثرته، وخاطب قومه مبكثاً لائماً لهم للجوئهم إلى غير ذات الشوكة.
وجاء التناص مع الآية الكريمة موفقاً جداً، فالآية الكريمة تحت على الجنوح للسلام إن
جنح العدو لها، أما الشاعر فإنه يأمر قومه -ساخراً- أن يجنحوا هم للسلام مهما تمالى
العدو في طغيانه. فكأن الشاعر يشير إلى أن قومه قد عكسوا الآية الكريمة، فوقعوا في
الذل والمهانة، ولو فهموا قرآنهم حق الفهم لما صاروا إلى ما صاروا إليه.
ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (الصندوق):

هذا الصندوق الوسواس الخناس

يبتلع رؤوس جميع الناس

وهي قصيدة طريفة يصف فيها الشاعر (التلفاز) ويشبهه بالشيطان (الوسواس الخناس).
وفي هذا تناص خفي مع قول الله تعالى في سورة الناس: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾
مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُّوسْوِسُ فِي
صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾). فكأن الشاعر يستعيز بالله من شر هذا
الصندوق الذي يوسوس للناس، ويخنس إذا استعازوا بالله منه. وجاء التناص موفقاً لأن
التلفاز يشبه الشيطان في وسوسته، والوسوسة هي الصوت الخفي، فكأن التلفاز يحث
الإنسان على المعصية بطريقة خفية غير ظاهرة، فشابه بذلك الشيطان الذي يخنس إذا
استعيز منه بالله.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (تجليات في وادٍ غير ذي
زرع):

أُتِينَاكَ مِنْ كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ

نَلْبِي النَّدَاءَ.

وفيها تناص مع قول الله تعالى مخاطباً إبراهيم الخليل عليه السلام: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (الحج، 27). والتناص جاء مناسباً لموضوع القصيدة، وهو الحج، ومناسباً لألفاظها ومفرداتها. وفي استدعاء الشاعر لهذه الآية تأكيد على أنه قَدِمَ من مكان بعيد، فقد ربط الله تعالى في الآية بين الضوامر، وهي الإبل الهزيلة من كثرة السفر، وبين الفج العميق، وهو الطريق البعيد. وهي من قصيدة كتبها الشاعر بعد أدائه مناسك الحج، كما يبدو، ومطلعها يخاطب المولى عز وجل:

أُتِينَا إِلَيْكَ

نردد لبيك .. لبيك ... لبيك

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (جموح):

كَأَنَّكَ مِنْ صَافِنَاتِ الْخِيُولِ.

وفيه تناص خفي مع قول الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) (صَاد، 31)⁽¹⁾. والتناص مناسب لجو القصيدة التي يشبه فيها الشاعر حبيبته حين أقبلت تعدو نحوه بالمهرة الأصيلية، وكأنها من الصافنات التي ترفع إحدى يديها ليكون ذلك مناسباً لانتصاب الفتاة. كذلك فإن استدعاء الآية يشير من طرف خفي إلى قصة سليمان عليه السلام مع الخيل التي شغلته عن الصلاة، فكأن الشاعر يريد أن يقول إن هذه الحبيبة قد شغلته عن كل ما حوله.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (وا زياده) التي رثى بها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله:

وَمَنْ يَهَاجِرْ عَلَى حَقٍّ يَجِدْ أَبَدًا مُرَاغِمًا فِي بِلَادِ اللَّهِ يَنْتَظِرُ

ففي البيت تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ

أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء، 100). وفي القصيدة يشير الشاعر إلى المهاجرين الذين قدموا إلى الإمارات من بلدانهم التي لم يجدوا فيها مجالاً للعيش الكريم، فلتقاهم الشيخ زايد رحمه الله بالعطف والحنو ومنحهم جنسية الدولة فأصبحوا من رعاياها ينعمون بخيراتها، ويعيشون في عزة وكرامة. وجاء التناص مع الآية الكريمة مناسباً لجو القصيدة، حيث تشير الآية إلى أن من يترك وطنه مهاجراً في سبيل الله فإنه يجد في الأرض مراغماً كثيراً، أي "مهاجراً وطريقاً يراغم بسلوكه قومه، أي يفارقهم على رغم أنوفهم" (2).

ومن التناص الخفي في القصيدة نفسها قول الشاعر:

قد اعتصمنا بحبل الله فاجتمعت ريح لنا قوة نادت بها السور

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران، 103).

والتناص مناسب لجو القصيدة لأن الشاعر يذكر اتحاد دولة الإمارات، وأنه استجابة لأمر الله تعالى الذي أمرنا بالاعتصام بحبله. وفيه أيضاً تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّزِعُوا فَتَنُوشُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال، 46). فذكر أن (ريحهم قد اجتمعت)، لأنهم لم يتفرقوا كما حذرتهم الآية. وجاء التناص مناسباً لموضوع الأبيات التي تشيد باتحاد الإمارات، وتجمعها، فلم تفشل ولم تذهب ريحها.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (بأبي وأمي أنت يا رسول الله) التي كتبها "من وحي الرسوم الكرتونية الدنمركية":

هو للعالمين رحمةً رحمنٍ وللمؤمنين ظلٌّ ظليلٌ

ففي الشطر الأول تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء، 107). وفي الشطر الثاني تناص مع قوله تعالى:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة، 128). وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي تتحدث عن عظمة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وتبين أنه رحمة للعالمين، وأنه حريص على المؤمنين رؤوف بهم.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (هيروشيما صهيون):

ففي الحجارة ما تجري المياه بها بين الشقوق وما قد تَجُرُّ الثُّهْرُ
وفي الحجارة ما تتهار هابطةً من خشية الله مولاها فتكسرُ

وفي البيتين تناص خفي مع قول الله تعالى عن بني إسرائيل: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة، 74). وقد جاء التناص مناسباً لموضوع القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن قسوة قلوب الصهاينة:

قست فما مثلها الجلود والحجرُ تلك القلوب فما أصحابها بشرُ

ثم يستدعي الآية الكريمة التي تتحدث عن قسوة قلوب بني إسرائيل فهي كالحجارة بل هي أشد. والقصيدة كتبها الشاعر بمناسبة الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان في صيف سنة 2006م:

واليوم "هيروشيما صهيون" نشهدها في كل لبنان لا تبقي ولا تذرُ

ويبدو استدعاء الآية الكريمة مناسباً للسياق، لأن الله تعالى يختم الآية بقوله: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، وكأن الشاعر بذلك يؤكد أن الله تعالى لن يترك الصهاينة دون عقاب، وأنه سبحانه يمهّل ولا يهمل.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (هذي الحياة):

فاختر لنفسك درباً ينتهي ورعاً في جنةٍ ما لها عرضٌ ولا طولُ

ففي الشطر الثاني تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران، 133). قال الزمخشري في تفسير

الآية: "المراد وصفها بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه"(3).

والشاعر يقصد أن الجنة ليس لها (عرض ولا طول محدد)، وقد حذف الصفة على عادة العرب في ذلك إذا كانت معروفة مشهورة. ومنه قوله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيحَةٍ غَصْبًا) (الكهف، 79)، أي (كل سفينة صالحة)، فحذف الصفة لأنها تفهم من السياق، ومثله قول المرقش الأكبر:

وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَدَّيْنِ بِكَرٍ مُنْعَمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدٌ

فحذف صفة الفرع والجيد لأنه من المعروف أن العرب تحب الفرع (الشعر) الأسود والجيد (العنق) الطويل.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (ألا بذكر الله):

ألا بذكرك قلبي يطمئن وهل بغير ذكرك قلب المرء يرتاحُ

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد، 28). والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها، وهو يشير إلى أن الشاعر مؤمن بالله تعالى، لأن الآية خصت اطمئنان قلوب المؤمنين بذكر الله. ومن التناص الخفي في القصيدة نفسها قول الشاعر:

يا من خلقت الطباق السبع خذ بيدي فملاء دربي شياطين وأشباح

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) (نوح، 15).

وكذلك قوله:

كل النفوس إلى النجدين قد هُديت فالوحي والمصطفى والكون شراح

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد، 10).

وكلها متناسبة مع موضوع القصيدة وهو تعداد نعم الله على عباده، فقد خلق لهم هذا الكون وسخره لهم، وهداهم إلى طريق الحق والخير ليتبعوه، وحذرهم من طريق الشر والفساد ليجتنبوه، إلى آخر تلك النعم التي عدتها القصيدة.

ومن التناص الخفي مع القرآن الكريم أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (تأملات في اللحظات الأخيرة):

ولَقِّنِّي إذا حشرجت يوماً وجاءتني التي منها أحيِدُ
ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)
(ق 19). والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها وهو رغبة الشاعر أن تنتهي حياته
على الإيمان، وتكون آخر الكلمات على لسانه شهادة التوحيد:
أريد على لساني حين أقضي شهادة أنك الربُّ الوحيدُ
ثم يسأل الله أن يلقنه الشهادة حين تأتيه سكرة الموت، التي يحيد منها كل إنسان، ولكنها
آتية لا ريب فيها.

التناص مع الحديث الشريف

جاءت جميع أمثلة التناص مع الحديث الشريف من النوع الخفي. فمن ذلك قول الشاعر
في قصيدة بعنوان: (الزمن السريالي):

كَثُرَ الهَرْجُ
وَكَثُرَ المَرْجُ
كَأَنَّ علامات الساعة
تصفع وجهك يا غافل.

والتناص هنا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم معدداً علامات الساعة: (لا تقوم
الساعة حتى يظهر دجالون ثلاثون كلهم يزعم أنه رسول الله ويفيض المال فيكثر وتظهر
الفتن ويكثر الهرج والمرج قال: قيل: أي الهرج؟ قال: القتل القتل القتل ثلاثاً⁽⁴⁾).
والتناص مناسب لموضوع القصيدة الذي يتحدث فيه الشاعر عن اختلاط الحابل بالنابل،
وكثرة القتل والإبادة الجماعية، فكان استدعاء الحديث الشريف الذي يصف أشرار الساعة،
مناسباً وموفقاً، فكل ما يحدث اليوم على الأرض هو تحقيق لهذا الحديث الشريف.

ومن التناص الخفي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (يا باذل النفس) التي كتبها "إلى أبطال مخيم جنين ونابلس الذين راحوا يسجلون الملاحم بدمائهم وهو يدافعون عن شرف هذه الأمة":

والمسلمون غثاءً في خنوعهم قد أفرغوا الدين من أسمى معانيه

ففيه تناص خفي مع حديث ثوبان المشهور: (توشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت)⁽⁵⁾.

والتناص مناسب لجو القصيدة التي تصف تضحية أبناء فلسطين بدمائهم الزكية بينما بقية المسلمين يراقبون من بعيد وكأن الأمر لا يعينهم. فيصف الشاعر خنوع المسلمين وغنائيتهم ويردها إلى تخليهم عن تعاليم دينهم.

ومن التناص الخفي مع الأحاديث القدسية قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (مناجاة) مخاطباً المولى عز وجل:

وإن أتيتك مشياً جئت هرولةً غمرتني بالسنا الفياض والنور

ففي الشطر الأول تناص خفي مع الحديث القدسي: (عن النبي صلى الله عليه وسلم، يرويه عن ربه، قال: إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيتُه هرولةً)⁽⁶⁾.

والتناص مناسب لجو القصيدة وموضوعها الذي هو مناجاة الشاعر للمولى عز وجل، حيث يعدد نعم الله على عباده، ومنها أنه يتقرب إليهم أكثر كلما تقربوا إليه.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (أنشودة لطيور الانتفاضة):

بل قل إنهم أسراب طير

من أبايل.

ففيه تناص خفي مع قول الله تعالى في سورة الفيل: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ

بِحَجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾. وتشبيه أطفال الانتفاضة بالطير الأبايل تشبيه موفق، فهم على ضالة حجمهم وقلة أسلحتهم، وهي الحجارة، إلا أنهم زلزلوا العدو، وفعلوا فيه فعل الطير الأبايل بجيش أبرهة الحبشي.

وفي القصيدة أيضاً تناص أدبي مع قول شاعر الأقصى يوسف العظم رحمه الله:
حجارة القدس نيرانٌ وسجيلُ وفتية القدس أطيّارُ أبايلُ

والقصيدتان كُنبتا في نفس العام، ولا ندري أي الشاعرين أُسبق، ولعلَّ الأمر من توارد الخواطر.

التناص الأدبي

يتجلى التناص الأدبي في شعر شهاب غانم من خلال التناص مع أبيات أو أجزاء منها من التراث الشعري القديم والمعاصر. وقد جاء التناص بنوعيه الجلي والخفي، وإن كانت أمثلة الخفي أكثر. وسنورد أمثلة من كلا النوعين.

التناص الجلي

من أمثلة التناص الجلي قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (المجنون)، التي كتبها "من وحي اعتداء غولدمان على المصلين في المسجد الأقصى":

يتكسر في صدري النصل على النصل
رحم الله أبا الطيب .. كان تعيساً مثلي
لكن .. ما كان ضعيفاً مثلي.

والتناص هنا مع قول أبي الطيب المتنبّي⁽⁷⁾:

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِّن نِّبَالٍ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامُ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

وقد عددناه من التناص الجلي، رغم أن الشاعر لم يورد النص كما هو، لأنه أشار إلى المتنبّي. والتناص مناسب لجو القصيدة الذي يصور ما تتلقاه الأمة من طعنات العدو حتى أصبح جسم الأمة في غشاء من نصال تتكسر على بعضها. وإن كان المتنبّي

يتحدث عن الأرزاء والنصال المعنوية، إلا أن الشاعر يتحدث عن النصال المعنوية والحسية.

ومن التناص الجلي أيضاً قوله في قصيدة بعنوان: (يا باذل النفس):
فأين شوقي دم الأحرار يطلبه يسيل من قبضة دقت تناديه

والتناص هنا مع قول أحمد شوقي⁽⁸⁾:
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يُدقُّ

وقد عددناه من التناص الجلي لأن الشاعر أورد اسم شوقي، وإن لم يورد بيته كاملاً. والتناص مناسب لجو القصيدة التي تمجد التضحية بالدماء في سبيل الوطن والعزة والكرامة والحرية.

ومن التناص الجلي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (خِمار):
ويرجع للأشعار أطلَى عيونها: "عيون المها بين الرصافة والجسر"

فالشطر الثاني هو تناص جلي مع قول علي بن الجهم:
عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجَسْرِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
والشاعر في القصيدة يصف فتاة تلبس الخِمار، يقول في مطلعها:

تتبرين في هذا الخِمار كما البدر ومن دون "مكياج" ولا رشة العطر
وفيها يصف جمال تلك الفتاة ونورانياتها، ثم يصف عيونها في ذلك البيت. وفي استدعاء بيت ابن الجهم الشهير ما يشير إلى أن الشاعر قد أصابته سهام عيونها وجلبت له الهوى من حيث يدري ولا يدري. ولكن الشاعر يختم قصيدته التي نظمها وهو على مشارف السبعين بقوله:

حنانيك لا أبغي من الحسن والسنا سوى ومضة الإلهام في مغرب العمر

ومن التناص الجلي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (شياطين وشياطين):

"وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت" فودعها بياسين

والشطر الأول تناص جلي مع قول أحمد شوقي:

وَأِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ مَضَوْا فِي إِثْرِهَا قُدُّمَا
ووجود عبارة "فإن تولت" في الشطر الثاني من بيت شهاب غانم يدل على وعيه ببيت
شوقي الذي يخطيء كثير من الناس في رواية الشطر الثاني منه، وهو من قصيدته التي
مطلعها:

يَارَاكِبَ الرِّيحِ حَيَّ النِّيلَ وَالْهَرَمَا وَعَظَّمَ السَّفْحَ مِنْ سِينَاءَ وَالْحَرَمَا
وقصيدة الشاعر شهاب يتحدث فيها عن شياطين الجن والإنس:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ جَنًّا مِنَ النَّارِ أَوْ إِنْسًا مِنَ الطِّينِ
ويقرر أن شياطين الإنس أخطر من شياطين الجن لأن شياطين الجن تخنس إذا تعوذ
بالله منهم، أما شياطين الإنس فلم تعد تشبعهم الملايين. ثم يذكر بيت شوقي ليؤكد على
أهمية الأخلاق وأن الإنسان إذا تجرد منها تجرد من الإنسانية. ويبدو التناص -في رأيي-
مقحماً على النص غير متسق معه، فالبيت الذي قبله يتحدث عن شراة شياطين الإنس
في جمع المال:

هَذَا يَسَابِقُ هَذَا فِي شِرَاهَتِهِ وَكُلُّهُمْ يَقْتَتِي أَمْوَالَ قَارُونَ

ثم يأتي البيت موضع الشاهد مقحماً في غير سياقه حيث لم يمهّد له الشاعر ببيت
يتحدث عن ضياع الأخلاق عموماً، أو عن أهميتها، قبل أن يقدم بيت شوقي.

التناص الخفي

أما التناص الخفي فأمثلته كثيرة، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (في ربي
الأرز):

ووراء الزجاج في السفح لبيروت بریق من لؤلؤ وجمان
تتراءى أضواؤها مثل ألماسٍ ودر في جيد سود الحسان

ففي البيت الأخير تناص خفي مع قول المعري يصف ليلته:

ليلتي هذه عروسٌ من الزنج عليها قلاند من جمان

والشاعر لم يوفق -في رأيي- حيث شبه أضواء مدينة بيروت في الليل (في السطح) بالآلماس والدر في جيد الحسناء السوداء وهي أضواء حمراء وليست بيضاء مثل الجمان واللؤلؤ. أما المعري فيصف النجوم، ولهذا جاء تشبيهه أبلغ.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (عيد):

والنصر يبدأ بالإيمان منطلقاً وتضحيات وإقدام وإصرارُ
وأنفسٍ فوق حد السيف سائلةٍ ولا طغى فوق وجه الأرض جبارُ

ففي البيت الأخير تناص خفي مع قول السموأل:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ
والأبيات من قصيدة كتبها الشاعر عن العيد، ولكن مآسي أمته منعتة من أن يجد للعيد طعماً:

يا عيد لم يبق في الأعياد أوطارُ كيف السرور وملء القلب أوضارُ
وأرى أن الشاعر لم يوفق في الكلمة الأخيرة في البيت، فالأوضار هي الأدران والأوساخ، وهو يتحدث عن قلبه الذي يأسى لحال أمته، فكيف يصف ما فيه بالأدران؟ ولو قال - مثلاً- (وملء القلب أكارُ) لكان أوفق.

وبعد أن يعدد مآسي الأمة، يرسم طريق النصر لها، الذي يبدأ بالإيمان، ثم العلم والتخطيط، ولعله يقصد به الإعداد للمعركة، ثم التضحية والجهد بالنفوس التي تسيل على حد السيوف. وقد جاء التناص مع بيت السموأل متنسقاً مع جو القصيدة التي ترسم طريق النصر للأمة؛ وأبيات السموأل في الفخر بالقبيلة التي تضحي بنفوسها في سبيل العزة والكرامة.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (هو الحب):

هو الحب كم للحب من سطوة السحرِ إذا حل في قلب تحكم في الأمرِ
وهو مطلع يتناص بخفاء مع قول ابن الفارض:
هو الحُبِّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهلَ فما اختارَه مُضْنَى به وله عقلُ

والتناص مناسب لجو القصيدة التي تذكر أنواع الحب، وتبين أثره في النفوس. ويتفق الشاعران في بيان شدة أثر الحب، فبينما يراه ابن الفارض يذهب العقل، يرى شهاب أنه يشبه السحر في سطوته. ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (من أين أدخل في الميراث يا أبتى):

من أين أدخل في الميراث يا أبتى؟ وكل بابٍ أمامي دون أقفال
وقوله: (من أين أدخل في الميراث يا أبتى) الذي جعله عنواناً للقصيدة وكرره في أكثر من بيت، يتناص مع قول نزار قباني في قصيدته الشهيرة (يا تونس الخضراء):
من أين أدخل في القصيدة يا ترى وحدائق الشعر الجميل خرابٌ
وكما كان الشاعر نزار حائراً كيف يبدأ قصيدته، كذلك كان الشاعر شهاب حائراً لا يدري كيف يبدأ في رثاء والده، لتعدد مواهبه، ولتزامم الأفكار في رأس الشاعر، فلا يدري أيرثي فيه العالم:

من مدخل العلم؟ يا من قد سبقت به كل الرجال بآماد وأميل
أم يرثي فيه الشاعر:
عشرون سفراً وديواناً تركت وكم نقشت بالشعر من رسم وتمثال
أم يرثي فيه المؤرخ:
يا من دخلت إلى التاريخ في وطن ال تاريخ يزهو بفرسانٍ وأقبالٍ
وهكذا جاء التناص متناسباً مع حالة الشاعر حيث شتت الفاجعة أفكاره، فلم يدر كيف يدخل في قصيدة الميراث، تماماً كما كان نزار مبعثراً من هزائم أمته فلم يدر كيف يدخل في قصيدة هجائها.

ومن التناص الخفي أيضاً قول الشاعر في مطلع قصيدة بعنوان: (هيكال الطين):
كل هذا الجمال يوماً سيمضي وطعاماً للدود سوف يكونُ
إلى أن يقول:

وامنحني من قبل فوت أوإن بعض وصلٍ فنحن ماءً وطينُ

وفي مطلع القصيدة تناص خفي مع قول المتنبي⁽⁹⁾:

رَوْدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَامَ
فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالُ تَحَوُّلٍ
وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
فَإِنْ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ

على أن المتنبي -في رأيي- كان أوفق، إذ كان أوجز عبارة، فلم يطل في ذلك كما أطال الشاعر شهاب الذي استغرق المعنى منه سبعة أبيات. كما أن المتنبي كان أكثر أدباً مع محبوبته، فهو لم يذكر (الدود) ولا (فناء النهدي الجموح)، وإنما اكتفى بالإشارة الخاطفة إلى الموت في قوله: (فإن المقام فيها قليل)، فجمع في البيتين بين زوال الحسن بعوامل السن والكبر، وزواله بالفناء بينما اقتصرت أبيات الشاعر شهاب السبعة على ذكر زوال الحسن بالفناء.

والشاعر شهاب في صنيعة هذا يذكرنا بقول ابن سناء الملك في هذا المعنى:

صَلِينِي وَهَذَا الْحَسَنُ بَاقٍ قَرِيماً
يُعْزَلُ بَيْتُ الْوَجْهِ مِنْهُ وَيُكْنَسُ

وقد عابه القاضي الفاضل وقال عنه: "والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها ولكن بيت (يُعْزَلُ وَيُكْنَسُ) أردت أن أكنسه من القصيدة"⁽¹⁰⁾.

وهكذا تجولنا في شعر الدكتور شهاب غانم، وتتبعنا نماذج من التناص الديني والأدبي في شعره. ورأينا أن ورود التناص الديني في شعره أكثر من التناص الأدبي، مما يدل على عمق ثقافته الدينية، ورأينا أن التناص الديني والأدبي قد أتى بنوعيه الجلي والخفي؛ وكان الشاعر موفقاً في معظمها.

الهوامش والإحالات:

- 1- الصافنات جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلاث قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر.
- 2- الزمخشري: محمود بن عمر: الكشف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2006م، ج1، ص 427.
- 3- الكشف، ج1، ص 317.
- 4- رواه ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط مسلم (موقع الدرر السنية).
- 5- رواه الألباني في السلسلة الصحيحة عن ثوبان مولى رسول الله (موقع الدرر السنية).
- 6- رواه البخاري في صحيحه عن مالك بن أنس (موقع الدرر السنية).
- 7- البرقوق: شرح ديوان المتنبي، ج3، ص 141.
- 8- الشوقيات، ج2، ص 77.
- 9- البرقوق: شرح ديوان المتنبي، ج3، ص 267.
- 10- الحموي، ابن حجة: ثمرات الأوراق في المحاضرات.

ثنائية الشعر والحياة في ديوان "مئة قصيدة وقصيدة"

حمزة قناوي*

عندما يصدر الشاعر أعماله الكاملة فإنه بذلك يكون قد لامس طرفي دائرة عنوانهما الشعر والحياة. وهي دائرة قصيدة عصية لا يملك قرار اتخاذ لحظتها سوى مبدع اطمئن إلى أن ما قدمه إنما هو حصيلة عمر كامل حشد رحلته مع رؤاه في كلمات لا تقنى ولا يُكتب عليها الزوال.

وهناك الكثير من الشعراء الذين قدّموا أعمالهم الكاملة معتبرين هذه الأعمال نقطة على آخر سطر في شهادتهم الإنسانية المحكومة بالإبداع. فماذا سيقدّم الشاعر أكثر من أعماله الكاملة؟

أما أن يجتاز الشاعر أعماله الكاملة إلى أعماله المنتقاة.. فهذا نوع آخر من الإبداع الذي نستطيع أن نطلق عليه "الإبداع التصنيفي"، الذي يعتمد لا على التراكم الإبداعي والوفرة الإنتاجية للمبدع، وإنما على معايير أخرى يضعها الشاعر بنفسه وتختلف من شاعر إلى آخر.. ما بين الاتكاء على المعيار الزمني لكتابة القصائد (تاريخ كتابة القصائد وتتابع مراحل تطور الشاعر عبر الدواوين الصادرة.. زمنياً) أو من خلال تصنيف معياري يعتمد الموضوع ركيزة له.. (الشعر الرومانسي على سبيل المثال، والشعر الاجتماعي أو الشعر المكتوب لأغراض أخرى.. إلخ).

والدكتور شهاب غانم استطاع باقتدار أن يتجاوز مرحلة مراكمة الأعمال الإبداعية – على ريادتها وقيمتها – في الأعمال الكاملة التي صدرت عن (هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث)، إلى انتقاء أعمال مميزة ضمن أعماله الكاملة اختارها وصنّفها بعناية في ديوانه الجديد الصادر مؤخراً (مئة قصيدة وقصيدة).. وهو العمل الذي اعتمد تصنيفه على الأساسين المذكورين سابقاً.. فالأول هو التسلسل الزمني حيث يرثب الشاعر قصائده تصاعدياً حسب تاريخ كتابتها الذي يبدأ في القصيدة الأولى سنة 1960م. وتتواتر بنا القصائد حتى تصل إلى عام 2011م. أي ما يربو على النصف قرن من الرحلة مع الشعر.. أما

* شاعر وناقد مصري، ولد في القاهرة عام 1977م. نشرت في مجلة (بيت الشعر)، أبوظبي، العدد (8)، يناير 2013م.

الأساس الثاني الذي يعتمد عليه دكتور غانم لتراتبية قصائده في الديوان فيعتمد على انتقائه الخاص لقصائده الأقرب إلى نفسه، مستضيئاً في ذلك بآراء النقاد والصحفيين والأدباء والأصدقاء الذين أثنوا عليها بشكل خاص، فمن هنا.. كان هذا هو الأساس الثاني لاختياره هذه القصائد المئة التي تُشكّل ثلث إبداعه الذي قدّمه عبر أكثر من ربع قرن من الإبداع والكتابة.

أما القصائد نفسها.. فقد تعددت محاورها واتجاهاتها التي كُتبت في إطارها، فنجد في هذا التنوع قصائد تدور في الإطار الوجداني وأخرى في الإطار الفلسفي وثالثة في فلك السياسة، وقصائد أخرى تتناول صوراً اجتماعية مختلفة: إن للشاعر وحياته في قلبها، أو لمجموعاتٍ أخرى من البشر التصقت بطفولته البعيدة.. إضافة إلى شعر الرثاء والشعر الديني الذي يتخذ من التضرع ومناجاة الله سبحانه وتعالى محوراً ومرتكزاً له.. إضافة إلى الشعر المُتغني بالطبيعة والذي يحشد فيه الشاعر الجماليات التي تتخذ من المدارس الرومانتيكية والطبيعية منهلاً لمفرداتها ومعجمها الغارق في الشاعرية..

من هنا.. نستطيع أن نصل إلى نتيجتين:

الأولى: أن هذه المجموعة المختارة من القصائد إنما استطاعت أن تدلّ على آثار رحلة د. شهاب غانم مع الشعر بمعظم اتجاهات هذه الرحلة الثرية وتستخرج أقصى إمكاناتها من خلال استيعاب جُل ما تناولته هذه الرحلة من اتجاهات إبداعية مُختلفة.

والثانية: أن القارئ لقصائد هذه المجموعة يستطيع أن يدرك من الوهلة الأولى أن الدكتور شهاب غانم كان عبر مسيرته الشعرية الباكورة مختلفاً عما تعارف عليه تطور الإبداع من أن حركة التطور لدى أي شاعر إنما تبدأ من الاتجاه الوجداني، وتُمرّ بمراحل أخرى واتجاهات فكرية مختلفة قبل أن تصل إلى التوجه الواقعي في الكتابة والشعر الفلسفي (الفلسفة أرقى وأعقد درجات الفكر الإنساني كما هو معروف).. وهذا التطور واتجاهه ليس ناموساً "يجب" أن يسير عليه الشعراء في تراتبية محسوبة، وإنما نحن نستقرؤه من التاريخ وعبر تطور حتى المدارس الشعرية نفسها التي بدأت مع الرومانسية ومرت بالمدارس والتوجهات الاجتماعية قبل أن تتخذ من الإنسان وآلامه وتطلعاته ركيزة لها..

فتأخذ من الشعر الفلسفي الراصد للإنسان وموقعه من الوجود مرتكزاً لها.. قبل الوصول إلى الشعر الواقعي - الذي شاع بعد الحرب العالمية الثانية - باعتباره آخر المحطات المنهجية في رحلة المدارس والشعراء مع الشعر.. وأقول آخر المحطات "المنهجية" لأن بعدها تلتها الكثير من المحطات الأخرى التي للأسف اعتمدت على عشوائية الكتابة وفوضى الصورة وانعدام المعنى والمرتكز وهو ما يُدعى بحركات ما بعد الحداثة.. والاتجاهات الغارقة في العبث والتي ذكرها شاعرنا الدكتور شهاب غانم في أكثر من قصيدة مهاجماً إياها واصفها بـ (شعر الخرابيط)!

ما أردت قوله أنه بالرغم من أن التاريخ يذكر لنا هذه التراتبية التي تحدث عادةً في حياة الشعراء من خلال تطور رؤاهم وفكرهم نضج عوامل رحلتهم مع الإبداع.. بشكل تقريرى.. فإن شاعرنا الدكتور غانم اختلف عن ذلك منذ بداياته الباكرة. حيث نجد أن شعره الوجداني ليس رومانياً خالصاً وإنما به تغنٍ بالطبيعة من جهة، وإسرار إلى النفس ومناجاة لها من جهة ثانية، كما أنه ينحو إلى الفلسفة في نموذج ثالث.. ويبدو هذا مثلاً في قصائد (عواطف وعواصف) و(حلول) و(من وراء الستار الحديدي) وغيرها من القصائد.

الذات في مواجهة العالم.. ثنائية الداخل والخارج

كطبيعة الشعر الرومانسي ومفهومه الذي يتخذ من الإنسان محوراً للكون، بكل ما يحمله من قضايا وأفكار وأحلام وعذابات، تأتي القصائد الرومانسية لشاعرنا د. شهاب غانم، مصورةً له في كثير منها وهو يقف في مواجهة العالم منفصلاً عنه بما يحمل كلاهما من سلمٍ قيمي مختلف عن الآخر.. فالشاعر يركز في رحلته الدنيوية على قيمه وأفكاره وأحلامه التي تنتش الخير والحق والجمال، وأحياناً التمرد والغضب، في مواجهة عالم يفيض باللامعنى وحشد المادية وسيطرة الأنانية والإجهاز على الحق وكأننا في نهاية العالم. وهذه الأفكار تتلاقى على امتداد الكثير من القصائد كخيطةٍ سريّةٍ شفيفةٍ غير مرئيةٍ يوحد الكثير منها على هذه النقطة وإن اختلفت توجهاتها وأغراضها ما بين روماني أو

اجتماعي أو سياسي أو غير ذلك. فالركيزة الأساسية التي نستطيع أن نقول إن قصائد هذه المجموعة ترتكز عليها هي التغني بالإنسان ونضاله وقيمه والسخرية من العبث وسيطرة اللامعنى. يقول شاعرنا في قصيدة (الزمن السريالي):

اختلطَ الحابلُ بالنابل

فالمقتولُ غدا القاتل

والسافلُ أمسى العالي

والعالي أمسى السافل

في هذا الزمن السريالي

هذه القصيدة التي يتناول فيها شاعرنا أوضاع كوكبنا الذي سكنه الجنون وملأته التناقضات في السياسة والحياة الاجتماعية وما يفيض به العالم من صور تستعصي على التحليل.. ف

تموتُ بداء التطهير العرقي

بلاذٌ كانت تسترخي تحت خمائل

وبلاذٌ كانت ترفعُ رايات الدين

تموت اليوم لقلب الدين ...

ويكمل الشاعر:

اختلط الحابل بالنابل

وابتلى العالمُ بالجاهل

صوتُ البلبُل أصبحَ نمطياً ممجوجاً

ونعيقُ البوم غناءً بلابل

والقصيدة تعزف على تنويعات السياسة والقادة والسياسيين - في الفترة التي كُتبت فيها بدءاً من سيطرة الميديا على مشهد العصر.. وانتشار أطباق اللاقط الهوائي كحبات الجذري في وجه المُدن، وصولاً إلى الألعاب الإلكترونية التي انتشرت كالوباء بين فتيان الأجيال الجديدة وحُمى المؤتمرات التي تُعقد لحقوق الإنسان ثم لا تُحصل له حقوقاً على

أرض الواقع.. ويتناول الشاعر شخصيات سياسية.. كيلتسين ولينين وكلينتون وسياد بري وأدولف هتلر وغيرهم.. قبل أن يعرّج على مفكرين وكُتّاب وشعراء: دانتي وهوميروس وشكسبير والمتنبي وبوشكين.. يشير الشاعر إلى أقوالهم.. أفكارهم ومبادئهم وما أرادوه للبشرية، وأن بعض رؤاهم ومبادئهم تتحقق بالفعل في هذا الزمن الأعمى المبهوس. هذا العصر نفسه الذي تشيع فيه الأوبئة وأمراض العصر: جنون البقر..

ماذا حلّ بعاصمة الحكمة لندن ؟

حتى البقر هناك "تجنّن"

فالبقر - ولو كان عُجولا

غذّوه أدمغةً فاسدةً فغداً مخبولا

أفضل لو يُفطرُ فولا !

أما قارة حام فتشهدُ هولا

تلوّحُ إيبولا

وتلوّحُ باسمّةٍ من خلف الإيدز

تموتُ ملايين التوتسي والهوتا

تتسوّلُ أدويةٌ أو قوتا

فتهبُ جيوش الأوبئة وأرتال القحط وتشبعهم موتا

ويا لها من صورةٍ قاتمةٍ حقاً لهذا الزمن.. يختمها الشاعر بالنتيجة التي توصل إليها عبر

كل هذه المشاهدات والرؤى:

هذي أزمان الهرولة السريالية

أزمان القنبلة الذرية

والكيماوية.. والنابالمية

والفوسفورية.. والعنقودية

والجرثومية.. والإرهابية

في هذا الزمن السريالي

اختلط الحابل بالنابل

وغدا المجنون هو العاقل !

هذه الرؤية الناقدة التي يتسلّح بها الشاعر في مواجهة هذا العصر المقلوب الأوضاع إنما تمتح من معين عميق في أغوار نفسه الممتلئة بقيم الإنسان.. وكثيرة هي القصائد التي وردت في المجموعة عازفةً على هذا الوتر نفسه.. وتر العالم الغارق في العبث والعنف.. ومواجهة الإنسان / الفرد وحيداً أمامه.. والشاعر وحده الشاهد على هذه المعادلة غير العادلة، من هذه القصائد (حضارة النابالم) و(العولمة) و(الموت والحضارات) و(في عصر الاستهلاك) وغيرها من القصائد التي ترثي هذا العصر وإنسانه.

في الفلسفة وأسئلة الوجود

إن القيمة الحقيقية لأي شعرٍ إنما تُقاس على عاملين: البناء الفني (فالن إجمالاً بنيةً وتكوين في الأساس) ونبل وأهمية المادة/ الموضوع مناط العمل. وهذا ما يجعل الشعر يسمو عن النظم من هنا تأتي فرادة الكثير من قصائد هذا الديوان.. فالشاعر الذي رأيناه في الكثير من القصائد الماضية التي تناولناها يقف متخذاً موقفاً من العالم في دوائره الفارغة العبثية التي تنتصر للقيمة والانظام والعبث إنما يتخذ هذا الموقف الراسخ من فلسفة عميقة ركيزتها الإيمان والاعتقاد الفكري الراسخ بثوابت و يقينيات لم تهتز في نفسه لحظة، وهي تطالعنا بين حين وآخر في قصائد مثل (تضرع) و(لك الحمد) و(بأبي وأمي أنت يا رسول الله) و(ألا بذكر الله).. وغيرها من قصائد. والقصائد السابقة التي تتضح أهدافها ومعانيها وقيمها من عتبتها النصية - العنوان - إنما تشير إلى كينونة وطبيعة الشاعر الذي يتخذ من الإيمان ديدناً لرؤاه التي تحلل الواقع البشري وتواجه ما تراه في العالم من خلل وفساد.. أو ما أطلق عليه شيلي (شهوة إصلاح العالم).

وفي قصيدة (حلول) تطالعنا فكرة (الحلول) الفلسفية التي ترى أن الأرواح تلتقي وتنقسم وتتناسخ كل في الأخرى.. يقول الشاعر:

منذُ أن أصبحتَ جزءاً من حياتي

أصبحَ الجزءُ هو الكلُّ..

فقد أصبحتَ ذاتي

لا تخالي أني أهذي بإحدى شطحاتي

ربما كنا بجسمين وما بينهما الأيامُ تجتاحُ بحرٍ وفلاةٍ

فهذه الصورة الرائعة التي أوردها الشاعر متمثلاً فيها هذا المبدأ الفلسفي الصافي إنما يورده في معرض تعبيره عن علاقته بمن يحب.. وهي علاقة بلغت فيها درجة التطابق والتماهي مع المحبوب حداً صوفياً يصل إلى الاتحاد والحلول في المحبوب..

الأسلوبية.. البناء والمضمون ومشهدية القصيدة

إن الكثير من قصائد الديوان يتميز بالطرافة بدءاً من التسمية (عتبة النص) مروراً بالموضوع، ووصولاً إلى الخاتمة التي تحمل بدورها شيئاً من الطرافة الأسلوبية مثل مفاجأة القارئ أو إدهاشه أو التوصل إلى حكمةٍ شاملة تجمع ما هدفت له القصيدة من البداية، كقصيدة (بخبوخ) مثلاً وقصائد (هنوف) و(مناغاة توأم) (مداعبة)، (فأر ميكيا فيلي)، (سباق الجرذان)، (برج).. إلخ.

قصيدة (بخبوخ) التي تصوّر جداً يلاعب حفيدته، فيخفي منها الدرهم في يده، وهو يهمس (بخبوخ) وهي تحاول مجاراته، ولعل هذه الكلمة/الثيمة المستخدمة لإخفاء الدرهم مستمدة من الأدب الشعبي ومن أدبيات الحكاية الشعبية، يستخدمها المبدع في قصيدته أكثر من مرة:

(ضحكّت والنمعت دهشئها في العينين

كانت يحفظها المولى دون العامين

«بخبوخ»

وتواري درهمنا المنفوخ

راحت تُخْضِرُ دُميتها الضخمة ذات الثوبِ الجوخ

وضعتُها في كفيَّ وقالت: «بحبوح»

قلتُ أراوُغُ في صوتٍ مبجوح،

هذي الدُميَّةُ أحلى من أن تُخفى

.. يا روح الروح!..

فالقصيدَة التي يخالُها القارئُ تصويراً مشهدياً طريفاً لحوارٍ خفيف بين جدٍ وحفيدةٍ، إنما تخفي نهايتها حكمةً، هي ما سُمي في الشعر العربي (بيت القصيد) وهي في الشعر الغربي أيضاً (البيت المركز أو النواة)، فالحكمة البادية هي أن الدرهم / الدينار / الدولار، لا يمكن أن يُخفى أو تخطئ أثره العين في هذا الزمن الذي لا يرى سواه فيه.

وهذا النوع من القصائد يُطلق عليه في مدرسة الشعر الحديث شعر «الومضة» وهو المعتمد على التكثيف والاختزال وطرح الفكرة في نهايته بصورةٍ سريعةٍ ولافتة، تمكن منه شاعرنا على امتداد العمل الذي حفل بهذه النوعية من القصائد.

غير أن استقطاع شريحةٍ من العمل، من الصعب أن تُلخّص السمات الفنية الكاملة للديوان، وذلك لتنوّع الفنيات المتبعة في كتابة القصائد، التي غلب عليها الطابع الوجداني، والتيار العاطفي كما في قصائد شديدة النزوع إلى هذا التيار مثل (حلول)، (معاني الهوى عندي)، (عيناك)، وسواها من القصائد.

التوجه السياسي وسؤال الراهن

أما التوجه السياسي في القصائد فواضح من خلال الكثير من القصائد التي رصدت قضايا كانت أيقونة عصرها، وبعضها مازال حياً للآن، ومن هذه القصائد: (بيروت 82)، و(طيور الانتفاضة) و(الموت والحضارات) (الفوضى الخلاقة) .. إلخ.

هذه القصائد، كما هو واضح من عناوينها الشديدة الالتصاق بمتونها، إنما تشير إلى ارتباط الشاعر بقضايا عصره، وبهويته العربية، وإيماناته بالنضال والحق والقيم. وربما اختلفت شواهد (العواصم) العربية التي طالتها المحن عن تلك الفترة التي كتب فيها مبدعنا نصه.. غير أن الحال العربي يبقى واحداً غارقاً في بؤس واقعه.. وهو ما لم تفوته عين

الشاعر التي لا تغفل عن الرصد والتغني بالمأساة عبر سخريةٍ مريرة تتماهى والواقع
العبثي.

نقرأ في قصيدة (بيروت 28):

لو كانت تسمع مني الهيئات المعنية
لأشرتُ بأن تُستحدث جائزةٌ دولية
أعلى من «نوبل» للإنجازات السلمية
تمنحها لـ«مناحم بيجين»
ولـ«شارون» و«هيچ» و«ريجن»
عن «صور» و«صيدا» و«النبطية»
ومجازر بيروت الغربية

بيروت الحساء المعتادة أن تسترخي تحت الأنغام
أمست لا تجد مكاناً لتنام
إلا فوق الألغام
أو تحت جحيم النابالم
بيروت المعتادة أن تحيا تحت عناقيد الكرم الذهبية
باتت لا تحيا إلا تحت القنبلة العنقودية
والقنبلة الفوسفورية
وسعير الأحقاد الصهيونية

آه آه

لم يبقَ إلا أن نصرُحْ وأذُلاه
فلدينا لا يوجد «مُعْتَصِمٌ» حتى نستتجد «وأمُعْتَصِماه»
ولدينا لا يوجد «فُطْرٌ» يهتَفُ فينا «وا إسلاماه»

لم يبقَ إلا الأشباه!

عشرون نهراً تحت القصف وما زالت صامدةً بيروت

لم تسقط

لكن قد سقطت عن عورتنا أوراق التوت

في النص السابق نلاحظ التقاطع السيميائي/ الإشاري بين الرموز التاريخية المُستحضرة من تاريخنا العربي والإسلامي إلى قلب النص الذي يستشرف الحالات التاريخية نفسها التي يرمز لها الحدث التاريخي المُستحضر. واستحضار هذه الرموز يستلزم من المبدع أن يخلق لها واقعاً في تجربته الشعرية المعاصرة، بمعنى أن محاولة استحضار هذه الرموز، الشخصيات خصوصاً، ليس من منظور توثيقي تاريخي مباشر، لكن من زاوية إبداعية، وذلك من خلال إحياء هذه الشخصية ضمن السياق الشعري للقصيدة، وإعطائها أبعاداً مُتعدّدة، وهو ما برز في هذا التوجّه الشعري في مجموعة د. غانم باقتدار.

جدلية الشعر والحياة.. "المرايا المتجاورة"

لا شيء يختصر الحياة سوى الشعر. هذه اللغة العليا المكثفة التي تختزل تجارب الإنسان وتمنحها أبعاداً تجريدية من الزمان والمكان غير مبقية سوى على القيمة وما مرّ به الإنسان. فكان كل قصيدة هي مرآة تنعكس عليها رؤى الشاعر لموقف أو مبدأ أو فكرة مسرلة بالأسى أو موشاة بالفرح. ونتيجة هذا التواشج بين الفكر والعاطفة وصياغتهما معاً في الإطار الملائم لمقتضى الحال تنتج القصيدة التي تؤرّخ لسيرة الإنسان.. مجسدة خلجاته وأحلامه وأحزانه. هذه (البانوراما) الفنية هي التي استطاع المبدع الكبير د. شهاب غانم أن يرسمها لنا في ديوانه الذي تنوّعت اتجاهات مراهات التي زاوجت النور بالظلال، والأسى بالفرح، والتوجه السياسي بالاجتماعي، ورؤى الطفولة بحكمة النضج، ومبادئ الفلسفة بخلجات العاطفة، في قصائد حاورت الموت في قسوته (من أين أدخل في الميراث يا أبتى) والحياة في بهجتها ونشوتها (فراشة وورد) و(عواطف وعواصف) والطبيعة وتجلياتها وحوارات ما ورائياتها - "الميتافيزيقا" (على ضفاف الفالانسي) و(في رُبى الأرز) والانحياز إلى الإنسان وقضاياها (أنشودة لطيور الانتفاضة) و(أسطول الحرية) وشعر

الوجد والعشق.. وهو كثير وقصائده متعددة، والشعر الفلسفي، (تواجدٌ بدفقةِ الفناء) و(الحلم) و(الفارس) و(هذه الحياة) و(حلول) وغيرها...

إن كل هذه الأغراض التي تناولتها قصائد د. شهاب غانم إنما تجاوزت كالمرايا التي ترسم صورة الحياة وانعكاساتها في الكلمات عبر الصور والأخيلة، وهي الصورة الوحيدة التي قد تتفوق على الأصل في عالمنا عبر ما تعكسه المرايا مضافاً إليه ما تعكسه روح الشاعر من خلقٍ وإبداع. وقد استطاعت هذه القصائد/ المرايا التي حاورت الكون من أصغر أشيائه لأعمق قضاياها وأكثرها التصاقاً بالإنسان ومصيره أن ترسم صورةً صادقة له.. للإنسان.. وللشاعر وللعصر الذي نحياه.. آسيةً على الكثير مما تمنته ولم تجده في بحثها عن الخير المطلق.. ولكنها في الوقت ذاته ظلت متمسكةً بالأمل متغنيةً به في رسمها هذه الصورة البديعة التي رسمتها ريشتا العمر المديد والإبداع الفريد.

ما وراء الاختيار في ديوان "مائة قصيدة وقصيدة"

د. عبد القادر علي باعيسى*

(1)

اعتمد الشاعر شهاب غانم في تقديم مختاراته الشعرية (مائة قصيدة وقصيدة) التسلسل التاريخي لكتابتها بدءاً من عام 1960م إلى عام 2011م باستثناء القصيدتين الأولى والأخيرة كما يقول في الإضاءة التي تسبق الديوان، غير أن التواريخ لا تحدد الزمن الذي كتبت فيه القصائد حسب، وإنما الزمن الذي توقفت فيه أيضاً فهو تاريخ يشير إلى بداية النص كما قد يشير إلى توقفه إذ قد يبدأ بعده الشاعر بممارسة كتابة جديدة كأن يميل من الشكل العمودي إلى شكل قصيدة التفعيلة.

يمثل الاختيار في مجموعته إعجاب الشاعر بالقصائد المختارة كنماذج خاصة على شعره وسعادته بها رغم مرور عشرات السنين على كتابة بعضها، ولعل النصوص في مجملها تشير إلى الاتجاه العام لكتابة الشاعر إذ ثمة تفاعلات جرت بينها بالضرورة من

* ناقد وأكاديمي يمني، يعمل أستاذاً في جامعة حضرموت بالمكلا.

جاء هذه الخبرة الزمنية الطويلة في الكتابة. ولعل في استحضار القصائد منذ مطلع ستينيات القرن الماضي ما يدل على ثقته في أهميتها إن من الناحية التاريخية التوثيقية وإن من الناحية الفنية، وأنها ما تزال مؤثرة على الأقل من وجهة نظره، ما دامت مقدمة تقديمًا طازجًا في إطار مختاراته عام 2011م، أي ما دامت موضوعه في إطار المفضل والمؤكد على فاعليته وجدواه الجمالية إلى الآن، أو حتى جدواه الذاتية بالنسبة للشاعر من حيث قرب القصائد إلى قلبه كما جاء في الإضاءة، وإن كانت هذه مسألة أخرى لا تتعلق بالناحية الجمالية بالضرورة.

هل يريد الشاعر من خلال هذا الاختيار (مائة قصيدة وقصيدة) أن يعيد تذكير القارئ بنصوصه القديمة؟ أو يريد أن يعيد لأجمل قصائده ولادتها دفعة واحدة في ميلاد جديد، فالنشر للمرة الثانية لنص قديم يعني أن الشاعر يتكلم في عام 2011م بالصوت الذي تكلم به في عام 1960م أو في عام 1971م أو في غير ذلك من أعوام وبصورة مباشرة عبر إعادة النص حرفيًا، رغم أن الزمن دار دورته الفلكية عشرات المرات، وأن فنية بعض النصوص تجاوزها الزمن، وأن كثيرًا من الشعراء عادة ما يهملون أو يتخلون عن بعض تجاربهم القديمة كما تخلق محمود درويش عن كثير من نصوصه القديمة.

لعل الشاعر انطلاقًا من نزعه الإنسانية الودودة يسعده أن يعيد القراء معه استحضار نصوصه القديمة وأن يبدي من خلال ذلك روحه الإنسانية التي تكشف عن طواياها الطيبة مع كل نص ألفه وإعجابًا وصدقة، فالقصائد بهذا المعنى جزء من الوجود الروحي (الاجتماعي والوجداني والحياتي) للشاعر حيث يتموضع من خلالها في أشكال مختلفة من الألفة والسعادة.

إذا أنظرنا اعتقت	أحس القلب يضطربُ
ويزهو وجهها خجلًا	ويعلو خدّها اللهبُ
وتسبل فوق عينيها	جفونا زانها العتبُ
فأشعر أن هذا القل	ب بين جوانحي يثبُ
وأغضي مثلها خجلًا	ولا أفضي بما يجبُ

فتمضي لم تفتح شفة ولكن صمتنا خطب!

إن وجود كل قصيدة ضمن قصائد أخرى ليست من زمنها، أو ليست من ديوانها القديم الذي صدرت فيه لأول مرة، يعني أن نظر القراء إلى القصائد سيتغير بما أنه أعيد جمعها في ديوان مستقل، وإعادة الجمع المختار تعطي دلالة مختلفة عن النصوص في مجموعاتها القديمة.

يشير الاختيار ضمناً إلى رضا الشاعر عن قصائده، وأن ماضيها متواشج بحاضرها، بحيث يمكن أن يضمها ديوان مستقل (مائة قصيدة وقصيدة) بغض النظر عن تاريخ التحولات التي مرت بها. ويتناص هذا العنوان مع العنوان السردى الشهير (ألف ليلة وليلة) الذي أنتج في جسد التاريخ من سرديات أمم مختلفة ويعاد تقديمه إلى كل جيل وفي كل عصر، فهل أراد الشاعر تفاؤلاً أن يسلك ديوانه الطريقة نفسها وأن يظل متجدداً في الزمن وقد انتخبه من كل أعماله؟ وهل يعني هذا أن الشاعر فارق نصوصه التي لم ينتخبها في الديوان، أو أنه لا يرضى عنها تماماً؟ أو أنه يريد بعد هذه المختارات أن ينتقل إلى مرحلة جديدة من الكتابة؟ أو أن هذا الجمع محاولة أخيرة لإعلان الذات الشعرية ولفت النظر إليها؟ أو أنه آخر المطاف في رحلة الكتابة الشعرية؟.

اختار الشاعر شهاب غانم قصائده اختياراً موضوعياً مقصوداً، ذلك لأنه فارق حرارة إنتاج القصيدة التي تلح على المبدع عادة بالنشر ليسمع رأي النقاد فيها، فهل كان يجنح من خلال دلالة اختياره الواعي هذا نحو التعاطي مع الماضي الشعري؟ ويرى أنه الأصل الذي يجب أن يتكرر لاسيما في ظل تزايد الكتابات الشعرية الحداثية وقصيدة النثر تحديداً، لم يبين لنا الشاعر الأسس التي تم عليها الاختيار غير ما ورد في الإضاءة الأولية المختصرة وهي كما يلي:

"قصائد هذه المجموعة مختارة من كل دواويني المنشورة والمخطوطة اخترتها لأنها الأقرب إلى نفسي، أو ربما لأنها في رأيي الأفضل فنياً أو الأكثر دلالة، أو فقط لأن النقاد والصحفيين نوهوا بها أكثر من غيرها، أو لأن بعض الأدباء الأصدقاء أثنوا عليها بشكل خاص. وهي تشكل نحو ثلث ما كتبت من الشعر عبر نصف قرن. وقد رتبها في هذا الكتاب

حسب تسلسلها الزمني تصاعديا فيما عدا القصيدة الأولى والقصيدة الأخيرة, كما حاولت قدر الإمكان أن أسجل تاريخ كتابة القصائد التقريبي ومكان كتابتها حسبما أسعفتني الذاكرة.

وأود هنا أن أشكر مجلة دبي الثقافية وخصوصا رئيس تحريرها الصديق الشاعر سيف محمد المري على الاهتمام بنشر هذه المجموعة . والله ولي التوفيق.

شهاب غانم دبي 2011م

كان بإمكان الشاعر أن يستغني عن وضع تواريخ كتابة النصوص ليقراً الديوان بوصفه كتلة فنية واحدة بغض النظر عن تراتبها الزمني, فالتاريخ يعني فيما يعني أن النص متم لتاريخ الشخصية وعلاقاتها الاجتماعية والوجدانية وتنقلاتها في الأمكنة من اسكتلندا إلى لندن إلى عدن إلى الهند إلى القاهرة إلى أبو ظبي إلى دبي.. والواقع أن هذه النصوص أشبه بالتاريخ الوجداني الخاص بالشاعر, أو هي عبارة عن استجابات إبداعية لتقلبات حياته المعيشة وتنوعاتها, ولعله قصد إلى ذلك, يقول في قصيدته (وئام) وهذا العنوان هو اسم ابنته:

وئام يا أجمل أحلامي	يا بلسما للخافق الدامي
بزغت في دنياي وضاءة	كالبدر في أحلك أيامي
وكنت قد ضقت بظلم الدنى	وكنت أستطول أعوامي
فصرت أخشى الموت يا مهجتي	وصرت أستعذب آلامي
أريد أن أحيا لكي أحتسي	من سحر أجفانك إلهامي
أراك.. أراك.. أود الأسى	عن عودك المبتسم النامي

وبما أن الاختيار - من ناحية أخرى - جزء من الحكم النقدي فإن وضع التاريخ في نهاية كل نص يغلب المنحى التاريخي في النظر إلى النصوص, والديوان لا يمكن أن يقرأ في عزلة بعضه عن بعضه الآخر من الناحية الفنية توافقا واختلافا وتماثلا وتماهيا؛ بوصف أن كل نص يستوعب بعضا من مزايا النصوص الأخرى, أو يخضع بشكل أو بآخر لنمط كتابة النصوص الأخرى في التشكيل الجمالي والأسلوبي. فهل أراد الشاعر من

خلال هذا الاختيار التسجيل لتاريخ تطوره الأدبي؟ إذ كتب قصيدته الأولى (لغة العيون) في المجموعة المختارة عام 1960م، وكتب قصيدته الأخيرة (عشر قوارير على حائط) عام 2011م، وكتب قصيدته (حلول) من نمط شعر التفعيلة في روركي بالهند عام 1968م لكنه عاد بعدها لكتابة القصيدة العمودية في تواريخ لاحقة، وصار بعد ذلك يمازج بين هذين اللونين من كتابة القصيدة.

إن الأعمال الفنية وإن كانت تمر من خلال عملية تطور يمكن اقتفاء أثرها فإنها ليست نسقا مطردا متتابعًا بالضرورة (ينظر نظرية الأدب ص 45) وإنما يتداخل فيها الجيد وغير الجيد من غير التزام قطعي للتسلسل التاريخي، ولعل كثيرا من نصوص الاختيار أكثر ارتباطا فنيا وجماليا ودلاليا بنصوص أخرى في دواوين الشاعر المطبوعة والمخطوطة.

إن نصوص الاختيار، وهي ثلث نصوص الشاعر كما أشار في إضاءته، بقدر ما تضيء النصوص المغيبة (غير المختارة) فإن هذه المغيبة تلقي الضوء على النصوص المختارة، وهذا لا يعني أنه لا يمكن من خلال هذا الديوان المختار تقديم توصيف واضح لشعر شهاب غانم، غير أن التوصيف الثري والواسع لا يتبدى إلا من خلال الأعمال الكاملة لرؤية ما في النصوص من توافقات وتخالفات وتطورات حيث يتم فحص دقائق كثيرة متعددة ومتنوعة، لاسيما أن النصوص المختارة ولدت في أثناء نصوص أخرى غير موجودة بالضرورة في الديوان، وفي أثناء تأثير اتجاه مدرسي أو جمالي على الشاعر في بعض مراحل كتابته، وأن الاختيار قد لا يروي ظمأ القارئ الذي لا يستطيع أن يقصر نفسه على القمم العظمى إذا أراد أن يفهم سلاسل الجبال بأكملها، أو مجمل تاريخ الكتابة وتغيراته عند الشاعر (ينظر نظرية الأدب رينيه ويليك وأوستن وارين ص52).

وعلى أية حال فإن النصوص المختارة هي التي ارتضاها الشاعر، وإن صدر بالاختيار على إمكانية نصوص أخرى في التأثير على القراء حتى لو رآه تأثيرا ضعيفا أو لم يعتقه إلا أن هذا الاختيار لا يمكن تخليته من كفاءة قراءة الشاعر وحسن التقاطه وجمال تفاعله ورهافة حسه وهو يقدم أبرز نماذج شعره من أكثر من لون شعري ومن

تواريخ مختلفة ويسهل الطريق إلى النقد لقراءتها منتخبة، وإن كان للانتخاب مشكلته الخاصة في ما يتعلق بأسباب الاختيار بناء على الاتجاه الجمالي أو النفسي أو الإيديولوجي أو اللغوي للمختار.

لماذا اختار الشاعر هذه المجموعة من القصائد؟ هل لأن دواوينه طبعت في مدن عربية متجاوزة ومتقاربة مكانيا هي أبو ظبي ودبي وجدة بحيث لم يطلع عليها كثير من القراء العرب وأراد بهذا المجموع تفادي ذلك؟ ورأى أن أجواء التلقي صارت الآن أكثر ملاءمة ومناسبة خاصة مع إرفاق الديوان مع مجلة (دبي الثقافية) المنتشرة في كل العالم العربي تقريبا والتي يهتم كل قارئ منها -كمجلة متنوعة- بالموضوعات المتعلقة به، وهو ما يدعوه لأن يتصفح -في الأقل- الديوان وأن يتعرف على عنوانه واسم شاعره، هذا إن لم يقيم بعض القراء بقراءته، وبعضهم بتحليله تحليلًا كليًا أو جزئيًا لاسيما أنه يُقدَّم إلى القارئ في شكل من الفرض المذهب عن طريق الإهداء المقبول أدبيا واجتماعيا مما صارت تهتم به كثير من المجلات والإصدارات الدورية التي تصل إلى أيدي كثير من المتقنين.

هل يقوم بعملية الاختيار شعراء من الدرجة الثانية؟ لأن الشعراء الجيدون عادة ما يعدون دواوينهم كلها مختارة، وإنما يقوم الآخرون نيابة عنهم بالاختيار، كما اختار سليمان العيسى من الشعر العربي (حب وبطولة) من باب أن الاختيار يوحي بعلو كعب الشاعر أو الشعراء المختار لهم، لكن نزار قباني اختار من أشعاره (أحلى قصائدي) فلعل اختيار الشاعر من شعره أجمل من اختيار الآخرين لأنه أخبر به وأدرى بمواطن إثارته، وهل يمكن أن يقال إن هذه الاختيارات ليست بذات أهمية؟ إلا ما قد يدبج فيها من القراءات الصداقية وحسن علاقات الشاعر بالآخرين وجمال وده لاسيما أن القصائد المختارة هي مما أثنى عليها بعض الأدباء الأصدقاء ونوه بها الصحفيون والنقاد بحيث ارتبطت في ذهن الشاعر بلحظات من الرضا فظلت قريبة إلى قلبه وكان لذلك أثره في نوعية الاختيار، وهل يمكن القول إن الصحفيين والنقاد اختاروا جزءا من هذه القصائد، أو أعانوا الشاعر عفويا على الاختيار؟ وهل دفع به تشجيعهم إلى الاختيار وأنه -لولاهم- ما كان

ليدور بخلده؟ وهل وقعت أذواق الصحفيين والنقاد على أشتات متنوعة من القصائد أو على قصائد متشابهة فنيا ودلاليا انطلاقا من إعجابهم بنمط معين من القصائد أو بمضامين معينة انطلاقا من أذواقهم الجمالية والإيديولوجية؟ وهل توافق الشاعر معهم في كل القصائد؟ وفي أي القصائد اختلف معهم أو لم يوافقهم رأيهم؟ هذه مسائل مهمة في تحديد عوامل الاختيار. وإذا افترضنا أن هذا الديوان ما تمت عليه قراءات فهل يعني أنه اختيار غير موفق؟ ثم كم سينفذ من طبعاته في دلالة على نجاحه؟ وكم عدد النسخ في كل طبعة؟ وإلى أين ذهبت الدواوين المشتراة إلى مكتبات عامة أو إلى قراء أفراد؟ وهل قرئت حقا أو رصت في الرفوف؟

إن هذا الاختيار ليس سوى إثارة لتحقق الاختيار، أو لإثبات أنه مختار حقا من خلال ما يمكن أن يدور حوله من دراسات وقراءات، وهي قد تكون مختارة بالقياس إلى نصوص الشاعر، وقد تكون مختارة بالقياس إلى معايير النقاد، وقد تكون غير ذلك بالنسبة إليهم، وقد اختار الشاعر هذه المجموعة بذوقه الفني (الرومانسي غالبا) الذي لمّا يزل حيا في وجدانه ولم يغادره، كما اختارها بمعايير الموضوعية وقد غادر لحظة الاندهاش الشعري بالقصائد، ففي إعادة استحضار بعض النصوص دليل مراجعة عقلية وقبول بها، والاختيار بهذا لا يخلو من الموضوعية كما أشار المرزوقي في مقدمته لحماسة أبي تمام من أن الطائي كان يختار ما يختار من الشعر "لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته، والفرق بين ما يُشتهى وما يُستجاد ظاهر بدلالة أن العارف بالبز قد يشتهي لبس ما لا يستجده، ويستجيد ما لا يشتهي لبسه" (شرح ديوان الحماسة للتبريزي. ت: محمد محيي الدين عبدالحميد 4/1) وربما اختار النقاد من هذا الديوان الموسوم بـ(مائة قصيدة وقصيدة) ما شاؤوا أن يختاروا في أثناء قراءتهم له، أي يقومون باختيار للاختيار بوصف أن الاختيار المضموم بين دفتي الديوان يمارس قسرا على القارئ وإرغاما له بصورة أكثر إغراء على أساس أن القصائد مختارة!

وبما أن القصائد المختارة تشكل نحو ثلث ما كتب الشاعر من الشعر، فأبي دواوينه كان حظها من الاختيار أكثر؟ أو أنه اختار عددا متساويا من القصائد من كل ديوان؟

وهل يجوز للنقاد أن يبحثوا عن نماذج أخرى ويقترحوا على الشاعر أن يضيفها إلى المجموعة المختارة مادام قد أعطاهم إمكانية الاختيار بشكل أو بآخر؟ أو أن ذلك لا يمكن البتة؟ بوصف أن النصوص المختارة هي أجمل ما يمكن أن يقدم، وقد أعلن من خلال طباعتها وتوزيعها أنها انغلقت بشكل نهائي؟ وهل أجرى الشاعر غانم بعض التعديلات على نصوصه المختارة أو أنه أبقاها كما هي بغير تعديل كما نرجح؟ وهل اعتمد على ذاكرته في اختيارها؟ أو أنه عاد إلى دواوينه وفتش فيها وأعاد قراءتها وتأمل فيها وفي أثناء ذلك كان يختار؟ أو أنه جمع بين الطريقتين؟.

وهل يمكن لهذا الاختيار أن يتعرض لاختيار آخر فيصير خمسين قصيدة مثلا بدل مائة قصيدة وقصيدة؟ ذلك ممكن إلا أنه يقتضي تعمقا أدق في الشروط الجمالية للاختيار فربما دل العدد الكبير للقوائد المختارة على مواصفات جمالية ذات طبيعة تعميمية (واسعة) بينما كلما تعقدت شروط الاختيار قل عدد القوائد المختارة من حيث الكم وظلت قيمتها من حيث النوع مادامت تقدم غزارة جمالية ودلالية.

(2)

إن لحظة الاختيار لا تتأتى لدى الشعراء -كما أظن- إلا بعد فعل طويل من ممارسة الكتابة، ويأتي اختيار الشعراء من أشعارهم انطلاقا من إحساسهم بفردانيتهم وإدراكهم العقلي والوجداني لخصوصيتهم، ولعل الإشكالية التي تظهر هي في ماهية التداخل في وعي الشعراء بين إدراكهم لقيمة شعرهم الجمالية موضوعيا وعدم خلو ذلك من الجانب الوجداني مادام الأمر متعلقا بشعرهم. ويمكن أن نفهم مسألة التداخل في أن الجانب العقلي (الموضوعي) وجود متحصل من مجموعة القراءات النظرية والإجرائية التي قرأها الشعراء والتي تسهم في تكوين قاعدة نقدية خفية لديهم (داخلية) يظل لها حضورها عند نظر الشعراء إلى نصوصهم، وتفرض نفسها حتى على ممارسة الفعل الكتابي لديهم الذي لا يعدو أن يكون متأثرا - وهو الجانب الإبداعي الصرف - بقراءات الشعراء في النصوص النقدية أو في الأقل سماعهم ببعض مفوماتها واتجاهاتها، فذلك المنظور

العقلي هو ما يحدد الجانب الذوقي والفني إلى حد كبير غير أن عملية من التحول الداخلي تتم في أثناء إنتاج الإبداع من المستوى العقلي إلى المستوى الفني حين يتدخل الوعي القرائي النظري العقلي المتشكل في صيغة نقدية غير منظورة بالضرورة في طبيعة إنتاج النص الأدبي، ومن هنا يمكن النظر إلى الاختيار كالنظر إلى الشعر بوصفه نتاج العقل المتوجدن أو الوجدان المتعقلن إن جاز التعبير في دلالة على وجود الجانب الوجداني - العقلي حيث يتحقق الاختيار من خلال هذين البعدين معا.

الاختيار بهذا المعنى لا يعدو أن يكون نتيجة من نتائج الوعي الموضوعي كما أنه نتيجة من نتائج الوجدان في الوقت نفسه، أو أنه شكل من أشكال الاحتفاء بالشعر وتقديمه إلى القراء لفلسفة اختياره موضوعيا وذاتيا في دلالة على أنه تلخيص مكثف مقصود لشعر مرحلة من المراحل أو اتجاه من الاتجاهات الأدبية.

وفي هذا السياق يعمل الاختيار على توجيه المتلقي نحو النصوص المختارة بناء على اتجاهات جمالية معينة يتبناها المختار وتقوم بدور الموجه النظري كوجود مسبق يجب أن يكون ويأتي التمثيل بالاختيار تجسيدا له، ومن هنا تحاط النصوص المختارة بأهمية أكبر عند عشاقها ويتم تسليط الضوء عليها بصورة خاصة بوصف أنها تعمق فكرة الاتجاه النظري الجمالي المرغوب فيه، وتثبت فرضياته، وتدل عليه بتواترها وتلاحقها في الديوان المختار بغض النظر عن كونه اتجاها نقديا تقليديا أو حداثيا فالوظيفة المؤداة واحدة، كما تدل على مركزيته النظرية في ذهن الشخص المختار الذي يشدد ضمنا على الكتابة في اتجاهه ساعيا من وراء ذلك إلى تعزيز نمط كتابي وزيادة انتشاره وحضوره، أو في الأقل أن يكون له وجود بين مجموعة الكتابات الشعرية المتنوعة.

ولكن هل كشفت بعض الاختيارات الشعرية التاريخية عن تفارق المختار عما اختاره من شعر وعدم توافقه معه؟ قد يبدو الأمر صحيحا إلى حد ما مع حماسة أبي تمام، وأن غايته من الاختيار لم تكن الإحالة إلى نمط يبتغيه ويفضله، وإنما إلى نمط يشير إلى أنه

كان موجودا ولم يلتفت إليه أحد، وأن ذلك الاختيار قد يدل على شيء من الفردة التي ليست موجودة بالضرورة في شعره.

ولكن هل للاختيار كله كاتجاه تاريخي من آلية تطوّر يمكن ملاحظتها في نسق الاختيارات في تاريخ النقد العربي، أو أن كل اختيار منفصل عما سبقه غير متصل به بحيث لا يمكن رؤية مشابهات مباشرة بينها في كيفية الاختيار ونوعيته الدقيقة؟ إن توالي الاختيار عبر الزمن يشير إلى إمكانية إحداث خصوصية غير مرئية فيه، أو هي لم تدرس بعد حسب علمي المتواضع، بوصف أن النظر تم إلى الاختيارات بوصفها بنى مغلقة على ذاتها لها صفاتها المائزة والمحددة، وإن خرجت من الكينونات الشعرية الكبرى كالشعر الجاهلي والأموي والعباسي. وربما دل الاختيار على خصوصية تعبيرية في هذه الكينونات الشعرية الكبيرة المنبثق عنها أراد المختار التركيز عليها أو وضع اليد عليها إجرائيا من خلال الاختيار ليثبت جدواها في تاريخ الإبداع العربي، وأنها تملك طاقات تأثير تعبيرية قادرة على إبراز خصوصية لافتة في الإطار العام لشعر العصر أو المرحلة المختار منها، أو حتى في الإطار العام لتاريخ الشعر العربي.

يظهر الاختيار إلى الوجود من خلال مجموعة من المبادئ تقف وراء اختياره ويجمعها ناظم محدد حتى لئن لم يكن ذلك الناظم مكتوبا كمقدمة للمختارات وإنما يتجسد عمليا وبصورة مباشرة من خلال نصوص الاختيار الذي لا يمكن عزله من هذا المنطلق عن إطار النظرية النقدية أو بعض الاتجاهات الأساسية البارزة فيها، هو جزء من كينونة النظرية النقدية دال على حضورها بصبغته العملية، فثمة تواصل بين المنجز العملي (الاختيار) والوعي النظري الذي قاد إليه، ويمكن في إطار ذلك التواصل عدّ الاختيار ممثلا للنظرية النقدية أو لأبرز اتجاهاتها كما كان اختيار المفضليات والأصمعيات دالا على النظرية النقدية اللغوية في فهم الأدب، فالوعي بالاتجاه النقدي هو الذي يدفع إلى الاختيار بينما يضيء الاختيار مفردات النظام النقدي ويكشف عن كثير من تفصيلاته في أثناء إنتاج النظرية النقدية نفسها أو فيما بعد، بوصفه شكلا إجرائيا أكثر حيوية وتنوعا.

ويمكن أن نعد الاختيار خطوة إنجازية تطويرية من وجهة نظر تاريخية لاسيما أن الشخص المختار كالمفضل الضبي مثلا تفاعل مع كثير من القصائد الشعرية الذائعة في عصره فتجاوز اختياره في مضمونه العميق كثيرا من دواوين الشعراء وقصائدهم، بما في ذلك قصائد كثير من الذين يمكن احتسابهم في مصافي الشعراء، ذلك لأن تلك الدواوين أو القصائد مهما تميزت تظل ذات سيرورة إبداعية خاصة لشاعر واحد، بخلاف الاختيار الذي يشمل عددا من القصائد يمكن أن تعد بصفة عامة خصوصيات شعرية يبدو معها الحضور الجمالي الفني أكثر ثراء وتنوعا لاسيما أنها مرت بعملية اختيار هي في الأساس شكل من أشكال الاختبار والفحص.

وربما ساعد الاختيار على تطور الشعر اللاحق والدفع به نحو مدى أجمل من التطور عبر ما يمكن تسميته بجاذبية الاختيار الخاص ذي الأثر النفساني والعقلي لاسيما عندما يجيء من لدن شعراء أو نقاد كبار فيترك أثره على مدى عصور زمنية طويلة، ولعل هذه الصفة التاريخية تجعل المختارات أعمق أثرا حتى إن بعض الشعراء الكبار يحذون حذوها فيختارون بدورهم من الشعر كما اختار أدونيس من ديوان الشعر العربي، بغض النظر عن كون الاختيار يتم في فترات الازدهار أو الخمول الشعري.

فالاختيار وجود تاريخي سواء في اتصاله بالنمط الفني السائد في عصره أو في ما يتركه من أثر من بعده، وهو وإن خضع لمرحلته التاريخية فقد تخطاها بطبيعة الاختيار نفسه كصورة مخصوصة دائمة التميز، ويمكن وصف الاختيار إذا كان نموذجيا بأنه تجميع مركز لشعر مرحلة معينة يبرز إلى الوجود عبر وعي الاختيار ذاته بكل المفردات الانتقائية التي دعت إليه، وهو بهذا مجلى بارز لتقديم الشعر في مرحلة ماضية لا ينقطع وهجها في المستقبل.

ولعلني على ثقة أخيرا من أن الاختيار (مائة قصيدة وقصيدة) دفع به وعي الشاعر شهاب غانم بثقة وحسن ظن سيكون له صداه، وإن جاء الاختيار من شعره.

الدفع في ديوان "مائة قصيدة وقصيدة"

ميشيلين حبيب*

إن شهاب غانم يكتب بقلبه، يغمس قلمه بحبر عاطفته ويكتب كلماته، فتندفق عاطفته فياضة على الورق. وديوان "مائة قصيدة وقصيدة" مثل واضح على ذلك، فهو يمثلّى بالدفع وتغمره المشاعر الصادقة.

هذا الديوان هو تعبير عن خبرات شخصية ووجدانيات، لكن ما يميزه هو الدفع الذي ينبعث من كل قصائده. هو ديوان تلاطف قصائده كيان القارئ وحسّه الفني.

ويذكرنا عنوان ديوان "مائة قصيدة وقصيدة" بألف ليلة وليلة التي تحكي قصصاً متنوعة كما هي حال الديوان الذي يحكي قصصاً كثيرة عاشها الشاعر تمتد على ضفاف مشوار العمر. لقد تكلم شهاب غانم في هذا الديوان عن كل شيء تقريباً، عن كل ما يتعلق بالإنسان أو به هو شخصياً، عن المكان، العمل، السفر، الوطن، العائلة، الحب، الأولاد، الصداقة، وعن كل ما يدور حول الشاعر. وتصطبغ كل القصائد بدفع ولطف شهاب غانم، وهو دفع رافق الشاعر في كل حياته ولذلك هو ظاهر في كل الديوان، في القصائد التي كتبها عندما كان شاباً وتلك التي كتبها عندما تقدم به العمر؛ كلها تتسم بنفس الثقة والنضج والحب واللطف والصدق والدفع مما يدل على أن الشاعر هو نفسه منذ الصبا وحتى الآن؛ هو الأب الحنون والجد الأحن، هو العاشق اللطيف المحب، هو الصديق الصادق، وهو المثقف الرحالة، وهو الوطني الوفي، وهو الروحاني الصوفي المشتعل حباً بالإله، وهو الشاعر الذي يفيض شاعرية وإبداعاً.

وبعض من أجمل القصائد التي تمسك الوجدان وتخبرنا من هو الشاعر خلف تلك الكلمات قصيدة "عيناك"، حيث وضع الشاعر فيها كل معاني الحب وعليها بنى كل قصائد الحب الباقية؛ لكن لم تستطع واحدة منها أن تضاهيها حباً وجمالاً.

وقصيدة "وئام" التي تفيض حناناً وحباً أبوياً وتكمن قوة الشاعر فيها أنه جعل القارئ يحضن وئام ويغمرها بحنانه تلقائياً مع الشاعر. هي واحدة من أجمل قصائد الديوان.

* قاصة وكاتبة لبنانية. المقالة منشورة في صحيفة الأنوار بلبنان في 20 مايو 2014م.

وكذلك "وضّاح" التي لا تقل عنها حناناً وأملاً وفخراً بالابن. نشعر في هذه القصيدة وكأن قلب الشاعر خرج لينصّ تلك الكلمات ويغمر ذلك الابن. ويأخذ معه قلب القارئ ويلهيه بعاطفة الأبوة.

إن شهاب غانم يكتب من زاوية في القلب. تنطلق لتعانق من تحب وما تحب. هو شاعر لا يفترق عن الحب ولا يفترق الحب عنه بكل أنواعه. إن الحب في شعر شهاب غانم قوي لكنه، في الوقت نفسه، لطيف راق وحنون. هو شاعر يعرف كيف يحب وكيف يحترم الحب.

وذلك الحب يطال المكان وليس فقط الإنسان، فيتعلق بالمكان ويفهمه ويحميه. هو يرى جمال المكان ويعترف به في شعره فيخلّده ويفيه حقه. هو يفهم المكان ويراه بعين الشاعر ويكون وفيّاً له؛ وذلك واضح في قصيدة "الأرز" التي هي من أجمل القصائد أيضاً حيث جمع الشاعر فيها حب المكان، وحب الإنسان، وحب الجمال، وحب الطبيعة، وحب الشعر المسيطر في كل مكان في كيان الشاعر يعبر به ومعه عن كل ما تختلج به نفسه. وتعجّ هذه القصيدة بالصور والمفردات الشعرية الراقية، والمتدفقة، والمعبرة، والوفية لأصل الشاعر ولأرض لبنان:

سألتني من أنت؟ من أي أرض؟

أنا بين السيوف نصل يمانى

هل ترين اشتعال لمة رأسي

وشبابي ما زال في الريعان

إن تجنيت فهي بعض جراحي

أو تغنيت فهي من أوطاني

أما في قصيدة "بيروت" فهو يتألم مع المكان الذي يحبه ويحترم جماله ويتألم لجراحه.

لذلك تأتي قصيدة بيروت معبرة عن ذلك الحزن لتقول:

بيروت الحسناء المعتادة أن تسترخي تحت الانغام

أمسّت لا تجد مكاناً لتنام

إلا فوق الألغام

ومن القصائد الرائعة الأخرى، "سمعتهم يقولون":

"لكي نحقق الأمان والسلام

لا بد أن نريش السهام"

وبعدها رأيت الریش حوله أكوام

وقريه أهرام

من جثث الحمام

حمام ذلك السلام!

ولا يمكن التكلم عن الديوان دون ذكر قصيدة "المخاض في وادي عبقر"، وهي من أروع قصائد الديوان وتحكي قصة حب الشاعر للشعر وعلاقة الشعر بالشاعر. وتتجلى في هذه القصيدة أجمل الصور الشعرية:

تموت برأسي ألوف القصائد قبل الولادة

بدون الإرادة تجهض حيناً... وحيناً بكل الإرادة

تموت وعيناى مغمضتان

في النهاية لا بدّ من التأكيد على أن الأصالة والصدق هما صفتان طاغيتان على الديوان الذي يمتلئ بصور تتمتع بالتجديد والبساطة الآسرة. وفي القصائد تفاعل يضيء الديوان كلّهُ وينتزع انفعال القارئ. أما لغة شهاب غانم فهي ناضجة، مثقفة، وسلسة تصبغها الجمالية والموسيقى التي تسحر القارئ وتجعله يتذوق جمالا سلساً سامياً ووجدانياً. أما الدفء الكامن في شخصية الشاعر فإنه يلهب شعره كلّهُ وينقله إلى القارئ ليلتهب به بدوره. فتحية للحب والشعر الذي أحياء شهاب غانم في ديوان "مائة قصيدة وقصيدة".

تأملات في ديوان "بين شط وآخر"

عبد الوهاب قناية*

صحيح أن ظهور المواهب الفنية المبدعة لا يخضع لتفسير وأسباب قاطعة إذا توفرت وتهيأت انبثقت عنها المواهب، ولكن هناك حالات إذا ظهر فيها شاعر، كان ظهوره أمراً أقرب إلى الطبيعة والمنطق.. ومن هذه حالة الصديق الشاعر شهاب غانم.. فهو نبته نشأت ونمت في روضة أدب وشعر زاهرة، فكان كل ما يغزو فكرها ووجدانها عبقا بأريج العلم والثقافة وعبير الأدب والشعر.

فأبوه هو الدكتور محمد عبده غانم، الشاعر والمربي وأول خريج جامعي في جنوب الجزيرة العربية.. وجدّه لأمه هو الكاتب الراحل محمد علي لقمان، مؤسسة "قناة الجزيرة" أول صحيفة في تاريخ الجنوب.. وخاله وحموه هو الشاعر الكبير علي محمد لقمان.

وهكذا تهيأت لشهاب، منذ مولده في أكتوبر 1940م بيئة مواتية عامرة بنور العلم، وأنس الكتاب، وأنغام الشعر.. ولم يصرفه عن كل ذلك انعطافه في مقتبل الشباب إلى دراسة الهندسة الميكانيكية والكهربائية في اسكتلندا، وإنما ظل وتر الشعر في وجدانه حياً متوتراً تهزه مجالي الحق والخير والجمال وتطلق أنغامه، تلك التي راح ينشرها الشاعر على صفحات المجلات والصحف، والتي انتقى نخبة منها - إحدى وثلاثين قصيدة - لتكون ديوانه الأول الذي صدر مؤخراً عن مؤسسة "البيان" بعنوان "بين شط وآخر".

والديوان الأول - عادة - هو الإطلالة المكتملة الأولى للشاعر على الحياة الأدبية والنقدية، وهو الثمار الأولى لشجرتة.

والثمار الأولى - عادة أيضاً - هي البشائر الواعدة التي تتسم بمزيج من الحلاوة وقلة النضج معاً.. لكن هذا لا ينطبق على ديواننا "بين شط وآخر" ذلك أنه لا يضم الأشعار الباكورة للشاعر، وإنما يضم نخبة من أشعاره الباكورة والحديثة معاً. انتقاها الشاعر من بين نتاج وافر، يكفي - فيما نعلم - لإصدار مجموعتين أخريين، وبناء على ذلك، فإنه ينبغي

* ناقد وإعلامي مصري، كان يعمل في تلفزيون أبوظبي. نشرت المقالة في: الاتحاد الأسبوعي، الخميس 20 مايو 1982م.

التعامل مع الديوان، لا برفق معاملة الإطلالة الأولى، وإنما بموضوعية التعامل مع الصورة المعاصرة لنتاج الشاعر :

فما هي الصورة التي يرسمها الديوان للشاعر؟
ماهي ملامح فنه؟

وماهي قضاياها وهمومه ؟

وقبل كل ذلك.. ما هو الشعر عنده ؟

هنا يكفيننا شهاب غانم عناء الاجتهاد.. ويسخو في ذلك.. فيتحدث عن شعره، أو عن نفسه كشاعر، أو عن رؤيته لدور الشعر، في نحو عشرين قصيدة من قصائد الديوان.. ولعله بذلك يؤكد -بلا قصد - هويته وانتماءه.

في قصيدته " معاني الهوى عندي" يقول:

حنانيك لا سحر الجمال بنافع

وهل أنا إلا شاعر في ضلوعه

يريد الهوى كالنور كاللحن كالشذى

يتوق إلى دنيا الكمال كأنما

هنا يحدد الشاعر مقوماته بالفؤاد الرقيق.. الحالم.. والحس المرهف.. والتطلع إلى الحب والجمال.. ودنيا الخير والكمال.. ولكن واقع الحياة غير الحلم.. ولذلك فهو يقول في قصيدته "بغداد":

إنني أكون فشاعر متذمر

لم تترك الأشجان بين ضلوعه

وبين الحلم والواقع يحدد الشاعر دور الشعر ورسالته، فيقول لمحبوبته:

اسمعيني إذا ترنمت فالشعر

وصديقي وسلوتي وأنيسي

كم نهى أدمعي ففارت وجفت

وغدت أنَّة تمزق صدري

رسولي إليك عبر الروابي

في اكتئابتي ووحشتي واغترابي

وتبسمت رغم أنف اكتئابتي

بين كفيه نغمة من رباب

واستحالت آلام نفسي وبأسي
أملا يمتطي عباب المصاب
اسمعيني فالشعر حلم لذيد
وملاذ كسوة من شراب
ولقد يمسك الغريق بقش
ويهمم الظمان خلف سراب
وهذا المعنى ذاته، يتخذ الشاعر موضوعا متكاملا لقصيدته " أين ألحاني " حيث يقول
فيها:

كانت تنوح إذا شكوت لها
كالناري بين بنان فنان
فتسيل في مَرِّي حلاوتها
كالبلسم الشافي لوجداني
وهكذا نضع أيدينا على أبعاد المفهوم الخاص للشاعر عن دور الشعر في حياته..
ذلك الدور الذي تتعود وتتكرر صوره في بقية القصائد، كتتنويعات على لحن واحد..
كلها تقول إن الشعر هو الملاذ الأمين للشاعر وهو الصديق والأنيس والسلوى، والخل
الذي لا يرقى إلى إخلاصه الخلان، كما يقول في قصيدته "هيهات ":

لي في القريض خليل كم وثقتُ به
فلم يخن ولكم قد خان خلاني
قد علمتني الليالي أن ألودَّ به
وأن أطلِّق في الخلان إيماني
لولا القريض لما ألفت بي جلدا
إلا المدامع تبكي حظي الواني
والمهم في هذه التنويعات، أن الشاعر يؤكد فيها مرة بعد أخرى أن تدفق نبع الشعر عنده
رهن بشعوره وانفعاله.. ومن ذلك قوله في قصيدته "في ربي الأرز ":

يا ابنة الأرز هكذا أسكب الشعر
إذا فاض بالشعور كياني
ومن ذلك أيضا قوله في قصيدته " في ربي إب ":

هنا يرى الشعر ما يذكي قريحته
ويهتف الشاعر المأخوذ وأعجبا
وكذلك قوله في قصيدة " عواطف وعواصف ":

فلا تقل لوعتي زيف وزخرفة
لا يبدع الشعر إلا من به شعرا
ولأن قلب الشاعر هو أكثر القلوب حساسية وشفافية فإن الشاعر هو أصدق الكائنات
وأعمقها بصيرة.. وهذا ما يعنيه الشاعر حين ينعي غفلة بعض الشعراء عن قدرة الله،
فيقول:

فلئن كان للضلالة عاذر أي عذر لمن له قلب شاعر
فإذا فتشنا عن مصادر الإلهام لدى شاعرنا فإننا نجد أن الجمال، وفي الطبيعة بوجه
خاص، هو أولها.. لذلك تكثر في الديوان قصائد الصور الوصفية التي استوحاها من
طوافه في مختلف البلاد.. كلبان واليمن والهند وسويسرا:

ألهمني قصيدة يا سويسرا فعيوني بحسبك الفذ سكرى
ثم تبقى نقطة مهمة في رؤية شهاب غانم للشعر ورسالته.. وهي إشارته إلى كون الشعر
نوعا من تحقيق ذات الشاعر حيث يرضى فيه موهبة الخلق والإبداع.. وهذه الإشارة تأتي
عابره في قصيدته "عواطف وعواصف" حيث يقول:

حب المقيم أن يفنى بلوعته كصاحب الفن في إبداعه الوطر
أما فيما يتعلق بقضية الشكل الفني.. فإن قصائد الديوان في مجموعاتها توضح موقفه
كشاعر ملتزم بالبحر والأوزان سواء في شكلها البيتي أو شكلها التفعيلي.. ومن الطريف
أنه على الرغم من طبيعته المسالمة التي تتأى به عن القضايا المثيرة للجدل، فقد أخذته
الحماسة في قصيدته المتميزة "سوف يأتي الفجر" فراح يندد ببعض المظاهر السلبية في
واقعنا العربي المعاصر، وينعى من ضمنها، حال الشعر وخروج البعض على قواعد
النحو والوزن وجنوحهم إلى الغموض والانهزامية.. حيث يقول في القصيدة:

وبغني الشعر الذي اليوم باتت في مغانيه تتعب الغربان
هي في ظننا تغني وكم قد نأح نحو وأجهشت أوزان
في انهزامية تردد سخفا من أحاج كأنها الهذيان
يا لبؤس في القول والروح منه تشمئز النفوس والآذان
ابتدأنا نلوك فيه شجوننا وانتهينا نلوكنا الأشجان

ومع إننا هنا، لا نفعل أكثر من قراءة تأملية لديوان الشاعر.. إلا إنه يعز علي أن أفتقد
في قصائد الديوان أية إشارة منه إلى رسالة الشعر النضالية.. على الرغم من إسهابه في
الحديث عن الشعر خلال أكثر من عشرين قصيدة. وعلى الرغم من أنني أعرف أنه لا
يختلف معنا فيها.

إن الحديث عن الشعر -كما يبدو- هو الموضوع الأثير لدى الشاعر في ديوانه.. ولا ينافسه إلا الحديث عن "الشيب" المبكر الذي غزا شَعْرَهُ.. فقد تناوله هو أيضاً في عدة قصائد، مركزاً على أبعاد الحكمة والشموخ فيه... في سويسرا.. وأمام جبالها ذات القمم الثلجية.. قال:

وعلى هامة الجبال تلوج في وقار المشيب قد زان شَعْرَا

هي مثلي صبا وفي الشيب مثلي وأنا مثلها شموخا وقدرًا

وفي لبنان.. وفي حوار مع غادته الحسنة.. قال:

هل ترين اشتعال لمسة راسي وشبابي مازال في الريعان

هو في لِمَتِي انعكاس لما بين ضلوعي من لوعة الفنان

وهو عندي ضريبة لِسُموٍّ كتلوج تشع فوق القنان

وفي قصيدته الفلسفية "سباق الجرذان" يقول على لسانه:

ترفق بنفسك مهلاً بشرخ شبابك أمسيت كهلاً

ثم هو بعد ذلك يخصص قصيدة بأكملها للحديث عن "فجر النواصي" حيث يقول:

يسألني صحتي عن الشيب قد بدا على لِمَتِي كالفجر حين يئوبُ

وهل أنا إلا مِشْعَلٌ فاض نُورُهُ كما فاض مسك بالعبير وطيبُ

وما الشيب إلا بعض ما يدفع الفتى ضريبة نفس في النجوم تجوبُ

تمرّست بالأحداث منذ حدثتني فعاتث بفودي الهم والتجريب

غزا الشيبُ رأسي والشبابُ مبكّرُ فكيف يكون الفود حين أشيب

نرحب بالفجر الجديد إذا بدا وفجر النواصي للحياة غروبُ

وهكذا يبدو الحديث عن الشيب المبكر من المعاني الأثيرة لدى الشاعر.. ولعله أحد

مصادر ملامح الوقار والحكمة والفلسفة المتجلية في شعره.. فما أكثر ما نجده ينثر أبيات

الحكمة في قصائده.. مثل قوله:

فقل لمن تخذ الأوطان لعبته أن العواصف لا تُبقي ولا تذر

فالعين تبصر في بؤس وفي فرح ما يشهد القلب لا ما يشهد البصر

وقوله:

فالطين عبد للهوى

والروح في الأفلاك حرة

وقوله:

سأقتات بالذكرى على أمل اللقاء

فلا بد أن الجزر يعقبه مدا

وقوله:

فاظلمي يا سماء أو فلتثوري

كيفما شئت واعصفي يا رياح

فوراء القتام ينتظر النور

وتهفو لومضه الأرواح

وما أكثر ما نجده يطرق بعض معاني الوجود وبعض جوانب فلسفة الحياة الإنسانية، كما في قصائده: "الأمواج" و"معاني الهوى عندي" و "قراشة وورود" و"البحث" و"سباق الجردان".

وهو في نظراته الفلسفية تلك ينفذ أحياناً إلى الأعماق، ولكنه أحياناً أخرى يبقى على سطوح المعاني المألوفة.. ولعل مرجع ذلك طبيعته المسالمة المحجمة عن الاقتحام المجسور للواقع وصراعاته... أو لعله تكوينه الثقافي الذي يغلب عليه الطابع الهادئ.. وما من شك في أن مزيداً من رحيق الثقافة والفكر الإنساني والتاريخ كفيل بإغناء المعين الفكري والتجربة الفنية لدى الشاعر.. الأمر الذي يكسبه قدرة أكبر على الإبداع وتوليد الأفكار العظيمة.... ولعله من المناسب هنا أن أشير إلى افتقاد الرمز الشعري والإيحاء الفني والبناء الدرامي في كثير من قصائد الديوان وصوره.. تلك التي جنحت إلى المباشرة أو الخطابية أو الغنائية الرتيبة.. كقصائد "عيد الإمارات" و"عبر التليفون" و"مناجاة رمضان".. لكن لعل مما يعوض ذلك، أن شاعرنا وصاف ماهر ورسام بارع وبخاصة لمظاهر الطبيعة الجميلة، وأنه يستخدم بذكاء المحسنات البيانية التقليدية، وأنه متمكن من لغته العربية ومن أوزانه الشعرية.. حيث لا نلاحظ سوى هنات قليلة، مثل تذكيره للفظ "كف" المؤنثة.. ووصله لهمزة القطع في "اظلمي يا سماء" الأمر الذي غير معناها.

وهو في مهارة وصفه وثقافته اللغوية والعروضية يذكرنا بالشجرة الكبرى المعطاء التي تفرع منها.. أعني والده الشاعر الكبير الدكتور محمد عبده غانم.. والذي جاء هذا الديوان هدية إليه من ابنه البار.. رمز وفاء لعطاياه السخية.. تلك العطايا التي نعتقد أنها ماتزال متدفقة قادرة على إلهام الصديق الشاعر شهاب ودفع مسيرته إلى مزيد من الصعود في آفاق الشعر والثقافة والإبداع.

المرأة في ديوان "بين شط وآخر"

عبد المنعم عواد يوسف*

إن أهم ما يميز شعر شهاب غانم هو انسيابية الأسلوب، وسلاسة العبارة، وعذوبة الألفاظ، وإذا كانت هذه الخصائص مطلوبة في جيد الشعر بشكل عام فنحن إليها في شعر العاطفة أحوج، ولا يغيب عن فطنة القراء أنني أعني شعر العاطفة هذا الشعر الذي يتغنى فيه الشاعر بعواطفه نحو المرأة والذي اصطلح على تسميته بشعر الغزل .. وشهاب غانم شاعر مرهف الأحاسيس متوقد العاطفة يمتاز بصفاء النفس، وعذوبة الروح. وشاعر هذا طبعه من شأنه أن يخلق في سماء الشعر العاطفي بجناحيه ويرتفع عاليا في آفاق هذا اللون من التعبير الشعري وهو ما نلاحظه بوضوح حين نتتبع هذا الجانب في ديوانه "بين شط وآخر".

وللحب في نفس شاعرنا معان سامية ومرام عالية فهو لا ينشد الجمال الخارجي، فهو زائل فان وإنما ينشد جمالا أعلى وأرفع هو جمال الروح، جمال المشاركة الوجدانية الحقة، جمال التقاني في الآخر، جمال التوحد في المشاعر والأحاسيس إلى آخر هذه المعاني النبيلة .. إنه يُعبّر عن كل ذلك في قصيدة جميلة بعنوان "معاني الهوى عندي" يقول في بعض أبياتها:

وما كان عندي زائل الشكل مأربا

ولا استحوذ المحسوس يوما على حسي

فما الشكل الا هيكل الطين ينتهي

على حسنه الخلاب في طينة الرسم

وللحسن معنى غير قد مهفهف

وغير شفاه عذبة حلوة لعس

* شاعر مصري (1933-2010)، كان يعمل مدرسا في الإمارات. نشرت المقالة في مجلة (المنتدى)، دبي، 1983م.

معاني الهوى عندي سُمُو ورقة

وصبرٌ على الأيام والطالع النحسِ

وروح بروح تلتقي في تعانق

ونجوى تزف القلب للقلب في همسٍ

هذه هي المعاني التي ينشدها الشاعر في المرأة التي أحبها ومن يطالع القصيدة كاملة في الديوان سيقف على نظرة الشاعر الحقة إلى المرأة وكيف يراها مثالا للطهر والنقاء. وشاعرنا كثير التجوال بين البلدان وما أكثر أسفاره وتنقلاته بين الأقطار وهو في هذه الأسفار وخلال هذه التنقلات بين الأمصار، يلتقي بأنماط من النساء مختلفات لقاءات لا تشوبها شائبة وهو يصور ذلك في شعره فيبدع ويجيد، ومن مثل ذلك لقاءه بهذه الفتاة اللبنانية التي صورها في قصيدته "في ربي الأرز":

والتقينا من غير سابق ميعاد

مساءً في حانة البستانِ

حولنا يصدح البيانو برفق

ويميد الهواء بالألحانِ

ووراء الزجاج في السفح بيروت

بريقٌ من لؤلؤ وجمانِ

سألتني من أنت ؟ من أي أرض؟

أنا بين السيوف نصل يمانِ

وجدودي كانوا ملوكا ولكن

فوق شأو العروش والتيجانِ

بهذه الأبيات المقتطفة من القصيدة يعرف الشاعر الفتاة اللبنانية به وبأصوله اليمنية العريقة ثم يطلب منها أن تعرفه بنفسها لنستمع إليه يصور ذلك في براعة واقتدار:

وتساءلت : من تكونين ؟ من أي

مكان من بين هذي الجنانِ

من برمانة .. وورد خدودي

كشهي التفاح والرمّانِ

ويحصرون قد ترعرعت

كالظبية بين الجبال والوديانِ

وشفاهي ككرز لبنان طيبا

وعبيري كالف والريحانِ

وأنا بعدُ ذاتُ علمٍ وجاهٍ

ودلالٍ ورقّةٍ وحنانٍ

وبعد أن عرفت الفتاة اللبنانية الشاعر بنفسها اخذت تعرفه بأصولها وأجدادها:

من هنا أول السفائن شقت

صفحات البحار والخلجانِ

وأنارت حضارةٌ بعد أخرى

لعيون الورى دروب الزمانِ

وبعد أن صورت الفتاة اللبنانية ماضي لبنان المجيد في أبيات كثيرة أبدع شهاب في

كتابتها وأجاد، رسمت صورة دامعة لحاضر لبنان الممزق .. فقالت:

ثم ماذا ؟ تَخَلَّفُ وخلافٌ

وقتلُ الإخوانِ للإخوانِ

وضياعٌ وهجرةٌ .. ودموعٌ

ودماءٌ تسيلُ كالغُدرانِ

ولشهاب غانم مقطوعات شعرية في المرأة .. تمتاز بتركيزها الشديد .. ولعل هذا التركيز

هو ما يمنحها هذه الحلاوة الفائقة التي نستشعرها ونحن نقرأ هذه المقطوعات الشعرية

العاطفية ومن هذه المقطوعات العذبة مقطوعة بعنوان "لغة العيون" أوردها كلها هنا:

إذا أنظارنا اعتنقت
أحس القلب يضطربُ
ويزهو وجهها خجلا
ويعلو خدها اللهبُ
وتسبل فوق عينيها
جفونا زانها العتبُ
فأشعر أنَّ هذا القلب
بين جوانحي يثبُ
وأغضي مثلها خجلا
ولا أفضي بما يجبُ
فتمضي لم تَفُ شفة
ولكن صمئنا خُطبُ

وكما يبدع شهاب غانم في تصوير الصادقين والصادقات من المحبين والعشاق يجيد
تصوير العابئين بهذه العاطفة الرقيقة كما نجد ذلك في رسمه لصورة هذه العابئة بقلوب
الناس ومشاعرهم "عبر التلفون" حيث يخاطبها قائلاً:
يا ربة الصوت الغنوج وقد سرى خلل المسرة
أذكيت يا مجهولة في هذه الأحشاء جمرة
تدعينني فأكاد أذعن للنداء وما أشره
من أنت يا مجنونة؟ أمغرّد قد مل أسره
أم أنت شيطان يجرب كيده فينا ومكره
لن أستجيب ولن أجيب وإن تتادي ألف مرة

وبهذا الحزم يسد الشاعر الطريق أمام هذه العابئة بمشاعر الآخرين وشاعرنا الرقيق
حريص على أن تظل المرأة نقية الهوى طاهرة المشاعر ولذلك فهو يحذرهما من أن تتساق

وراء عاطفتها بلا تروّ أو تدبير، لأن ذلك سوف يوقعها فيما لا يحمد عقباه. إنه يعبر عن ذلك من خلال مقطوعة رقيقة ذات طابع رمزي بعنوان "فراشة وورود"، حيث يرمز بالفراشة إلى هذا "الدون جوان" المتنقل من هوى إلى آخر، ويرمز بالوردة إلى المرأة المنساقّة وراء عواطفها المستجيبة لكل من يدعوها إلى هواه:

وفراشة خبرت أساليب الهوى

فمضت ترفرف في الرى وتدورُ

وإذا بها قد غمغت في وردة

وإذا الخميل تألّق وعبيرُ

وإذا هما في قبلة مشدوهة

الحضن سجن والجناح أسيرُ

حتى إذا نفع الرحيق غليلها

طارت فشيمة مثلها التغيرُ

كم وردة سال الندى في خدها

يبكي الخديعة قلبها الموتورُ

هي عبرة للغانيات لو أنه

قد كان يجدي في الهوى تحذيرُ

ويا ليت فتياننا يتعظن بما في هذه القصيدة من عبرة بالغة.

والواقع أن المقام يضيق عن تتبع كل هذه القصائد ذات الطابع العاطفي، والتي تتم عن حس رقيق وشفافية فريدة وحسبي أن أشير إلى عناوين هذه القصائد: "عزاء النفس، أهازيج الحنين، كل مناي، رفيقتي، الأمواج، رسالة عبر الصحراء".

وكما سبق لي أن قلت عن شعر الصديق "شهاب غانم" بأن إبداعه يتجلى في قصيدة التفعيلة بمقدار ما يتجلى في "القصيدة البيئية" حسب تعبير أستاذنا الشاعر الكبير الدكتور محمد عبده غانم والد الشاعر فان هذه القاعدة كما تنطبق على شعر شهاب بوجه عام فهي تتجلى كذلك في شعره العاطفي، ولما كانت النماذج التي استشهدت بها آنفا كلها من

الشعر البيتي، فلا بأس من الاستشهاد بمقطع من شعره التفعيلي لنستمع اليه يقول في قصيدته " الأمواج":

يا حبيبي

يا أغاريدي وطبيبي

هات أقداح الهوى شهدا مذوّب

أنا ظمآن فناولني لأشرب

لا تدع كأسِي بعد اليوم تتضب

يا حبيبي ..

يا أبا البدر وأجمل

أترع الكأس لننهل

وأدرها نغرق الغمّ المطوّل

نحن إن لم نثمل الآن .. فأيان سنثمل..

وحقا لقد ثملنا بشعرك الجميل يا شهاب .. ويا له من سحر حلال!!

العفوية في ديوان "بين شط وآخر"

حسيب كيالي*

في تاريخ الشعر العربي القديم شاعر اسمه علي بن العباس اشتهر بابن الرومي. يكاد يكون دون ند سواء من حيث أصله (أبوه يوناني وأمه فارسية)، أو من حيث شعره، وهو شعر كأنه الأريج من الورد، والزقزقة من العصفور. أي إنه عفوي، لا صنعة فيه ولا نحت ولا قسر. هذا الشاعر مات منذ أكثر من ألف سنة (توفي سنة 896م)، ومع ذلك فله قصيدة يمكن أن تسمى بمصطلح العصر بيانا (مانيفست) أدبيا يقول فيها:

قولا لمن عاب شعر مادحه

أما ترى كيف رُكِّبَ الشجرُ

رُكِّبَ فيه اللحاء والخشب الـ

يابس والشوك بينه الثمرُ

وكان أحرى بأن يهذب ما

يخلق ربُّ الأرباب لا البشرُ

خطر على بالي ابن الرومي و(بيانه) وأنا أقرأ مجموعة شهاب غانم الشعرية (بين شط وآخر) وهي أول كتاب له. ذلك أن الشاعر مهندس وهذه ظاهرة غير غريبة على تاريخ الأدب العربي المعاصر فكثير من الشعراء والقاصين والروائيين في سوريا ومصر ولبنان والعراق أطباء أو مهندسون على طريقة الكاتب الروسي أنطوان تشيخوف (1860-1904م) الذي كان طبيبا ويصرح قائلاً: (الطب زوجتي الشرعية والأدب عشيقتي وأنا رجل لا أستطيع أن أحيا إلا بزوجة وعشيقة في آن معا).. ولعل ما ذكرني بابن الرومي وتشيخوف وأنا أقرأ ديوان شهاب غانم: الشعر عند هؤلاء يكاد يكون خلقا، سجية. إنه مثل الأنفاس والأريج والزقزقة.

* شاعر سوري، ولد في حلب (1921م)، وتوفي في دبي (1993م). نشرت المقالة في صحيفة (الخليج)، سنة 1982م.

أكثر ديوان شهاب غانم من الشعر الكلاسيكي من حيث طريقة النظم وتسمى الطريقة الخليلية ومع ذلك توجد في الديوان بعض القصائد قد نظمت على طريقة التفعيلة التي تأثر أصحابها بالمدارس الشعرية في الغرب ولا سيما السورية. وهكذا فإن شعر شهاب غانم لا تكلف فيه مثلما أراد ابن الرومي للشعر. وهو غنائي، الفنان فيه والإنسان متوحدان.

من قصائد الديوان ذاتها وعددها (31) تستطيع أن تعلم أن الشاعر محب للحرية، محب لوحدة البلاد العربية وتقدمها وخروجها من التخلف مؤمن لكنه غير متعصب مولع بالجمال عند المرأة وفي الطبيعة. ونعلم أيضا أنه متزوج ويحب امرأته وله بنت صغيرة اسمها (وئام) وولد ذكر أصغر منها اسمه (وضاح) الخ.

ولكن تغنيه بهذه الخصوصيات لا ينفرك منه لأنه يضعها في قالب طلي، عذب فإذا غنى أبوته جرد حتى ليكاد يغني الأبوة عموما. وهو متدين كما قلنا غير متعصب حتى أن قصيدته (مناجاة رمضان) تشبه أن تكون صلاة يمكن أن يتلوها مسلم كما يمكن أن يترنم بها أي متدين ونحن نراها من أجمل قصائد الديوان نظمها الشاعر على طريقة الشعر الحر (شعر التفعيلة):

وأرفع كَفِّيْ نَحْوَك
أَرْكُعُ
أَسْجُدُ
أَطْرُقُ كُلَّ دُرُوبِ الْخُضُوعِ
أُرِثِلُ آيَاتِ ذِكْرِكَ
حَتَّى أَحْسَ بِدِفْئِكَ يَنْسَابُ بَيْنَ الضُّلُوعِ
وَشَلَالِ نَوْرِكَ
يَغْمُرُ كُلَّ كِيَانِي
فِيرَأْبُ مِنِّي الصَّدُوعِ
لَأَجْلِكَ صَلَّيْتُ
فَاقْبَلِ صَلَاتِي

ونزّل على صلواتي الخشوع
لأجلك نفسي تصوم وجسمي يجوع
لأجلك
فاغفر ذنوبي
وبدّد كربوبي
وبارك دروبي
وهبني الفؤاد النقي القنوع⁽¹⁾.

¹ - على الرغم من أن الشاعر تحرر هنا من هندسية الشعر الخليلي (ثلاث تفعيلات أو أربع في كل شطر مع قافية واحدة للقصيدة كلها مهما طالت) فإنه ظل أميناً للقوافي إلى حد ما.

العذوبة والسلاسة في ديوان "بين شط وآخر"

وائل الجشي*

"عذوبة الكلمة وسلاسة العبارة الشاعرية، من الخصائص العامة لشعر شهاب غانم. ولكن الأهم من ذلك احترامه الفكرة ومحاولته صياغتها في قالب يجمع بين سلامة اللغة وجمالها". بهذه الكلمات ذيلت مع المذيلين "بين شطر وآخر" المجموعة الشعرية الأولى، التي أصدرها شهاب غانم حديثاً عن مؤسسة "البيان" للصحافة والطباعة والنشر. وأرى هنا أن أستهل بها هذه الرؤية النقدية الإجمالية للمجموعة التي قدم لها الأديب الشاعر اليمني أحمد محمد الشامي وتضم إحدى وثلاثين قصيدة.

نلاحظ أن قصائد المجموعة تنقسم من حيث موضوعاتها إلى وطنية ووجدانية وتشمل الوجدانية الشعر العاطفي وشعر الطبيعة والتأمل في الحياة وإن كان هذا التصنيف يبدو تعسفياً لأن كل الشعر ذاتي نابع من الوجدان ونحاول أن نلمس في النماذج التالية ما يتسم به شعر شهاب غانم إجمالاً من عذوبة الكلمة وسلاسة العبارة، أما الفكرة فتأتينا عبر كل نموذج نمر به، لأن الشاعر دائماً يريد أن يقول شيئاً وهو يعطى فكرته بوضوح يبلغ أحياناً حد المباشرة والتقريرية. ولنتأمل هذه العذوبة والسلاسة في قوله:

إذا تتسمت خلت الكون من عبق
وإن نظرت فملء الخافقين ربي
وإن أصخت فسمفونية عزفت
فيها العنادل لحنا ينتشي طرباً
مفاتن أينما وليت ساحرة
وروعة تبهج القلب الذي اكتأباً

وفي قوله :

تعبت وما كنت أحسب يوماً بأني أكلُ
بشرخ الشباب
وأن الفؤاد يملُ

حروف الكتاب
وسحر الكعاب
وكأسا تراقص فيها الحباب
وكذلك في قوله:

وفراشة خبرت أساليب الهوى
فمضت ترفرف في الري وتدور
الورد آذان لحو حديثها
يتسقطُ الهمسات حين تطير

وإذا تأملنا شعر شهاب غانم العاطفي والتأملي نلمس في طياته نظرة فلسفية تحلق في
أجواء قصائده هذه. إنه في شعره العاطفي دائم الحديث عن البعد وذكرى الحبيبة ولكن
رنة اليأس والحزن في شعره لا تلبث أن تتحول إلى فلسفة تجعل من ذكرى الحبيب وشعره
عزاء له في وحدته وآلامه:

اسمعيني إذا ترنمت فالشعر	رسولي إليك عبر الروابي
وصديقي وسلوتي وأنيسي	في اكتئابي ووحدتي واغترابي
وغدت أنة تمزق صدري	بين كفيه نغمة من رباب
واستحالت آلام نفسي ويأسي	أما يمتطي عباب المصاب

وهذه العقيدة نابعة من فلسفته في الحياة .. فلسفة الابتسام في وجه القدر العابس:

إنها الموجة تلهو
إنها الموجة تلعب
سوف تأتي ثم تذهب
فإذا الأيام تقسو
ربما في الغد تأسو
وإذا الدهر تبسم
لا يغرنك غدا قد يتجهّم

فلماذا نتألم؟

يا حبيبي

يا أغاريدي وطبيبي

ومن محاولاته التي أثبت فيها قدرته على كتابة شعر التفعيلة بعفوية - لا تكلفا- قصيدته "البحث" التي تؤكد تطوره الشعري فنياً وتبين عمق نظريته التأملية في الحياة، إنني لا أسمعه يخاطب إلا السعادة موجهاً حديثه إلى نجمة تختفي وراء غيوم الدجى:

حنانيك .. رحماك لا تسرفي

متى ينتهى البحث؟.. إنني سئمتُ الطريق

تعبتُ .. فما لك لم تتعبني؟

ومالك .. مالك لم تكتفي؟

متى يا حياتي وأنى يكون الوصال؟!

إلى أن يقول :

هنالك أدركت أنني أردت المحال

ومنك طلبت الذي لا ينال

لأنك وهم عديم الوجود

شظايا مثال !!

ولكن إدراكه هذا لا يهبط عزيمته، ولا يحبط إصراره. يقول في "سباق الجرذان":

تعبت وخارت قواي

ولكنني سوف أعدو وأعدو

وبعض خطاي

ما فتئت خطوات سراع

تحركني قوة الاندفاع

وإدمان ساقلي لدرب الصراع

إلى أن تشق الزوابع مني الشرع

وإصراره هذا النابع من عقيدة هو الذي يجعله يقول في قصيدة أخرى:

سوف يمضي الدجى ويأتي صباح

تتلاشى في نوره الأشباح

سوف يأتي فجر يمزق ليلاً

سرمدياً في ساحنا ينداح

وعبر تصفحنا لقصائد "بين شط وآخر" نلمس حالة استياء الشاعر من الواقع العربي واتجاهه إلى مقارنة هذا الواقع مع ماضي الأجداد الزاهر. نلاحظ ذلك مثلاً في قصيدته "عيد" التي يحاول أن يوظف فيها المناسبة توظيفاً فكرياً وطنياً.

من الملاحظات التي يتوقف عندها قارئ المجموعة مهارة الشاعر في الوصف وشفافيته اللتان تبدوان في أكثر من قصيدة مثال ذلك قوله في "على ضفاف الفالانسي":

وتهادت زوارق وقلوع

قزح عندها يباع ويشرى

فهى في حلة البنفسج حيناً

وهى حيناً تتساب حمراً وصفراً

وهى كالبرتقال حيناً وكالبن

وحيناً تختال رزقاً وخضراً

والصبايا بين الزهور ورود

يا لزهر قد راح يحضن زهراً

لكن هناك ملاحظات لا بد من الإشارة إليها، وإن كانت لا تقلل من شأن الشاعر وشعره. فليست كل أبيات القصائد مؤهلة لأن تعيش في أحضانها، كما أن المجموعة تضم قصائد تنسم بشيء من الضعف والثغرات الفنية وأهم ما يلفت نظر القارئ اتجاه الشاعر إلى التقريرية والمباشرة إلى حد الوعظ والخطابة أحياناً ومن أمثلة أبياته الضعيفة قوله:

والرمل يظهر في الصحراء قاحلة
تبرا وليس ترابا خانه المطرُ

وقوله :

فالظلم مندحرٌ والعدل منتصرُ
والجهل منحسرٌ والعلم منهمرُ
أما مثالُ المباشرة والخطابية فنجدُه مثلاً في "عيد الإمارات":
يكاد يجهلنا من كل تجمعنا
به القرابة والتاريخ والوطرُ
واليوم ها نحن شعب سائرٌ قدماً
له احترامٌ .. له رأيٌ .. له خطرُ
ما الاتحاد سوى حشدٍ لطاقتنا
وخطوةٍ لطريق المجدِ تختصر
ونجد تناقضا في الفكرة بين البيت السابق "له احترام" وبيت آخر في القصيد ذاتها:
الآخرون مضوا في سعيهم قُدماً
ومن تخلفنا في جهرهم سخرُوا
ونجد تناقضا في الصورة في قصيدته "الأمواج":
سوف يطفو حبنا .. دوماً سيطفو
لن يحول الموج يوماً بيننا بل يجف ..
فكيف يطفو الحب دوماً بينما يجف الموج؟

أما عن اللغة فهي سليمة لدى الشاعر كما أنه متمكن من زمام موسيقى شعره حتى أنك لا تجد إلا هنات لغوية قليلة. ولم يستوقفني فيما قرأت إلا خلل واحد في أحد أبيات "فجر النواصي" وهو على ضرورته يضيف ضعفاً على الإيقاع المتناسق للقافية:

وما الشيب إلا بعض ما يدفع الفتى
ضريبة نفس في النجوم تجوبُ
تمرست بالأحداث منذ حدثتي
فعاث بفودي الهمُّ والتجربُ
وفي الختام لا نملك إلا أن نقول إن هذه المجموعة من الشعر العربي الحديث الذي نأمل
أن يحافظ على مستواه. وأن تكون الخطوة التالية للشاعر نقلة مضمونية وفنية أفضل.

قراءة في ديوان "بين شط وآخر"

إيهاب الخضرجي*

إن قسا الدهر علينا,
لا تبال,
لا تقابله حزينا,
ابتسم وانس اغتمامك,
ابتسم لي,
آه ما أحلى ابتسامك.
إنها الموجة تلهو,
إنها الموجة تلعب
سوف تأتي ثم تذهب...

ترى أي موجة تلك التي يتلاعب بها الشاعر شهاب غانم، أي موجة تلهو وتلعب.. تأتي وتذهب؟

ربما كانت الموجة التي قلبت حياة الشاعر شهاب رأساً على عقب، فجعلته يتحول أحياناً من كونه مهندساً أدواته قطع من الصلب المشكل، إلى شاعر أدواته الكلمة الرقيقة والموسيقى الخلابة.

أم أنها موجة دوامية تذيب كل أوجه حياته المختلفة لتعطي في النهاية نموذجاً متفرداً لشاعر مهندس، أو مهندس شاعر؟

لا شك أنها الموجة الدوامية التي عصفت بشهاب غانم كي تعطي نموذجاً جديداً لصوت شعري، يتطور بسرعة، وتتضح أدواته الغنية بخطى وثابة.

قد يقول البعض إن قصائد شهاب لم تتأثر بطبيعة دراسته وعمله لكن هذا غير صحيح فأعمال الشاعر يتضح فيها تماماً أبعاد العقلية العلمية المرتبة الأفكار، والتي تمزج الواقع المرير بالحلم الذي يمكن أن يتحول إلى واقع .

* شاعر لبناني، يقيم في الإمارات. نشرت المقالة في صحيفة (البيان)، سنة 1982م.

بالطبع لا يطلب من الشاعر كي يؤكد تأثره بالهندسة أن يذكر بين الحين والآخر آلاته وأجهزته وكلماته المعقدة، فذلك سيكون لوناً من الإقحام على عالم الشعر. ويكفي أن يكون دور العلم التطبيقي في شعر شهاب هو المخلص من الأوهام المريضة التي كثيراً ما تصفع القارئ بين الحين والآخر عندما يتناول قصائد بعض الشعراء. ويؤكد هذا القول أيضاً الديوان الأول للشاعر "بين شط وآخر" .. كان من الممكن أن يكون ديواناً رومانسياً يعبر فيه عن مرحلة من تاريخ البشرية تراكمت فوقها عشرات المراحل، لكنه تخطى هذه المرحلة سريعاً بفضل منطقية العلم.

والشاعر شهاب غانم في ديوانه "بين شط وآخر" يؤكد بين الحين والآخر أنه ينتقل من شط إلى آخر، إنه ينتقل بصورة تدريجية من قوالب الشعر القديم الجامدة إلى أساليب الشعر الحديث التي تعطي حرية واسعة وتنتج أعمالاً أكثر مناسبة للعصر، ذلك العصر الذي لفظ قضبان السكك الحديدية التي يسير عليها الشعر القديم وينطلق الآن إلى الفضاء الخارجي عبر مركبات لا حدود لسرعته ولا لقدرتها على المناورة. إن شاعرنا لا ينتقل من القديم إلى الجديد من دون وعي أو أصالة، بل يرتب نفسه من دون وعي منه لذلك التحول. وقد ألمح الشاعر السيد أحمد الشامي في تقديمه للديوان إلى ذلك عندما قال: "لقد أعجبني التزامه وهو يساير ما يسمى بالشعر الجديد بالنغمة والتفعيلة وهما لب الشعر وروحه .. ولا أسمى البيان - أي بيان بدونهما شعراً إلا مجازاً .. وذلك وحده يدل على أصالة شهاب الشعرية وعلى درايته وقدرته أيضاً. ومع أنني صاحب "لزوميات الشعر الجديد" وأسطورة اليمن السعيد" ومن أوائل المتمردين على القوافي في اليمن، إلا أنني أصبحت راسخ الاعتقاد بأنه ليس هناك في الشعر جديد ولا قديم، ولا ثابت ولا متحول .. وإنما هناك أصالة وجوده أو تقليد وإسفاف".

ونحن مع الشاعر الشامي في التزام شهاب بالنغمة والتفعيلة في شعره الجديد، ولا شك أن هذا هو أساس مقدرة الشاعر على كتابة الشعر الجديد بإجادة ورصانة. وتحول الشاعر شهاب من الشعر القديم إلى الجديد يتم بالنهج نفسه الذي حدث مع رواد الشعر الحديث، السياب والبياتي وحسن فتح الباب وصلاح عبد الصبور، فقد بدأوا جميعاً

كتابة الشعر من خلال القوالب القديمة، ثم تحولوا تدريجياً إلى كتابة الشعر الحديث، ومن الواضح من خلال واقع الشعراء المحدثين المجيدين، أن هذا هو الطريق الصحيح لإنتاج القصيدة الحديثة التي تتميز بالأصالة والمعاصرة. وهذا ما يحدث مع شهاب وما يؤكد ديوانه "بين شط وآخر".

ورغم أن الشاعر لم يضع في اعتباره أنه سيتحول من القديم إلى الجديد في شعره إلا أنه يكتب الجديد في هذه المرحلة - مرحلة التحول - تلقائياً وعندما يصعب على القصيدة القديمة تحمل موضوعات جديدة عليها، ومن أمثلة ذلك قصيدة "سباق الجرذان" التي عبر فيها الشاعر عن غربة الإنسان ذي القيم الأصيلة في مجتمع يعيش صراعاً مستمراً، لكنه صراع قذر، يصبح الإنسان فيه أشبه بالجرذان:

تعبت.. وما عدت أحسن حسماً لأمرى
وأصبح كل قرار صغير يدوّخ فكري

وبرهق صدري

ويحتاج جهداً جهيداً

فهل بات فكري بليداً

وقد كان شعلته

تضئ لي الدرب في كل وهلة

وفي كل مرمى .. وفي كل قبلة

تعبت فمعركتي خاصرة

أنازل طاحونة مأكرة

أقاتل أشباحها الغادرة

أصاويل أصواتها الساخرة

فلا غرو إن دارت الدائرة

على مهجتي ويدي الخائرة

وكتابة قصيدة مثل "سباق الجردان" بالقوالب الشعرية القديمة يفقدها القدرة على التأثير، ويقف عقبة أمام توصيل أفكار الشاعر وفلسفته إلى القارئ. لكن كما رأينا فإن الشعر الجديد يستوعب كل قضايا العصر، لذلك لجأ إليه شهاب في أكثر من موقع بديوانه الأخير. وهذا في اعتقادنا ما يدفعه إلى التحول تماماً نحو الشعر الجديد. ويتميز الشاعر شهاب في هذا الديوان بقدرة واضحة على نسج الصور الملفتة للنظر، والتي تحتاج أحياناً إلى تأمل عميق. إنه قال: "بشرخ شبابك أمسيت كهلاً .. تهول صباحاً وتركض ليلاً..".

كذلك قال: "سباق مرير مع المستحيل" وكيف يكون للإنسان سبق مع المستحيل أو يكون في شبابه كهلاً؟ إنها كلها صور فلسفية تعبر عن غريب يعبر عالم المستحيل. ومع هذه الصور الرائعة يسقط الشاعر في بحر غسل القدامى، ويكرر صوراً أحبها، لكنها صارت اليوم من كثرة استخدامها أقرب لصور الكتابة النثرية، أو قل أقرب للغة الحياة اليومية، وبالتالي فقدت لغتها الشعرية وموسيقاها التي كانت تطرب الأجداد يوماً. وهذه الصور التي نعيها على الشاعر وصفه للجيب بأنه "أخ للبدر وأجمل" .. أو قوله: "سوف يأتي بعد الظلام النهار".

وقدوم النهار بعد الليل أمر مألوف وبخروج عن كونه صورة تستحق أن تكتب في قصيدة شعرية. كذلك ما قاله: "لاح نور كالنيزك الوهاج، مزقت دونه ستور الدياجي"، أو ما قاله: "يحز بنفسي أن أبيع مودتي، وأعرض غالي القلب بالثمن البخس".

ولا نرى داعياً للإطالة في ذكر الصور التي لا تتناسب العصر الذي نعيشه، فهي رغم أنها تؤخذ على الشاعر، إلا أنها دليل مواصلته الاطلاع على التراث الأدبي، وتأثره به. والمعتقد أن هذه المرحلة ستتلاشى تدريجياً كلما غرق الشاعر في تجربته الشعرية.

والشاعر في أكثر من قصيدة بهذا الديوان يلعب لعبة السينما فهو هنا يلجأ لأسلوب القطع، وهناك يمزج بين الصور بعضها البعض، وأحياناً يستخدم ما يسمى بلغة السينما "الفلاش باك" حيث يرسم صورة لواقع معين ويتكلم عنها، ثم يعود إلى خلفيته الرئيسية

ليحدث عن واقع آخر وصور أخرى ولكنها ترتبط معاً في حالة نفسية واحدة. وعلى سبيل المثال قصيدته الأمواج التي تحدث فيها في البداية وكأنه يقف على شاطئ بحر .. "إنها الموجة تأتي .. إنها الموجة تذهب" ثم يقطع هذه الحالة التي كان من الممكن أن يستمر طوال القصيدة من خلالها, ويعود إلى خلفية أخرى: "يا حبيبي هكذا الدنيا صروف تتقلب .. إن قسا الدهر علينا, لا تبال, لا تقابله حزينا, ابتسم وانس اغتمامك, ابتسم لي .. آه ما أحلى ابتسامك" .. ثم يقطع مرة أخرى ويعود إلى حالة البداية .. لكن من خلال تغيير بسيط: "إنها الموجة تلهو .. إنها الموجة تلعب .. سوف تأتي ثم تذهب .. ثم تأتي ثم تذهب, فإذا الأيام تقسو .. ربما في الغد تأسوا, وإذا الدهر تبسم, لا يغرنك .. غدا يتجهم فلماذا نتألم, يا حبيبي, يا أغاريدي وطبيبي, هات أقداح الهوى شهدا مذوب" .. وفي نهاية القصيدة يمزج بين الحالتين بمونتايج ذكي .. "لن يحول الموج يوما بيننا, بل يجف ! سوف يبقى يا حبيبي حبنا الخفاق يشدو في القلوب, صامدا بالرغم من انف الخطوب" .. والشاعر يؤكد بين الحين والآخر في ديوانه على إحساسه العميق بالغربة في هذا العالم

الصاحب المناور .. إنه كما قال في قصيدة البحث:

وما زلت أبحث دون انقطاع

وما زال يغمر دربي الضياغ

أطوف في كل صقع وأرض

فحيناً بأقصى المشارق أطوي الشراع

وحين لأقصى المغارب أمضي

وحيناً أولي جنوباً فألقي الرحال

وتحت أسنة شمس الزوال

تموت حيالي الرمال ..

هكذا يبدأ الشاعر قصيدته, إنه يبحث, ترى عن أي شيء يبحث, ربما يبحث عن لحظة صدق في هذا العالم, لحظة صدق تقية من الضياغ. وربما يبحث عن إنسان مازال يعيش بنفس صافية وسلوك لم تلوته بعد المدنية الزائفة, إنه يبحث عن كل ذلك في كل مكان

وبينهكه البحث فلا يجد سوى شمس زائلة وحبّات رمل مقتولة في يديه. إنها صورة صادقة
لسكون عالم آثم، يحاول أن يعيد الحياة إليه، حتى يتخلص من إحساسه بالغرابة :

وألقي على صفحة الماء بعض الحصى
وأَمْضي أناجي الدوائر تتداح لا تلتقي
كذلك تكبر ..

والعمر يمضي ولا تلتقي

ويوما فيوماً سنكبر حتى التلاشي.

حتى الحصى لم يساعده على بعث الحياة في المياه الراكدة، بل خلق له دوامة تكبر
وتكبر، لكنها تتلاشي كما يتلاشى هو يوماً بعد يوم. وعندما يظن أنه أمسك بشعاع أمل
في رحلته وبحثه فيه يكتشف أنه يمسك بوهم:

قعدت بظل الخميّلة بالأمس وحدي

أفكر فيك وأرخي عنان الخيال

فيطرق، يطرق فكري السؤال

أفكر فيك، فأجزم أنك أنت مدى أمنيّاتي

وأنتك أنت القريب البعيد

ولكنني إذ أطلت التأمل

حين توغلت في عمق أعماق ذاتي

هنالك أدركت أنني أردت المحال

ومنك طلبت الذي لا يُنال

لأنك وهم عديم الوجود !!

... شظايا مثال.

لكن الغربة والضياح ليسا الفلسفة التي يتغنّى بها الشاعر وإنما هما حالة تأتي وتذهب، ولا
شك أن أهم ما يشغل بال شاعرنا هو الوطن، فيناجيه بين الحين والآخر في صورة
واضحة تماماً، ويتغنّى له أحياناً أخرى وكأنه يغني لمحبوبته ورغم أن فكرة مناجاة الشاعر

للوطن وأنه محبوبته فكرة تناولها عشرات الشعراء من قبل, إلا أنها في قصائد شهاب ذات مذاق رائع:

لهفي على وطني مما يكيد له
وما يخبئ في طياته القدرُ
لولا هوى في ضلوعي قد بليت به
ما عاث بالجفن في ليل الهوى سهرُ
ولا استبدت صبايا الشعر تدفعني
إلى ابتداع قوافٍ كلها شرر
بل بت أذرف دمعا لا يفيد غنى
ولا يُنال به حق ولا وطر
فقل لمن تخذ الأوطان لعبته
إن العواصف لا تُبقي ولا تذر

والشاعر في هذه القصيدة يعبر عن أحاسيسه نحو وطنه الصغير الذي يعتبره جزءاً من الوطن الأكبر, أو الوطن الحق, ففي قصيدته "عيد" يعبر عن موقفه الإيجابي من القومية العربية, فيناجي الوطن العربي, ويعتب عليه:

يا عيد لم يبق في الأعياد أوطار
كيف السرور وملء القلب أوضار
أكلما عدت تلفانا برقدتنا ؟
كنومنا ما رأى كهف ولا غار
تضامن العرب آمال مبددة
ووحدة العرب تاريخ وأخبار
وترية المسجد الأقصى يدنسها
نعل الغزاة .. ولا خزي .. ولا عار

وشهاب غانم مولع بالأماكن، ففي ديوانه "بين شط وآخر" خمس قصائد، بعضها طويل جداً يتغنى فيها بجمال المكان الذي زاره لكنه يطعم تلك القصائد بفلسفات خاصة به، وقضايا تؤرقه، فيحول تلك القصائد التي كان من الممكن أن تخرج من بين يديه قصائد وصفية إلى عمل أكثر عمقا. نجده في قصيدة "في ربي الأرض" يبدأ بالوصف:

يا رفاقي قد هيجت أشجاني

ذكريات كانت هنا وأماني

خطرت في الدروب "أنفا" و"شكا"

وتهاوت على ربي لبنان

بين لوز يغيب في كأس ورد

وهزار يضيع في سنديان

وكروم تمتد خلف كروم

وزهور تفيض بالألوان

لكنه وسط هذا المكان الرائع الذي كاد أن يوحي لنا بأنه جنة الله على أرضه لم ينس ما يجري على أرض لبنان، فغلبته القضية وفرضت نفسها وسط هذا الجمال الخلاب، لتخرج حقيقة أخرى يرسمها الشاعر بالدماء:

ولد الحرف ها هنا يا رفاقي

وتجلت إشراقة الإنسان

وتلاقت في ألفة وصفاء

في الروابي الأديان بالأديان

ثم ماذا ؟ تخلف وخلاف

وقتل الإخوان للإخوان

وضياع .. وهجرة ودموع

ودماء تسيل كالغدران

فلعل الفجر الجديد قريبٌ

ولعل الليل المؤبد فانٍ

ومن العيوب التي تأخذ على الشاعر في هذا الديوان عدم توفيقه في اختيار عناوين قصائده، فعدد منها يأخذ الصورة التقريرية البعيدة تماماً عن لغة الشعراء وخاصة لغة الشعر الحديث التي تتميز بالموسيقى العذبة. من هذه العناوين على سبيل المثال: في ربي أب، معزوفة إلى تاج محل، عيد الإمارات، مناجاة رمضان وغيرها. لكن هذا لا يعني غياب العنوان الموفق فهناك العديد من العناوين الجذابة مثل: "الأمواج"، "وهج"، "البحث"، التي تتميز بالرقّة والغموض مما يضيف على القصيدة مناخاً ملائماً للشعر.

كذلك يؤخذ على الشاعر الإهداء الذي يتصدر الديوان فقد كان غير موفق فيه على الإطلاق، وهو بعيد تماماً عن مستوى الشاعر في كتابته للشعر. وكان الأفضل أن يكتب الإهداء نثراً رقيقاً.

وبوجه عام كان ديوان "بين شط وآخر" تأكيداً لميلاد شاعر جاد، يتطور يوماً بعد آخر، ويتضح ذلك من مراجعة تواريخ القصائد التي ثبتها الشاعر في معظم القصائد فكان التطور واضحاً في الموسيقى وتركيب الكلمات والصور؛ ولا شك أن هذا سيتأكد مع أعمال الشاعر الجديدة.

وقفه مع ديوان "بين شط وآخر"

مدرك عدنان قصير*

سمعت من برنامج (أدبنا الجديد) ذات خميس من إذاعة دبي ألواناً من التعبير الأدبي، توقفت فيها عند أبيات من مجموعة شعرية بعنوان "بين شط وآخر" للشاعر المهندس شهاب غانم، توقفت حيث أخل القارئ (ولم يكن الشاعر نفسه) بالوزن في قراءة أحد الأبيات. والقصيدة كانت من الشعر البيتي مما أوهم من الموسيقى الشعرية وربما اشتبه مستمع من أصحاب الأذن المدربة أو الموهوبة أن العثرة هذه موجودة في الأصل. إنما بالرجوع إلى الأبيات في الديوان يمكن أن يتبين الخطأ الناتج عن الإلقاء الذي كثيراً ما يحصل مثله للشعر العمودي كما كان يحصل كل يوم في رواية أو أداء شعر أبي نواس في المسلسل الإذاعي أيضاً.

القصد : رجعت إلي الديوان (بين شط وآخر) وبالمراجعة تعرفت على القصيدة التي كنت أسمعها فإذا هي أولى قصائد الديوان بعنوان (عواطف وعواصف) وهي قصيدة من البسيط ذات لوحات تتماوج بالعاطفة والحركة ومن أبياتها موضوع التحريف من المطبعة لا من الإلقاء قول الشاعر:

حسب المتيّم أن يفنى بلوعته

كصاحب الفن، في إبداعه الوطر

فقد بدلت المطبعة "المتيم" بـ"المتيم" على أن مثل هذا التحريف يدركه القارئ المتتبع السياق كما أن هذا البيت فيه سهولة ممتعة وهو قريب من الشعر الصوفي عند ربطه مع ما قبله:

ما جئت أطلب في حبي مقايضة

فالصب ليس بصب حين يتجر

وما الهوى غير فن في روائعه

ما ليس يدركه سمع ولا بصر

* ناقد وصحفي مصري، كان يعمل في صحيفة الاتحاد في الإمارات.

وهنا أشير إلى أن ألقاء الشعر البيتي يتبع المعنى في الأداء وإلقاءه بترتيب شطريه أو تفعيلاته قد يخرب المعنى، فلا نقول مثلاً : (وما الهوى غير فن في روائعه) بل نقول: (وما الهوى غير فن) ونسكت، ثم نعقب: (في روائعه ما ليس يدركه سمع ولا بصر).

وهذا شبيهه بقول الجواهري من ناحية التركيب:

والمجد جبار على أعتابه

تهوي العروش ويسقط الجبار

فلا نقول: (والمجد جبار على أعتابه) بل نقول: (والمجد جبار) وهكذا، إذ إن الإلقاء أو إنشاد الشعر العمودي فرع المعنى كما هي الحال في الإعراب.

أعود إلى الإخلال بالوزن الذي يأتي أيضاً من الإلقاء كما حصل في البيت من قصيدة شهاب غانم موضوع حديثنا:

أما كفاك بأن قد أعرضت ونأت

عني الأمانى حتى رحت تستتر

فقراءة أو نطق (الأمانى) هنا فن وحده إذ ينبغي إظهار الشدة مضمومة - طبعاً - على الياء إلا أن الحروف العربية في المطبعة الحديثة تنقصها الشدة، فهذه ليست من الشكل إنما هي - وخاصة عند العروضيين - حرف وإدراك لزوم نطقه يحتاج إلى أذن مدربة أو معرفة بالعروض.

عدت إلى الديوان - بين شط وآخر - بعد أن حصلت على نسخة منه وبعد أن سمعت وقرأت عنه ما يحدوني إلى مراجعته جرياً على اهتمامي بالأدب وبالشعر على وجه الخصوص فإذا هو مجموعة شعرية من إحدى وثلاثين قصيدة موزعة بين شعر التفعيلية وبين الشعر العمودي أو البيتي، بل هو من اثنتين وثلاثين قصيدة إذ إن الإهداء الذي جاء قبل التقديم قصيدة من الخفيف أيضاً وهي تضيف إلى الديوان رقماً في عدد القصائد العمودية التي تشكل أكثرية الديوان؛ فهو يضم أربع قصائد من الشعر التفعيلي (الحديث). ولا غبار على التنوع في الأضرب فالجمع بين الأضرب المتقاربة للبحر الواحد في الشعر الحر أجازة أرباب هذه الفن كما جاء في تحقيق كتبه وائل الجشي في البيان بعنوان (على

هامش التجديد الشعري) في (عدد 19 أبريل 1982م ص11)، وكانت أبيات من قصائد (بين شط وآخر) الحرة من بعض الأمثال التي ضربها الجشي في دراسته الأدبية هذه. وللاينصاف أسجل أن كلمة (شعر) على غلاف - بين شط وآخر - تستحقها القصائد الواردة من خواطر هذا المهندس الشاعر، وهنا أؤكد على صفة المهندس فالرجل لم يتخذ الأدب حرفة إلا أن الشعر غالبه على حرفته لأصالة تربي عليها، وإنما أخذت أول ما أخذت على شاعرنا استعماله تعبير (ليت شعري) في قصيدة الإهداء مرتين ولو أنه لم يعكر على التعبير لكان أقرب إلي طبيعته البعيدة عن التقليد وفي هذه الأبيات (الإهداء) إشارة إلى الأصالة التي أدركتها من شعره وهي قوله:

أبتي لم تزل منارا رفيعا

للنفوس الأبية اليمنية

كم تعلمت منك صوغ القوافي

وتشربت من رؤاك الأبية

وهنا بيت القصيد: (كم تعلمت منك نظم القوافي) فكلما رجعت إلى هذا الديوان أتأمل في معانيه البعيدة والقريبة أتذكر قول القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودُهُ أبوه

ومن شطحات شاعرنا البعيدة ومعانيه الفلسفية قوله: (ولكن لا شاطئ للأمان) في البيت الذي أخذ منها اسم الديوان (بين شط وآخر أقطع العمر ولكن لا شاطئ للأمان) وهو من قصيدته الوصفية الوجدانية (في ربي الأرز):

ولد الحرف هاهنا يا رفاقي

وتجلت إشراقة الإنسان

وتلاقت في ألفة وصفاء

في الروابي الأديان بالأديان

ثم ماذا ؟ تخلف وخلاف

وقتل الإخوان للإخوان

وتطيع شاعرنا القوافي في وصف المعاناة الجارية على أرض لبنان إلى أن يقول مخاطباً
ابنة الأرز:

إن تجنبت فهي بعض جراحي
أو تغنيت فهي من أوطاني
ومن المرقص قول شهاب في قصيدته (عيد الإمارات):
فالعين تبصر في بؤس وفي فرح
ما يشهد القلب لا ما يشهد البصر
وهو قريب من قول أحمد الصافي:
إن من لا يرى بقلب بصير
لهو أعمى عكازه عينا
ومن المرقص أيضاً قوله في صف البحيرات في قصيدته (على ضفاف الفانسي):
وتهادت زوارق وقلوع
قزح عندها يباع ويشري
لانعكاس الألوان فيها على الماء
بريق كالجوهر الفرد سحرا
فهذا البيتان من بيتين بينهما لوحة فائقة صورتها ريشة المهندس شعراً مرقصاً طيباً. إلى
أن يقول في وصف الجبال:
وعلى هامة الجبال تلوج
في وقار المشيب قد زان شعرا
هي مثلي صبا وفي الشيب مثلي
وأنا مثلها شموخا وقدر
والى حديث آخر مع المرقص من (بين شط وآخر) أختم بهذا البيت العطري:
ونسيم ينساب منها ندي
في الروابي يكاد يقطر عطرا
وأقف مع القارئ عند (ونسيم يكاد يقطر عطرا) وأتأمل: فعلا شعر مهندس فنان.

تجربة الحب في ديوان "بصمات على الرمال"

د. سعيد دعيبس*

في ديوان "بصمات على الرمال" تناول الشاعر "شهاب غانم" أكثر من مضمون وأكثر من قضية، وقد لاحظت أن الدراسات النقدية التي تعرضت لذلك الديوان، دارت حول معظم القضايا الموضوعية للديوان ماعدا المرأة والحب، التي لم تتل حظاً من هذه الدراسات، مع جدارتها - في نظري - بأن تكون القضية الأولى من قضايا الدراسات النقدية المرتبطة بذلك الديوان، ولذا آثرت أن تكون هذه القضية مجال بحثي في هذه الدراسة. وأحب أن أوضح أن اهتمامي بدراسة تجربة الحب في ذلك الديوان، لا ترجع إلى العامل السابق فقط، بل إن هناك عاملين آخرين يشتركان مع العامل السابق في توجيه اهتمامي لتلك القضية ألا وهما:

1 - العامل الأول : وهو عامل عام يمثل أزمة من أزمت الشعر العربي المعاصر، بل ويمثل أيضاً أزمة من أزمت الإنسان العربي المعاصر، إذ أصبح حديث الشاعر المعاصر عن تجربة الحب التي تمثل أسماً قيمة من قيم الوجود الخصب الخلاق، أمراً يدعو للخجل والإعتذار، وأمراً يدعو إلى المساءلة والالتهام من بعض النقاد. وقد أوضحت خطأ ذلك الاتجاه في تقديمي لكتابي "الغزل في الشعر العربي الحديث" وفي أحد فصول ذلك الكتاب حيث تحدثت عن "الغزل والصراع المذهبي العالمي". ولا عجب أن تذوي في جحيم الصراع الأيديولوجي المعاصر حديقة من أجمل حدائق الضوء في العالم، ويغيض - أو يكاد يغيض نبع من أعذب ينابيع الروح السابحة في بحار الحب والصفاء، ولا عجب أن يصبح الحب في مجتمعنا المعاصر في قفص الاتهام، وأن تطلق الحرية لأدب العنف والحقْد والهجاء، بينما يكاد يصبح من المحرم في بعض قطاعات التعليم دراسة قصيدة الحب والصفاء !..

* ناقد لبناني، عمل مدرساً في الإمارات. نشرت المقالة في صحيفة (البيان)، عام 1982م.

ومن ثم .. فما حاجتنا لدراسة شعر الحب في التراث العربي : طوق الحمامة لابن حزم .
مثلا - مصارع العشاق لابن السراج ... مثلا .. شعر جميل بثينة .. وشعر الحب الإلهي
لابن الفارض ... وغيره .. وهو تراث تفخر أي أمة بانتمائه إليها ...!

وهذا المدخل يفضي بنا إلى العامل الآخر الذي جعلني أختار تجربة الحب في ديوان
"بصمات على الرمال" موضوعاً لهذه الدراسة، هذا العامل الآخر هو، أن معظم قصائد
ذلك الديوان أقرب إلى تراتيل عذبة تغنى بها الشاعر على قيثاره الحب، فأعاد لعاطفة
الحب النبيلة، مكانتها السامية، في عصر الإنسان الآلي الضائع في صحراء الجمود
والعقم، عصر "الرجال الجوف" و"الأرض الخراب" .. العصر الذي فقد فيه الإنسان آدميته،
وأصبح أسيراً للعنف والجنس والموت، والحقد والكراهية..!

إن أهمية ذلك الديوان تبدو في أن تراتيل الحب الهامسة الموحية فيه تأتي في وقت يكاد
يفلس فيه ديوان الغزل العربي المعاصر، أمام هجمة الشعر الموجه وأمام شعر الغموض
والطلاس، الذي ينسب خطأ لموجة الحداثة المعاصرة ...!

ومن ثم ... فإن ديوان "بصمات على الرمال" بإشراقات قصائده الغزلية يسهم مع قلة من
أمثاله، في تمهيد سمائنا العربية المدلهمة بضباب الحقد والكراهية والتمزق، لإشراقة شمس
الحب والإخاء من جديد ... نعم تمهيد هذه السماء لشدة العصفير، وهمس الجداول،
وريحة الناي، وألحان المساء .. كما تسهم قصائد الحب في هذا الديوان في تبديل وهم
شائع لدى بعض أتباع المذهب الواقعي، إذ يفهمون خطأ أن الواقعية تحتم على الشاعر
أن يلتزم فقط بقضايا الكفاح السياسي والاجتماعي، هؤلاء الشعراء قد ضللتهم الشعارات
المزيفة، وجعلهم بالقيمة الأخلاقية البناءة لتجربة الحب، وما يمكن أن تسهم به من عوامل
إيجابية في حياة الفرد والمجتمع، ولعلمهم يجهلون أن ماضينا الحبيب، يحفل بتراث رائع في
دراسات الحب، وقصائد الغزل، وأن تجربة الحب عند (عنترة) و(أبي فراس) وأمثالهما، قد
ارتبطت بالفروسية النبيلة، والمجد المؤثّل، ولعل شاعرنا الكبير عبد الرحمن شكري كان
يعني هؤلاء عندما قال في مقدمة ديوانه "زهر الربيع": "ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم

منزلة الغزل في الشعر، إن مزية الغزل سببها أن حب الجمال، حب الحياة أعظم، وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التي تزجي الأمم إلى التفوق والاستعلاء".
ونكتفي بأن نشير إلى المكانة العليا التي احتلتها تجربة الحب في دراسات مستقلة لكبار علماء المسلمين والمتصوفة، يكفي أن نشير إلى كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم وكتاب (الزهرة) لابن داود الأصبهاني وكتاب (مصارع العشاق) لابن السراج وغيرهم.
ومن تأملنا لقصائد الحب في هذا الديوان نجد أثر التيار الرومانتيكي واضحاً فيها وممتزجاً بتيار التراث العربي المائل في تلك الصوفية الروحية النائرة على مادية الحياة المعاصرة والمبتهلة إلى الله سبحانه وتعالى عسى أن يجد الإنسان المعاصر في ظلها مخرجاً من ظلمات آثامها.

ولعل من أبرز العوامل التي وجهت إلى ذلك الطابع في قصائده الغزلية:
(أ) تأثره بالشعر المهجري وبخاصة شعر جبران خليل جبران وإيليا أبي ماضي.
ويتضح ذلك التأثير في شعر التأملات النفسية وشعر الخواطر الفلسفية في ديوانه هذا، وفي ديوانه السابق (بين شط وآخر). وقد تناول ذلك العامل أكثر من ناقد ومنهم الأستاذ الشاعر عبد المنعم عواد، والأستاذ الشاعر وائل الجشي، وآخرون.
(ب) ويبدو أن ثقافة الشاعر المهنية ودراسته للهندسة الميكانيكية في (اسكوتلندا) كان لها أثرها في تعذر انسجامه الفكري أحياناً في بعض المجتمعات التي عاش فيها بعد تخرجه، ومن ثم نراه في بعض قصائد الديوان يصرخ صرخة الشاعر الذي يفتقد الأُنس والألفة والتكيف مع ما يحيط به من عوامل الإحباط والألم:

قد خيم البؤس من حولي وغلفني

ليل بهيم فلا فجر ولا شفق

ولا نجوم ولا ورد ولا وتر

ولا وميض ولا لحن ولا عبق

ولا ابتسام ولا سعد ولا مرح

ولا قلوب بخمر الحب تغتبق

فهو يغني لمن لا يتسامى إلى أفق أنغامه ويسر لمن يهدمون:

لن أعنَّ بعد اليوم بالأنغام

أو أنفت الآهات من أقلامي

لن أعشق الفن الرفيع وسحره

أو أشرئب إلى الجمال السامي

لن أطلب المجد المؤثِّل والعُلا

فأحطم الأعصاب في الأوهام

كم شيدت كفي ولكن لم أجد

في الناس غير المغول الهدام

وفي ذلك المعنى أيضا يقول:

لمن أردد الحاني وأحسبها

تجدي، فأصدح في عزم وإصرار

داعبت أوتار غودي كي أحركه

فما تحرك شيء غير أوتاري

يا من يفجر الحانا عصفن به

لا .. لن يحرك صخرا عصف إصا... ..

يا من يسطر فوق الماء أحرفه

هيهات تجدي.. ولو صيغت من النار

وواضح هنا ذلك المنحى (الرومانسي) حيث يضيق الرومانسيون بمجتمعاتهم التي لا

تتسجم مع مثلهم العليا في الحق والخير والجمال، وما أشبه قوله : لن أعن بعد اليوم

بالأنغام .. إلخ البيت التالي، بقول الشاعر الرومانتيكي الفرنسي (لامارتين) في قصيدته

(الوادي):

تعب قلبي من كل شيء حتى من الأمل

فلن يُنقل بعد اليوم بأمانيه على أحد من البشر

(ج) يضاف إلى هذين العاملين عامل آخر، ألا وهو، مفهوم الشعر الذي يصدر عنه الشاعر في شعره وهو مفهوم نابع من تأثيراته الرومانسية، فالشعر عنده آهات مذوبة من نيران قلبه، تكاد تحرقه، وتحرق الأوراق التي يخط عليها نفثات قلبه، وذلك إذ يقول:

وأنظم الشعر آهات مذوبة كأنما صهرت من حر أنفاسي

حتى لقد بت أخشى حين أكتبه أن يحرق الوجد بالنيان قرطاسي

وهذا التدفق العاطفي من أبرز سمات المفهوم الرومانسي للشعر، إذ يضع الرومانسيون العاطفة فوق العقل، بل يعملون على تأجيج نيران العاطفة، ويجترون الآلام، ويتغنون بها، ويرون فيها عظمة الإنسان، وموضع نبلة، وكما تهتم الرومانسية بالشعر الغنائي كثيراً فكذا نرى شهاب غانم يهتم بغنائية الشعر، وإن كان في انطلاقة من منطلق الشعر الغنائي ينأى بغنائيته عن بعض الأغراض التقليدية للشعر الغنائي، كالمدح والهجاء، إذ يرى أن الجوهر الأسمى للشعر، هو غناء القلب، وهتاف الوجدان:

فما شعري لقافية ووزن

وإبداع وفلسفة وفن

وما شعري لمدح أو لهجو

ولكن للترنم والتغني

وهذا المنحى الشعري يلتقي فيه الشاعر أيضاً مع عبد الرحمن شكري في قوله:

وإنما الشعر إحساس بما خفقت

له القلوب كأقدار وحدثان

وقوله:

ألا يا طائر الفردوس

إن الشعر وجدان

وإذا كان الرومانسيون يعطون لتجربة الحب الأهمية الكبرى في شعرهم الغنائي حيث نرى (لامارتين) في ديوانيه (التأملات) و(التأملات الجديدة) يدور حول شعر الحب والطبيعة والموت وكذلك نرى (الفريد دي موسيه) في (لياليه) ينحو هذا المنحى.

إذا كان لتجربة الحب في شعر الرومانسيين الغنائي، هذه المنزلة، فإن لها ما يقرب من ذلك في شعر شهاب غانم، إذ يرى أن دعامة الشعر عنده تقوم على بساطة الحسن، وتلقائية الجمال:

أنا من هوى في الحسن كل بساطة
وهفا إلى سحر الجمال الغافي
وأحاله شعرا تدفق نابضا
فَزَهَا بوزن وازدهى بقواف
كما يرى أن جمال شعره من جمال حبيبته، وأن مصادر الإبداع في ذلك الشعر نابعة من مصادر الإبداع في عيني حبيبته وخديها ونهديها وجيدها:
وفي عَيْنَيْكَ صُغْتُ عُيُونَ شِعْرِي
ومن شَفَتَيْكَ قد قَطَرْتُ خَمْرِي
وَمِنْ خَدَّيْكَ كم نَشَقْتُ وَرُوداً
أهازيجي.. وكم سكرت بعطري
وكم نظم بجيدك كان عقدا
وفي كَفَيْكَ أَمْسَى نثر در
ومن نهديك كم قطفت وضمت
يدُ الأشعار زهرا أي زهر

مفهوم الحب في شعره:

وحين نتأمل تلك الرؤية التي قدمها "شهاب" لمفهوم الشعر عنده، نجد امتزاجاً تاماً بين مفهوم الشعر، ومفهوم الحب في نظره، فالمرأة عنده مصدر الإلهام في الشعر، كما هي مصدر الحياة والحب، والشعر هو الحب والحياة، والحب هو الشعر والحياة، وجوهر الحياة عنده: وجه حسناء في حمى ديوان شعر، وقيثار يعزف ألحانا حزينة باكية، وذلك إذ يقول:

وهل للعيش معنى غير وجه صبيح في حمى ديوان شعر

وأوتار تثن كعندليب
وعشب فوق سندسه غفونا
ينوح من الصبابة أو كقمري
ومن خلف السحاب يطل بدر
يهددنا عليه خرير نهر...؟
وأين بهاؤه من سحر بدري

وإذ يقول:

هل تذكرين عهداً كنت أملؤها شعرا، وكنت لذاك الشعر أَلحانا
ولدتُ فيه الرؤى من ريشتي صورا كادت تحاكبك أشكالاً وألوانا

ويقول:

أمنكرة الأسى قلبي مريضُ
وعهدك بالقصائد من يراعي
فشعري اليوم بالشكوى يفيضُ
دعي لومي فما العتبي دواء
أهازيجُ يتيه بها القريضُ
فهلْ تَحُلُو الأغاني في لسان
وهل يشفى بتلويم مريضُ
فَقِي الإعصار لا يلهو هزار
يُكَدِّر طَعْمُهُ دَهْرٌ عضوضُ
ولا يشدو وجانحه مهيضُ

وحبييته من صنع شعره، فالشعر والحب والحياة، أوجه ثلاثة لعملة واحدة، هو معنى يتفق فيه الشاعر مع "العقاد" إذ يقول:

الشعر والحب ديني والحياة معا دين لعمرك لا تنفيه أديانُ

وقوله:

هي الحياة جنينُ الحبِّ من قدم لولا التجاذب ما ضُمَّتْكَ أكوان

ولعل أبرز الملامح الرومانسية التي تبرز في صورة الحبيبة – كما يبدعها الشاعر (شهاب غانم) هي:

(أ) العاطفية المتدفقة حزناً وألماً، وبكاء وانتحاباً، ومن ذلك قصيدته (سيرينادا) التي تبدو فيها وفي غيرها من قصائده الغزلية، براعة الشاعر في اختيار معجمه الغزلي الذي يفيض رقة وعذوبة:

يا حبيبي .. آه لو تدرى بحالي

وبما تَحوى الليالي مِنْ وَبَالٍ
ولَكُمْ قُلْتُ لِقَلْبِي لَا تُبَالٍ
عَبَثًا .. إِذْ كَيْفَ يُصِغِي لِمَقَالِي
وبِبَالِي ... لَا تَتِي تَحْرِقُ بَالِي
لَوْعَةُ الْوَجْدِ وَأَشْوَاقِ اللَّيَالِي
وبَأَجْفَانِي مِنَ الدَّمْعِ اللَّالِي
شَرَقْتُ عَيْنَايَ مِنْهَا بِالْغَوَالِي
وبَصْدْرِي وَطْأَةَ الدَّاءِ الْعُضَالِ
يَا حَبِيبِي .. لَا تَقُلْ إِنِّي أَغَالِي
أَوْ بِأَنِّي شَاعِرُ خُصْبِ الْخِيَالِ
أَوْ مُصَابِ بَجْنُونٍ أَوْ خَبَالِ
بَلْ فَتَى قَدْ شَقَّهْ وَقَعَ النِّصَالِ
لَيْسَ يَأْسُو جِرْحَهُ غَيْرَ الْوَصَالِ
فَتَرَفَّقْ يَا مَنَى النَّفْسِ بِحَالِي
وهذا الطابع البكائي الانتحابي يبدو في قصائد أخرى، منها قصيدة بعنوان "عذاب البين":
قَلْبِي يَحْدُثُ أَنَّى مُعْزَمٌ بِكُمْ
وَمُهِجَتِي فِي سَعِيرِ الْوَجْدِ تَضْطَرِمُ
أَرْسَلْتُ أَشْكُو عَذَابَ الْبَيْنِ مُنْتَحِبَا
فَلَمْ تَرُدُّوْا ... وَكَانَ الصَّدَّ رَدَّكُمْ
وقد يقترب بالبكاء والانتحاب من اليأس:
إِنِّي أَغْنِي لَأَنَّ الْحُبَّ أَغْنِيَهُ شَجِيَّةُ الْحَنِّ مِنْ قِيَارَةِ الْيَاسِ
(ب) وكما يرتبط الحب الحزين اليأس بالموت عند الرومانسيين، نراه يرتبط بالموت
عند شهاب غانم أيضاً حين يرى أحلام الحب وقد تحطمت:
الليلُ والآلامُ والدنيا المبعثرة الغبيَّةُ

والبؤس يجثم فوقَ صدري مثل أطواد خفيّة
ولكم تمنّيته الخلاص.. ولو على أيدي المنية..؟
لم يبق لي في وحشة الرمضاء واحات نديّة
ماذا سيدفعني وقد شيعت أحلامي الجميلة
زيت الحياة يجف في جسمي وفي نفسى العليّة
وغدا سينضب ما تبقي من حثالات ضئيلة
فلعلّ هذا البؤس يمضي بعدما يطفئ غليله
وهو يرى أن أعذب كأس للموت، إنما يكون مورده عيني الحبيبة:
فيا حلوة العينين لا تظلمي فتى
بعينيك سكران وليس يفيق
رأى الموت في عينيك عذبا مذاقه
فمن أي عين تأمرين يدوق
كأنّي فراش في المصابيح حنقه
ويسعى إليها جاهدا ويتوق
حنانك في عينيك أحيا مُحلقا
ولكنني في مقتلتيك غريق

ونحن نشير إلى أن أهم خصائص الصياغة الفنية للشاعر في قصائده الغزلية هي
الصياغة العمودية الرائعة التي تعتمد على تمكن الشاعر من لغته وموسيقاه، والنماذج
التي قدمتها توضح حسن استفادة الشاعر من التراث الموسيقي الرائع الذي نجده في شعر
عباقره شعراء الغزل في التراث العربي، أمثال جميل بثينة، وابن الدمينه، والعباس بن
الاحنف، والشريف الرضي، وابن زيدون. وفي قصيدته (حسناء) التي مطلعها:

حَسَنَاءُ مَا لِفُؤَادِي طَوْعُ يُمْنَاكَ

وكان حُرّاً شَمُوساً قَبْلَ مَرَاكِ

في هذه القصيدة أصداء عذبة من قصيدة (ابن زيدون) التي مطلعها:

ما للمدام تديرها عيناك
فيميل من سُكْرِ الصَّبَا عطفاك
وقصيدة (الجارم) التي مطلعها :
ما لي فُتِنْتُ بلُحْظِكَ الْفَتَّاكُ
وسَلَوْتُ كُلَّ مَلِيحَةٍ إِلَّاكَ
وفي قصيدته (عذاب البين) التي مطلعها :
قلبي يحدِّثُ أُنِي مغرمٌ بِكُمْ
ومُهَجَّتِي في سَعِيرِ الْوَجْدِ تضطرمُّ
تسرى بعضُ أصداءِ المتنبى في عتابه لسيف الدولة:
إن كان سرَّكم ما قال حاسدنا
فما لجرح إذا أرضاكم أَلَمْ
ولعل من أروع صوره الغزلية، تلك اللوحة التي رسمها لسحر العيون في قصيدته (عيناك)
وفيها يقول:

لَعَيْنُكَ سَحَرِ الْحُسْنِ حِينَ يَفُوقُ
وَإِنِّي لِسُلْطَانِ الْعُيُونِ رَقِيقُ
لَعَيْنُكَ وَمُضْ يَخْطِفُ الطَّرْفَ مِثْلَمَا
تَأَلَّقَ بَرْقُ فِي الظَّلَامِ سَحِيقُ
لَعَيْنُكَ أَسْرَارُ أَهْيَمُ بَحَلِّهَا
رُمُوشٌ... وَجْفَنُ نَاعِشٍ .. وَبَرِيقُ
لَعَيْنِكَ دَفَاءٌ ... بَلْ جَحِيمٌ يُذَيِّبُنِي
مَتَى كَانَ مِنْ مَاءٍ يَشُبُّ حَرِيقُ؟
فَيَا حُلَّةَ الْعَيْنَيْنِ لَا تَظْلِمِي فَتَى
بَعَيْنِكَ سَكَرَانَ وَلَيْسَ يُذَوِّقُ ... ؟

وما أروع هذه الصورة لجمال حبيبته، التي نرى فيها اندماج الجزء بالكل والإنسان بالطبيعة:

تبدّد إنْ أشرقت في الليل ظُلْمَة
ويُظلمُ نور الصبح حينَ تَغيبُ
ويَخْضَل قَفْر بالأزاهير والنَّدَى
إذا رُحْتَ كالأنسَامِ فيه تَجُوبُ

وبعد.. فهذه الحديقة الضوئية من حقائق الحب، في عالم محاصر بصحراء الكراهية والحق، والتفجيرات النووية، وخرائب (الإنسان الآلي) و(العقل الآلي) و(أطفال الأنابيب) ... هذه الحديقة الموشاة بأزاهير الحب والجمال .. التي أبدعتها ريشة الشاعر المهندس "شهاب غانم" تقدم لعالم الشعر في عالمنا العربي شاعراً متميزاً بصوت خاص، وهموم خاصة.. إنه ليس نسخة مكررة من شعراء الشعارات أو شعراء (كليشيهات) الطلاس والغموض في الشعر الحر الذين ينقل بعضهم عن بعض ما لا يحسنون ولا يفقهون !!... إن شاعرنا صدى نفسه المبدعة الملهمة .. وليس صدى لأصوات الآخرين ..

بصمات على الرمال ... شعر لا يباع

مدرك عدنان قصير

أجد بين الأوراق التي أهتم بحفظها إشارة بعنوان "إذا الشعر يوما" كتبها (جاد الحاج) في مجلة ثقافية يقول: "أقل ما يباع في مكتباتنا هو الدواوين الشعرية"، وهذا صحيح إنما ليس لكون الشعر معزوفاً عنه ولكن لكونه مادة ميسرة إعلامياً شأنه شأن الفنون من موسيقى وأغنية ومسرحية، يجده من يرغب في الأمسيات وفي وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وتلفزيون. أما اقتناء الديوان فأمر لا يهم كثيراً بالمائة من الناس، وأما قول الإشارة: "وأكثر من يجوع في مجتمعاتنا هم الشعراء" فقد يصح في حال اشتغال الشاعر بالشعر وحده صنعة، والشعر لم يكن للمشغلة أو الرزق، بل هو مسألة معنوية لا مادة له والشاعر يعالج الدنيا لتصبح "قد الشعر" لا ليصبح شاعراً "قد الدنيا" بمعنى الكسب.

أرى بين يدي ديواناً باسم "بصمات على الرمال" لشهاب غانم فلا الديوان شكا من قلة البيع ولا الشاعر يشكو من الجوع. ذلك لأن الصورة مختلفة عن الحرفة، فالديوان هدية من الإدارة الثقافية بوزارة الإعلام والثقافة والشاعر لا ينتظر رزقا من سوق الشعر فهو مهندس "قد الدنيا"....

نسمع الأب يقول لابنه يا بني اجتهد حتى تصبح مهندساً أو كيميائياً "قد الدنيا" وما من أحد قال لابنه اجتهد حتى تطلع شاعراً "قد الدنيا". الرواية أو القصة قد تصلح حرفة حسب قدرة الكاتب، أما الشعر فشيء آخر لا يباع ولا يشتري ... إلا بمقدار كما يسمع ويقرأ بمقدار تشجيع وزارات الإعلام والثقافة والنوادي الاجتماعية.

(بصمات على الرمال)، وليس الغرض - إذن - ترويج الديوان فقد راج ونفق هدية، كما تقدم، إنما الغرض هو المشاركة الوجدانية شأن الإقبال على حضور أمسية شعرية وذلك يدخل ضمن الاهتمامات الاجتماعية الوجدانية الإنسانية والوطنية طبعاً.

غلاف الديوان ناطق بعنوانه ومضمونه والظاهر أن المصمم الفنان (مهند قرعوني) يتذوق الشعر تذوقاً شاعرياً أيضاً، فاللوحة التي صورها غلafa لم تأت من منظر منقول ولا من

خيال مجرد إنما جاءت نتيجة الفهم بالذوق الأدبي الفني. رسمة الغلاف لوحة تلخص (بصمات على الرمال).

قدم له الشاعر عبد المنعم عواد رفيق الحركة الأدبية المحلية ولا أدري لماذا أسقط البيت الخامس والسادس من قصيدة (مناجاة) عندما أورد أربعة أبيات منها وترك البيتين الآخرين مع أن البيت الخامس هو بيت القصيد في هذا الديوان.

شهاب غانم شاعر مثقف قوي الإيمان يحتاج إلى قارئ مثقف. يظهر ذلك رائعاً عند قوله في (مناجاة) المقطوعة الأخيرة من (بصمات):

يا إلهي قد ادلهمت دروبي فأنرها بشعلة الزيتون

تلك شطحة صوفية نورانية ترمز إلى آية النور: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

(شعلة الزيتون) ذلك هو السهل الممتنع في شعر (شهاب غانم) والذي ضربت له أمثالا سابقة عندما تحدثت عن ديوانه (بين شط وآخر). الأبيات الستة في (مناجاة) وحدها ديوان:

يا إلهي أنزل عليّ السكينة وترفق بمهجتي المسكينة

وأعني على الحياة وهبني جلدا تئأس المصائب دونه

اعطني قوة أصد بها الكيد فيرتد للنحور الخؤونة

أوفهيني قلبا فسيحا ولكن ضيق .. ضيق بوجه الضغينة

يا إلهي قد ادلهمت دروبي فأنرها بشعلة الزيتون

لا تدعني أضيع ما بين موج ورياح كما تضيع السفينة

كل بيت يحتاج إلى وقفة تأمل وكل يتأمل حسب قلبه كما كانت تقول جدتي أم عدنان. كانت عندما تسمع أغنية (نور جمالك آية ... آية من الله .. أمنت بالله) تتأمل باكية

فأسألها عن السبب, فتجيب قائلة : (كل يأخذ الكلام على هوى قلبه) أظن أنها كانت تحمل النور على نور النبي صلى الله عليه وسلم. نعود إلى (مناجاة) ونقف عند البيتين الثالث والرابع بعده:

أو فهبني قلبا فسيحا ولكن ضيق .. ضيق بوجه الضغينة
ونوازن بينه وبين "بدوي الجبل" في قوله:
طف بقلبي تجد به ألف دنيا لا يلاقي الشقيق فيها الشقيقا
إنه يزيد عليه درجة في (ضيق). كل الشعر في (ضيق .. ضيق)
هاتان بعد فسيحاً:
ضيق بوجه الضغينة

دراسة تحليلية في ديوان "بصمات على الرمال"

إبراهيم سغفان*

إذا كان العلم هدفه الوصول إلى الحقيقة بشكل مجرد فإن الأدب أيضاً يسعى للوصول إلى الحقيقة ولكن بشكل عاطفي، ولذا لم تعد وظيفة الأدب بعامة والشعر بخاصة تحقيق المتعة أو اللذة الفنية فقط ولكن تحقيق المتعة الفكرية أيضاً بمعالجته قضايا الإنسان المصيرية والتعبير عن آماله وأحلامه، فهروب الرومانسيين إلى أحضان الطبيعة ما هو إلا موقف رافض من المجتمع وقضاياه الفكرية والمادية.

لقد استطاع بعض الرومانسيين أن يدركوا تماماً وظيفة الشعر في هذا العصر المحاصر بالمؤامرات المتلاطمة مشاكله، فحملوا عبء المقاتلة بالكلمة، عبء التعبير عن هموم الإنسان، وانطلقوا بذلك من عقال أحزانهم الذاتية أو الأحزان الكونية إلى التعبير عن آلام الإنسان. والرومانسية أو الأسلوب الرومانسي المستخدم في معالجة قضايا الإنسان يؤثر في الإنسان لتمييزه جمالياً فالشعر في جوهره إدراك عاطفي للحقيقة وغايته أن يعرض التجربة الإنسانية عرضاً خيالياً، وظيفته أن يعطينا قيماً، ويبصرنا بحقائق الطبيعة والنفس البشرية، وذلك ليس كما هي في خضم الحياة وإنما بعد أن يحيلها الشاعر إلى شكل موحد ذي مغزى أو معنى للشاعر أو للقارئ على السواء.

من هذا المنطلق يمكن القول إن بعض الشعراء تفهموا كما قلنا وظيفة الشعر وجمعوا بين رومانسية الأداء ومعالجة القضايا المختلفة، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر شهاب غانم فهو شاعر أصيل وموهوب ورث الشعر من أسرته فوالده الشاعر الدكتور محمد عبده غانم وخاله الشاعر محمد علي لقمان.

والمتتبع لشعر شهاب غانم يجد أنه شاعر يمتاز بالأسلوب السهل والألفاظ الشاعرية الرقيقة وتدفق العاطفة ويظهر ذلك بوضوح في شعره التأملية، وإن كان الكثير من شعر شهاب وجدانياً فهو بالنسبة له هروب من أحزان تعشش في أعماقه، نتيجة لموقفه الرافض

* شاعر وناقد مصري (1925-2010) عمل أستاذاً في جامعة السلطان قابوس. نشرت المقالة في مجلة (الشعر) القاهرة، 1983م.

لكثير من المواقف الحياتية والقضايا الفكرية, بمعنى أنه في مواقف متصادم دائما مع الحياة تصادم بين المثالية التي ينشدها نتيجة تربيته الأسرية المثالية المبنية على القيم الخلقية التي غرست في نفسه المنظور الخلقي للأمور النابع من أساس ديني وبين الواقع المرير... وجانب من الحزن أيضاً يرجع إلى الهموم الوطنية والقومية وما يراه من تدهور أوضاع البلاد العربية نتيجة تمزقها مما سهل للأعداء الانقضاض عليها وإجهاض أحلام الانسان العربي المتطلع إلى استشراف مستقبل أفضل:

سوف يمضى الدجي ويأتي صباحُ

تتلاشى في نوره الأشباحُ

سوف يأتي فجر يمزق ليلاً

سرمديا في ساحنا ينداحُ

وجانب آخر من الحزن سببه الاغتراب النفسي وهذا في رأيي يمثل المحور الأساسي في شعره, وهذا ما جعل ألحانه الشعرية يشوبها الحزن, ويمكن القول إنه لولا العنصر الإيماني عند الشاعر لاستسلم لليأس, ولكن هذا الإيمان يحفظ التوازن النفسي ويعطيه في الوقت نفسه القدرة على المقاومة. فيقول في قصيدة (حنانيك):

حنانيك قد أنهكتني الدروب

فويلي إذا أنت لم ترفقِ

حنانيك قد سحقتني الخطوب

وبي رمق بعد لم يُسحقِ

وكم قد تدفق من خافقي

نجيع الهوى العاصف المحرقِ

فرياه سارع بمسح الجراح

وإلا فقد ضاع ما قد بقي

ويقول في قصيدة (ابتهال):

هل من يد يا رب تدفع عن سنى
نفسى ضباب الهم والأشجان
وتخفف البؤس الذي ينتابني
فيفلني في حالك الأحزان
وتطيب الأنوار بين جوانحي
وتجفف العبرات في أجفاني
وتمدني عند النوائب والأسى
بالصبر منبثقا من الإيمان
ويقول أيضا في قصيدة (مناجاة):
يا إلهي أنزل علي السكينة
وترفق بمهجتي المسكينة
وأعني على الحياة وهبني
جلدا تيأس المصائب دونه
اعطني قوة أصد بها الكيد
فيرتد للنحور الخؤونة
فالرجوع إلى الله وقت الملمات والمصائب يمد الشاعر بالقوة، يمدّه بالقدرة على مواجهة
غدر الأصدقاء وخيانة الزملاء. فالدين هو طريق الخلاص من الهموم والآلام والبؤس
الذى يجثم فوق صدره مثل أطواد خفية كما في قصيدة (الأحلام الخائنة).
والبؤس هنا ليس بؤساً مادياً ولكنه بؤس نفسى وشقاء روحى ناتج - كما قلنا - من موقف
الشاعر الراض للواقع الحياتي المرير. فقي قصيدة (صحوة) يقول:
لن أطلب المجد المؤثّل والعلي
فأحطم الأعصاب في الأوهام
كم شيدتُ كفي ولكن لم أجد
في الناس غير المعول الهدام

ولكم سكبتُ دمَ الفؤاد فيا ترى

ماذا جنيت سوى الفؤاد الدامي

سأعيش ما بقيت من الأيام

من غير آمال ولا آلام

فالشاعر يعاني من الجحود وإنكار لدوره البئاء، إنكار لجهده وخدماته... هذا بالطبع يؤثر على طموحه، ومن هنا تكون المأساة التي انعكست على شعره، ولأنه رجل هادئ الطبع يكره التصادم يقرر أن يعيش ما بقي من أيامه من غير آمال ولا آلام.

ورغم هذا الحصار المضروب حوله الذي يسلمه إلى التشاؤمية إلا أننا نراه سرعان ما يستنفذ نفسه من هوة اليأس بالرجوع إلى الله، فيشعر بالأمان وتشد همته وتقوى إرادته ويتغلب على نفسه:

يا إلهي قد ادلهمت دروبي

فأنرها بشعلة "الزيتونة"

لا تدعني أضيع ما بين موج

ورياح كما تضيع السفينة

وهذا التوازن النفسي والتماسك لا يتأتى إلا للشعراء، مثل شهاب، الذين يتسلحون بالإيمان والثقافة مما يشكل رؤيتهم للحياة، ويجعلهم يقدمون التجارب البئاء المضيئة للقارئ، وهذا خلاف ما نجده عند هؤلاء المتشدين بالشعارات الجوفاء فلا يعطون للقارئ شيئاً لأنهم لا يملكون ما يقدمونه. إن ما نراه من تمزق وضياح في بعض الشباب هو نتيجة لما يقدمه هؤلاء من فكر باهت ومشوش.

لقد عالج شاعرنا شهاب غانم جميع الأغراض في شعره كما يقول الشاعر عبد المنعم عواد يوسف في مقدمته لديوان "بصمات على الرمال". والمتصفح للديوان يجد أن الشاعر قد عالج في ديوانه فنون الشعر المختلفة، فهو ينتقل بمهارة واقتدار بين الموضوعات القومية والوطنية والإنسانية والنفسية والروحية ليقف طويلاً مع الموضوع الأثير وهو الشعر العاطفي. حقيقة أننا نلمس في شعره العاطفي حرارة التعبير والصدق الفني حتى ليخيل

للقارئ أنه أمام شاعر خاض غمار تجاربه التي يتحدث عنها ولكن الشاعر كما أعرفه
بريء من التجارب العملية كما أعتقد:

أَوْ تَظَنِّي نَارَ الْهَوَى فِي ضُلُوعِي

سوف تخبو شيئاً فشيئاً فشيئاً

أَوْ تَضِنِّي بِقَبْلَةٍ مِنْ جَمَارٍ

لا أبالي إن أحرقت شفتي

من شفاه حمر كجمر.. كخمر

تبعث القلب بعدما مات حيا

فابذلها فداك نفسي ومالي

وشبابي وكل غال لديا

واطفئي ما يؤج بين ضلوعي

من أوار يشوي فؤادي شيئا

ورغم هذا الاشتعال والتلهف الذي نراه في مثل هذه القصائد فإننا نراه في قصائده
الوجدانية الأخرى معتدلاً في حبه.. يبعد تماماً عن السادية أو الماسوشية.

ويمكن القول إن شعره العاطفي ما هو إلا وسيلة تنفيسية أو شاطئ الأمان الذي يلقي عليه
همومه ويمكن القول أيضاً إن الشاعر شهاب غانم صاحب قضية يوظف شعره لها توظيفاً
فنياً كما يتضح في ديوانه "بين شط وآخر" وفي ديوانه "بصمات على الرمال" وهذا ما
يجعل جذوة الشعر مشتعلة دائماً وتجعل الشاعر معطاء باستمرار.. ويكتب لشعره الخلود.

إن شهاب غانم شاعر يمتلك أدواته الفنية مما يجعله قادراً على صياغة الأشياء الصغيرة
اليومية شعراً سلساً، ألفاظه رقيقة يختارها الشاعر بدقة. وأختم بهذا البيت للشاعر:

فما شعري لقافية ووزن ولكن للترنم والتغني

قراءة في ديوان "شواظ في العتمة"

د. حسن فتح الباب*

من أبرز الأصوات في ديوان شعرنا المعاصر وأشدّها شجواً وأعمقها قراراً صوت الشعراء الذين كتب عليهم أن يهجروا ديارهم وهم في ميعة العمر وزهوة الانتماء إلى الوطن، فيضربوا في فجاج الأرض مشرقين أو مغربين. ويعد الشاعر الدكتور شهاب غانم من أصحاب هذا الفضاء الشعري، فقد أنتج خمسة دواوين هي على التوالي: "بين شط وآخر" "تنويعات على الأوتار الخمسة"، وهو مجموعة مشتركة، "بصمات على الرمال"، "شواظ في العتمة" و"سهيل وترتيل". وأبدع ما تضمنته هذه الدواوين هي القصائد التي تقدم تجربة الاغتراب التي عاناها سواء في البلدان العربية التي أقام فيها للعمل أو البلدان الأجنبية التي وفد إليها في بعثات دراسية للتخصص في العلوم الهندسية.

يواجهنا النص في تلك القصائد بشفرات المعاناة التي تعتصر القلب، لما يحول بين الذات الشاعرة وبين ارتياد ينابيع البراءة والتغني بعالم لا يستغل فيه الإنسان ولا يستعبد، عالم منطهر من أدران القسوة والجور، ولكن هذه المعاناة في محاولة تجاوزها أزمنتها وتحطيم قيودها تشف روحاً وترق عاطفة حيث تكاد تنعدم الفواصل بين المبدع وبين المتلقي فبقدر ما يتغور الجرح في الحنايا ويعظم التناقض بين الواقع والمثال يحقق الفن غايته العليا وهي تطهير النفس البشرية كما قال قديما أرسطو وجعلها أكثر عراقة في إنسانياتها كما قال حديثاً إبراهيم عبد القادر المازني.

وتصدق على كثير من أشعار شهاب غانم مقولة الشاعر الأندلسي لوركا: "الشعر والصدق لا يموتان أبداً". فهو يجيد العزف غالباً على قيثارتي الشعر العمودي والشعر الحر دون تصنع لأنه يصدر عن موهبة ورثها عن أبيه الشاعر الكبير والأستاذ الناقد الدكتور محمد عبده غانم، وعن مطالعات وفيرة لروائع تراثنا الشعري وفهم لأسرارها وعن ثقافة أدبية أتاحت بفضل إتقانه اللغة الإنجليزية وعن وعي بقضايا أمته وعالمه في مراحل الانتصار والانكسار والتفتح والحصار.

* ناقد مصري (1938-2011)، كان رئيس تحرير مجلة (المنتدى) التي كانت تصدر في دبي. نشرت في صحيفة (البيان)، 1983م.

وقد مكنته هذه المؤثرات من تجويد أدواته الفنية فانسجم شعره بإشراقه الديباجة - إذا استخدمنا مصطلح نقادنا القدامى - ورهافة الحس والرمزية التي تضيء المعنى ولا تعقده. ومن ثم يخلو من الإغراب الذي كان يسميه البلاغيون العرب بالمعازلة، ويرقى إلى أفق بياني لا يغمض على القارئ العام ويحظى بتقدير المتذوق الخاص في نفس الوقت وذلك في عدد غير قليل من أشعاره.

ونمثل قصيدة "توهج" التي استهل بها الشاعر شهاب غانم ديوانه (شواظ في العتمة) نموذجاً للقدرة على استخدام التقنيات الحديثة في شعر التفعيلة يتبين ذلك منذ مطلعها الذي يخاطب به المحبوب:

وحين تعود إليّ برغم المسافات
أشعر أن التوهج قد عاد يرتاد وجهي
وأسمع صوت العصي التي في دواليب عمري تكسر تحت التوهج
تحت النجوم التي التمعت في عيوني
كما يتكسر عود الثقاب

فالنص تكثيف لتجربة الحب التي يعبر عنها الشاعر من خلال صور جديدة ورهيفة تخلق ألفاً روحياً لا يصدر إلا عمن وهب حساسية التقاط اللحظة الشعرية في ذروة تكوينها. وإذا كانت بداية المقطع نثرية خافتة فإن الشاعر ما يلبث أن يسترد جناحه فيتوهج محللاً به ضوء الشمس، شمس الشعر حتى نكاد نسمع إيقاع أجراسه الفضية ونشهد التماعات النجوم من خلال تأليف القصيدة بين الضوء الذي ترمز له العيون والنجوم وبين الصوت الذي يحدثه ارتطام العصي بدواليب السواقي وتكسرها تحت اللهب الذي أضرمه الحب وقد هل فجأة بعد عودة المحبوب.

ويمكن سر رهافة هذه الإطلالة أيضاً في تداخل المنظور بالمسموع، والمشهود بالمحسوس والمادي بالمعنوي في إطار من التوافق التشكيلي والإيقاعي. وعلى الرغم من خلو السطور من التقفية فإننا نحس تموجاً نغمياً داخلياً لا تخطئه الأذن أيضاً نظراً للنسيج المضفور الذي يؤلف بين الأسماء والأفعال بعضها، وتكرار حرف العين (تعود - عاد - أسمع - العصي - عمري - عيوني - عود) وحرف التاء (المسافات - التوهج - يرتاد - صوت - تحت - التمعت - يتكسر) ويلاحظ أن كلا من (التوهج) و (تحت) قد وردت مرتين وقد ساعد بحر المتقارب بانسيابه على هذا التآزر الموسيقي :

أُقْبَلْ جَفْنِيكَ

والبحر يفصل ما بيننا والجبال

فاستلهم البحر

أقرأ في كل شيء له حكمة

فأدرك سر السكون

وأدرك سر الهياج

إنها عودة طيف الحبيب لا شخصه إذن، وكفى به مثيراً للمشاعر الدفينة وموقظاً للحلم من سباته إيقاظاً يفتح أفق الكون على اتساعها أمام الشاعر بحراً وجبالاً فإذا هو يقرأ كتاب الطبيعة. وإذا بالملتقى يشهد معه الوجود من خلال البحر ساكناً حيناً، مضطرباً هائجاً تارة أخرى، وتتعكس أحوال الشاعر على الطبيعة وقد ارتسم عليها الطيف الزائر كما ترسم حالات الطبيعة عليه، فتبدو العلاقة بينها علاقة تآزر حيناً وتفارق أحياناً أخرى عبر تصاوير مستحدثة تدلنا على المدى البعيد الذي بلغه شعرنا المعاصر في استلهم الطيف والعزف على هذا الوتر الذي طالما عرفناه في الشعر العربي القديم والذي مازال ينضج شجي وحنيناً يمثلان قيمة وجدانية إنسانية ولا سيما في شعر الشريف الرضي. هكذا يعكس قلق الشاعر على وجه البدر فيتحول من مرآة ساطعة الضوء إلى شظايا، ويتجلى الأرق انكساراً في جفون طيف الحبيبة ولكن النغم المتوتر صعوداً ما يلبث أن يخبو قليلاً في ختام المقطع وإن لم يفقد الشاعر فكره المضفور بالصور والمعاني التي يتوالد بعضها من بعض:

وأشهد للحسن في البدر سحراً جديداً

إذا ما غدا فوق أمواجه الراقصات شظايا

فأدرك كيف يكون القلق

وكيف يزيد انكسار جفونك

طول الأرق

فالثم جفنيك

لكن تظل البحار وتبقى الجبال

فيلهمني كل طود يلوح

معاني الشموخ

وفلسفة الصبر والاحتمال

وتعود التناقضات الأضداد لتلعب دورهما في تعميق الرؤيا وإضفاء هالة من السحر على
لهفة الحب ومواجهة بين قساوة الواقع ومثالية العاطفة ويستمر استيحاء مفردات الطبيعة
الحية والمراوحة بين الضدين: المكان والزمان:

وحين السواعد حولك تلتف

يسبقهن إليك التلهف

حين يلين الزمان

وبأبى علينا المكان

فاهصر شوقك فوق ضلوعي

وأعجب كيف توحد في ساعدي النقيضان:

قمة عنفي .. وأقصى حناني

ولا يشوب هذا المقطع غير استعمال الساعدين بصيغة الجمع في أوله وإن عاد الشاعر
إلى الاستعمال الصحيح بعد ذلك .. كذلك تشوب النثرية عبارة "وعندئذ" التي مهد بها
للمقطع الأخير الذي جمع فيه شهاب غانم الخيوط التي قدمها في القصيدة، فكان شبيهاً
بلحظة التنوير في فن القصة بتعبيره عن لحظة التوهج التي تمثل الرؤية الشعرية:

وعندئذ لا أحس بطول المسافات

بالبحر

بالموج

بالليل

أو بارتفاع الجبال

هنالك، لست أحس بغير التوهج

يجتاح نفسي

وفيض الجمال

العمق والتطور الفني في "شواظ في العتمة" أنور ثابت*

ما بين "بصمات على الرمال" و "شواظ العتمة" مروراً بـ "تنويعات على الأوتار الخمسة" قفزة نوعية بينية، مداها العمق، والتطور الفني، نحو تجاوز التقليد والأداة المتداولة في الشعر ..

وتأتي هذه الخطوة المتميزة، في إطار من الأصالة الشعرية والطبع، اللذين يمتلكهما الشاعر شهاب غانم، عبر سيرة ومسيرة شعرية تركت بصماتها واضحة على نتاجه الأدبي، وعندما يوصف شعر شهاب غانم بالأصالة والطبيعة، فلأن الملكة الشعرية التي حملها معه عبر مراحل تشكل الشعر لديه، ليست وليدة حدث ما، أو نزوة مرحلية، بقدر ما هي صفة وراثية شذبتها البيئة، وجلّت معالمها ومعطياتها ..

والديوان الجديد للشاعر "شواظ في العتمة" وإن تساوى مع سابقه من الدواوين في شكل القصائد، حيث يجمع بين القصيدة البيتية وقصيدة التفعيلة، فهو – أي الديوان الجديد – خطوة شعرية ذات وقع لا بد من الوقوف عنده ووقفه تأمل وتدبر، إذ تغلب فيه قصيدة التفعيلة من حيث الكم على القصيدة البيتية .. ولكنهما تتساويان لجهة الكيف الذي يضج بالإيقاع والجرس والموسيقى وهو يواكب الصورة والمعنى كقاعدة شعرية ذات رنين شجي يمتد بتأثيره إلى داخل النفس.

وتطل علينا ميزة أخرى تكاد تكون دلالة ملفتة للنظر باتجاه التطور، وهي تراجع ما يمكن أن نسماه "الرومانتيكية" والوجدانية، وكذلك الطبيعة، ليحل محلها الهم اليومي والقومي بشكل كثيف .. وكأنني بالشاعر يتخطى حدود الخيال والحلم، أو بالأحرى يضيق دائرتهم، لينغمس مختاراً في الواقع ومعاناته وتناقضاته.

* شاعر وناقد وأكاديمي مصري. ولد عام 1923م.

ولما كانت هذه الوجدانية قد احتلت في ذات الشاعر المكانة الأولى والأهم في مسيرته الشعرية .. وواكبته في أثناء إبداعاته التي هدهدت عواطفنا برققتها وانسيابها .. لما كانت كذلك, فإنها لم تغب نهائياً, وليس من البساطة والسهولة أن تنتهي هكذا وفي قرار قد يتخذ في لحظة من اللحظات .. فجاءت كشواظ في عتمة الواقع تضئ بتوهجها وإشراقها جنبات النفس .. وتحمل إليها الأمل والرقّة, لتضيّع المسافات وتتلاشى في التحام للحنان بالعنف .. لا يمكن أن تعرفه وتحس به إلا نفس شاعرية عاشت الطبيعة والحيرة والتساؤل في لحظات الإبداع والبعد والشوق:

وحين تعود إلي .. برغم المسافات ..
أشعر أن التوهج قد عاد يرتاد وجهي
وأسمع صوت العصي التي في دواليب
عمري تكسر
تحت التوهج
تحت النجوم التي التمعت في عيوني
كما يتكسر عود الثقاب .
أقبل جفيناك .. والبحر يفصل ما بيننا والجبال
فأستلهم البحر
أقرأ في كل شكل له حكمة
فأدرك سر السكون
وأدرك سر الهياج ..

فهذه السلالة اللفظية, والصورة المناسبة, بإيقاع لا يستأذن النفس ليحملها عبر مسافات المعاني توهجاً وتكسراً هنا, وسكوناً ورقة هناك, في تناغم فني, وتلازم غنائي .. لا تقتصر على قصيدة دون أخرى .. وإن اختلفت الفكرة وتنوع الموضوع .. ما بين الذات والعين .. ما بين فيض الوجدان وانعكاس الصورة في العين .. فعند وصف "راقصة الجليد":

تتزلجين ..

كريشة تنساب في كف الرياح

كالطير مبسوط الجناح

كالجدول الرقراق بالماء القراح

كالقطر فوق الورد يجري عند ميلاد الصباح

كال.. ما أقول ؟

يضيق بي التعبير بالقول المباح..

تكاد تسري مع نسيم اللحن والإيقاع, يملكك الحلم ووقع الصورة بعيداً .. فتتابع الراقصة
بنبضات تتعثر في كل شريان ووريد.

إلى ذلك, وقبل الانتقال إلى قصائد الهم اليومي والقومي, لابد من التوقف ولو بشكل
عرضي عند قصيدة "المخاض في وادي عبقر" لما تمثلته من تعبير شعري ذاتي عن
المعاناة التي تتفاعل داخل الشاعر لاختيار الشكل الشعري المناسب والموضوع, في لحظة
تعج فيها الذات بقصائد على درجات متفاوتة من الحدة والتوهج .. وتأتي هذه القصيدة
لتبلور, بطريقة غير مباشرة, السبيل الذي يعتمد عليه الشاعر في كتابة الشعر وكأنه يحمل
تجربته في التطوير الفني وتعميق المفهوم الشعري, إلى الآخرين:

تموت براسي ألوف القصائد قبل الولادة

بدون الإرادة تجهض حيناً .. وحيناً بكل الإرادة..

تموت بكل مكانٍ .. وفي كل أنٍ

وتمسي المنية عندي عادةً..

تموت لدي مئات القصائد بعد الولادة

أمزقها في القراطيس .. أطفئ فيها الحياة

فتبلعها المهملات

وكننت قضيت الليالي الطوال

على فحمها أنحت الأحرف المشرقات ..

فمع هذه المعاناة تبدو لحظة الإبداع الشعري، خاطفة، عابرة، قد تمضي مسرعة وينطفئ بريقها وإشعاعها، إن لم يقتنصها الشاعر في أثناء التوهج، فلا يبقى منها سوى تلك الإنفعالات الغامضة.

ونمضي مع شواظ شهاب غانم، وقد تسمر أمام "الصندوق" التلفزيون، تخدر بفعل هذا الثعبان وهو يحدج بعين ثلثهم اللحظات والأزمان ويتحول الجميع إلى أتباع اختفت رؤوسهم، ابتلعها الثعبان كما يبتلع السرطان كل نسيج الجسم:

تحدجني عين الثعبان الأعور

ترسل إشعاعا لا يقهر

أتسمّر ..

كل كياني يتخذ

لا أشعر باللحظات ولا الأزمان

وأمامي عين الثعبان ..

عين واحدة لا عينان.

تأمرني عين الثعبان

أن أزرع رأسي في صندوق الألوان

أن أزرع رأسي بين الأسنان

فألبّي في إذعان

تقضمه ..

تمضغه ..

يبتلع الرأس الفكان

ينبت في عنقي رأس ثان

رأس مكتظ بسموم الثعبان ..

وإن كان الهم اليومي قد وجد مكانه على صفحات الديوان.. فقد استحوذ الهم القومي على القسم الأكبر .. وقد تمثل هذا الهم .. بأحداث معينة .. "بيروت 82", "المذبحة قبل الأخيرة" و"زلزال دمار", كما كان للوضع العربي القائم في الصراع مع الصهيونية والموقف العربي من هذا الصراع وجوده المميز, كذلك التفكك العربي واليأس الذي يكاد يمسك بلب كل فرد أو إنسان عربي ... فمن "بيروت 82":

لو كانت تسمع مني الهيئات المعنية
لأشرت بأن تستحدث جائزة دولية
أعلى من نوبل للإنجازات السلمية
تمنح لمناحيم بيجن ..
ولشارون وهيج وريجن
عن صور وصيدا والنبطية ..
ومجازر بيروت الغربية ..

... لم يبق إلا أن نصرخ وآ دُلاه
فهناك لا يوجد معتصم حتى نستجدد وا معتصماه
وهناك لا يوجد قطز يصرخ فينا وا إسلاماه
لم يبق .. إلا الأشباه

عشرون نهارة تحت القصف ومازالت صامدة بيروت
.. لم تسقط

لكن قد سقطت عن عورتنا أوراق التوت ..

هذه الصور الواقعية جداً, بمعانيها وتعابيرها والتي جاءت لتنتقل لنا حدثاً, غاب الخيال عنها لأنه لم يرق إلى هول الحقيقة التي نشدها الشاعر في التعبير .. هذه الصور تتحول إلى سيات تلسع ذواتنا, في "المذبحة قبل الأخيرة":

تندرج عين نزعته من محجرها فوق الطين
تتوقف .. تنتظر نحو سماء الله
كما لو كانت تشكو من ظلم الإنسان إلى الملكوت الأعلى
فتمر عليها أذى السفاحين ..
... وأصابع طفل تبرز من أكوام الطين
كما لو كانت تستجد بالملكوت الأعلى فتمر عليها الجرافات
تقفوها كالأختام، نعال السفاحين
وأمام هذه الماسي المتلاحقة، الممتدة عبر رحلة التاريخ العربي الحديث، يتوغل اليأس في
حنايا النفس العربية وهي تتشد الحل ... تتشد الحق .. فيتمثل "الحل" لدى الشاعر في:

اطلبوه من قمة (البندقية)
ودعونا من فوهة البندقية
واتشدوه في (كامب ديفيد) حيناً
ثم حيناً في العصابة الأممية
كلما يغضب العدو بلاداً
اشجبهه بخطبة نارية
وأضيفوا إلى الشكاوى شكاة
رب شكوى تحلّ ألف قضية
واخرسوا الشعب إن تملل يوماً
بأشد الوسائل القمعية
قد نعمتم منا على كل حال
بشعوب تهوى الحياة الرخية
فتحلوا بصبر "أيوب" وارجوا
عمر "نوح" من رب هذي البرية
ولما كان "الحل" يتطلب صبر "أيوب" وعمر "نوح" .. إذن:

فليأت اليوم التالي .. لست أبالي
بل إنني أرجو أن يأتي في استعجال
ماذا يمكن أن أخسر
والبؤس بقلبي مغروز مثل الخنجر
والياس يمزق أوصالي.
ماذا يمكن أن أخسر .. وأنا "المسحوق الأكبر" ..
فليأت اليوم التالي ..
فليأت

وليأت .. في أسرع وقت
كي ينقذني لا من أعدائي بل من ذاتي
كي أنجو من هذه الميته بالموت .. !
ويبقى في هذا الخضم من الضياع .. في هذا الموج المتلاطم من اليأس .. يبقى له حلم
وأمل .. حلم من نور، وأمل بسيف لمارح .. ينتصب .. يبتسم ذات صباح .. فيهبز
الأرواح:

شاهدتك في حلم اليقظة ذات صباح
مبتسما .. وعلى الصدر وشاح
منتصبا .. مثل عمود النور وضاح
في اليمنى سيف لمّاح
في اليسرى يتألق ميزان .. أو مصباح
وحوايك دم، مدرارا قد ساح
وضجيج وصياح
وهتاف شق عنان الجو .. وهز الأرواح
شاهدتك .. ثم اختلط الحلم بعيني .. وذاب
أيقظني قرع فوق الباب

... أحلم أني في أحد الأيام

سأفوق من الأحلام .. وأراك أمامي ..

في عودة إلى البداية وإلى جديد الديوان .. قد يرى البعض في غلبة الشكل الحديث على القصائد، إحياء من الشاعر بالتحول التدريجي عن كتابة القصيدة البيئية .. إلا أن النشأة الشعرية لشهاب غانم وتمرسه بالقصيدة البيئية وامتلاكه لأدواتها وعناصرها الإيقاعية والبصرية، تبقى الحد الفاصل في التحول .. كما أن التحول من شكل إلى آخر ليس غاية وخصوصاً عند شاعرنا لما امتاز به عبر مراحل نتاجه الأدبي من امتلاك لخاصية الفن الشعري المتمثل بالألفاظ السهلة المتلائمة مع الفكرة، والتراكيب السلسة في بعد واضح عن الغرابة والصنعة ..

.. تلتفتين حول النفس كالخدروف ..

تتطلقين .. تتطلقين .. تتطلقين

ذات الشمال .. كما يمر السهم .. أو ذات اليمين

تتزلجن على الجليد ..

وبكل شريان بجسمي أو وريد

تتعثر النبضات .. تنقص .. بل تزيد

أما الصور الشعرية التي ينقل بها الشاعر الفكرة .. فيتساوى العمق والجمال فيها، أ جاءت في شكل القصيدة البيئية:

هي عندي معنى الحياة .. وعندي

هي معنى الردى .. ومعنى المعنى

هي نفس تواجدت وهي روح

تنشد الشعر .. وهي قلب معنى

أم جاءت بالشكل الحديث:

تخنقني رائحة الليل المتعفن حولي

تخنقني البسمات الصفراء للزجة

يخنتني الصمت المستشري ..

الصمت المتعفن في صدري

أضف إلى ذلك أن الصور والمعاني المتألفة دائماً مع الفكرة يضبطها إيقاع أو جرس موسيقي، ينساب هنا بهدوء الحلم: "صوت في العتمة"، ويضج في أخرى ضجيج الثورة والرفض: "حضارة النابالم" .. وقد يتحول الإيقاع في خط بياني خلال قصيدة واحدة حسب ماتقتضيه الفكرة من صور وتعابير: "راقصه الجليد" ..

ويرافق كل ذلك طبع شعري يجعل من القصيدة مجموعة خيوط بلاغية وبيانية تتكاثف ضمن النسيج الشعري فتبدو وقد تجمعت حول الهدف أو الفكرة الأم، كجداول تصب في النهر، ترفده ليبدو بعدها قادراً على شق طريقه إلى النفس، بأسلوب هادئ غائبة عنه الصنعة:

يأمرني الثعبان العاتي

بضجيج يسرق كل الأصوات

أن أغمس في الصندوق رؤوس صغاري

ورؤوس الأصحاب الزوار

فيطيع الكل بداري

والعقرب ينهش أوقاتي ..

فتحلّوا بصبر أيوب وارجوا

عمر نوح من رب هذي البرية

كلمة أخيرة إذاً نقولها، لا تأتي بجديد نضيفه إلى شعر شهاب غانم، إنما نوكد حقيقة تضج في كل نتاج أدبي له امتداداً من بين "شط وآخر" وحتى "شواظ في العتمة" .. وهذه الكلمة هي أن الشاعر بألفاظه الرقيقة وتراكيبه السلسة، بجودة تعابيره، إنما يمتلك أسس القصيدة الشعرية وطريقة بنائها دون صنعة أو جري وراء الصورة أو المعنى.

قراءه في ديوان "صهيل وترتيل"

عبد المنعم عواد يوسف

قراءة غلاف الديوان "رسماً وحرفاً" تقضي إلى أكثر من دلالة.. فالصهيل يأتي أولاً، ثم يكون الترتيل.. ولأن الصهيل يستوعب المساحة الأكبر من الديوان، كان مصمم الغلاف واعياً بطبيعة المضمون حين جعل الصدارة للجواد، يحتل الفراغ كله، بينما ارتفعت المئذنة في خلفية اللوحة.

الصهيل يستغرق ستين صفحة من الصفحات التي تشكل شعر الديوان، والعشرون الباقية يعلو فيها صوت الترتيل.. وتبقى العلاقة الروحية بين القسمين قائمة، فالمضمون الجهادي للصهيل هو الجوهر والأساس، والركيزة الدينية والروحية هي ما تجمع بين الصهيل والترتيل، فالجواد الصاهل، والمئذنة المرتفعة بالترتيل يفضيان إلى حقيقة أن الدين هو المفجر الأساسي للتجربة، وأن العاطفة الدينية هي التيار الشعوري الذي يسود الديوان.

ومع الصهيل.. تتواصل قراءتنا في الديوان.. وإذا كان طلب العلم – في الإسلام – فريضة واجبة، كان الخروج في سبيله جهاداً – كما يقرر "الرسول صلى الله عليه وسلم" حتى يعود الخارج طلباً له إلى بيته، كان طبيعياً أن تأتي قصيدة "من أوراق الغربة" في موضوعها هذا من الصهيل:

لحا الله في هذا الضلوع سجية

تحملني مالا أطيق وأرغبُ

تنادي إلى مجد فأعدو ملبياً

وتدعو إلى شد الرحال فأركبُ

ولما دعت للعلم لببيت طالبا

وخلفت من أهوى وما كنت أطلبُ

فألقت بي الأيام في حضن "كاردف"

ولكنه حضن من الدفء مجذبُ

وفي قصيدة "المجنون" يرتفع الصهيل هذه المرة ثورة واحتجاجاً، ثورة ضد هذا الصهيوني
الذي اقتحم حرم الأقصى معتدياً على المصلين:
وانطلق الحقد رصاصاً في بيت الله
في الحرم الثالث... في قدس الإسراء
سالت أرواح الشهداء
هل يتورع من قتلوا يحيى
من ذبحوا زكريا
واغتالوا القديسين
عن قتل السجد والركع والبسطاء؟
واحتجاجاً ضد الموقف العربي الذي يكتفي بمجرد الشجب والتنديد:
هأنذا أحتج وأشجب في محكمة العدل
والعالم عني في شغل
وأُذلي!

يتكسر في صدري النصل على النصل
وإذا كان الصهيل في قصيدة "المجنون" تغلب عليه المباشرة والتقريرية، فأحسب أن قصيدة
من قصائد هذا القسم من الديوان هي "سقوط" تقترب إلى حد كبير من الشعر كما ينبغي
أن يكون: التصوير بدلا من التقرير، الإيحاء عوضاً عن الإفصاح، الترميز لا التصريح،
فمقولة "السأكت على الشر شيطان أخرس" التي وردت في الأثر الصحيح، تتحول إلى
بناء فني متكامل في "سقوط":

رأيتك فوق الرصيف المقابل
كان الظلام كثيفا حواليك
لكن رأيتك
وحيدا وقفت هنالك تحت عمود الإنارة
كان عمودا قديما ومائل

به رمق من شعاع يناضل
وكان الشقي بقربك يلقي عليّ الشتائم
ويلعن في قحة والدينا
ويقذفني بالحصى
فيفقأ عيني
ويشدخ رأسي
وأنت وقفت تشاهد
لا تتحرك
لا تتكلم
مثل التماثيل
يا مسخ قابيل
مثل أبي الهول
كان الظلام كثيفا
ولكن رأيت ملامح وجهك بالرغم من حلكة الليل
كانت مزيجا من الجبن والغدر والإنحطاط..
رأيتك مثل التماثيل
مثل أبي الهول
لكن شعرت هنا .. في قرارة نفسي
وروحى تغالب يأسى
بأنك أنت الذي مدّه بالحصى!
وفي "المذبحة قبل الأخيرة" يتعانق الشعر واللا شعر, ويلتقي الفن باللافن .. ونقرأ:
تتدحرج عين نزعته من محجرها فوق الطين
تتوقف
تتظر نحو سماء الله
كما لو كانت تشكو من ظلم الإنسان إلى الملكوت الأعلى

فتمر عليها أحذية السفاحين
تنداح على الطرقات أشلاء القتلي
بطن مبقور لامرأة حبلى
رأس من عنق مذبح يتدلى
وأصابع طفل تبرز من أكوام الطين
كما لو كانت تستجد بالملكوت الأعلى
فتمر عليها الجرافات
تقفوها كالأختام نعال السفاحين.

هنا نجد الشعر، لأننا نلتقي بمفردات صورة تشكل في النهاية لوحة المأساة، والتصوير فن، وبذا يكون الاقتراب من فضاء الشعر بالتشكيل .. ولكن حين نشارف مقطعاً آخر من مقاطع القصيدة:

صبرا صبرا
يامن تبكون شتيلا وتتوحون على صبرا
بالأمس بكيتم ثل الزعتر
واليوم تتوحون بدمع أغزر
لكن صبرا
مادما أبدا لم تتغير
فانتظروا مذبة أخرى
مذبة كبرى
لا تبقي منا اليبس
أو تبقي منا الأخضر

هنا نفتقد الشعر .. فالإحساس تغتاله الفكرة، والتقدير يحل محل التصوير، وتخبو روح الشعر تحت وطأة المباشرة .. ومتابعة قراءة الديوان تؤكد أن به قدراً كبيراً من الشعر .. اللوحة التالية - كمثال - والتي تقدم صورة لواقع حالنا، بعيداً عن المباشرة والتقديرية: قصيدة "شروخ":

سمعته يحدث الصغار
عن ذاك الجدار
وكيف قبل ألف عام كان عالياً شموخ
يقزم الأسوار
وبعدها تكالب التتار
فدبت الشروخ
وانهارت الأحجار
لقد ذهب اليوم كي أشاهد الجدار
فلم أجده ...
إنما وجدت كل مابه من الشروخ.
وفي اندفاع الجواد صاهلاً، مؤكدا ضرورة الجهاد، وأهمية مقاومة الشر، ومبشراً بيوم
خلاص وشيك، يرتفع المنبر، وتبرز النوايا الطيبة، ولكن يخبو بريق الشعر ..
ونواصل القراءة تلمسا للشعر، فنلتقي به مثل قصيدة "الحلم":
شاهدتك في حلم اليقظة ذات صباح
مبتسماً.. وعلى الصور وشاح
منتصباً .. مثل عمود النور الواضح
في اليمنى سيف لمّاح
في اليسرى يتألق ميزان .. أو صباح
وحالك دم، .. مدرارا قد ساح
وضجيج وصياح
وهتاف شق عنان الجو وهز الأرواح.
وتستمر القصيدة في رسم ملامح هذا البطل المخلص، الذي تتطلع إليه جماهيرنا العربية
لينتشلها مما تروّت فيه، ويتواصل الحلم:
شاهدتك .. ثم اختلط الحلم بعيني.. وذاب
أيقظني قرع فوق الباب
صوت من هذا الغاب

عدت لاحيا بين الأنيابُ
عبثا حاولت بان أتذكر وجهك مثل وجوه الأحباب
لم يظهر غير ضباب
أتذكر أن لعينيك بريقا جذاب
لكني لا أذكر شكل العينين ولا الأهداب
هل كانوا خلف عصاب
لا أذكر .. بل أذكر .. لا .. أفلت مني الوجه .. وغاب .
وبرغم الضياع المرحلي للحلم, فالأمل مازال قائماً, والشاعر ينهي قصيدتيه متفائلاً:
أحلم أني في أحد الأيام
سأفיק من الأحلام
وأراك أمامي.
وإذا كانت قصيدة "الحلم" تؤكد مشروعية المخلص, وأن المهدي المنتظر قادم لا محالة,
فإن القصيدة قبل الأخيرة من قصائد الصهيل: "الفارس" ترهص بهذا الحضور:
بينما أدنو من الخط الأخير
يستحيل الأفق الداكن إشعاعاً ونور
ولأن المساحة السوداء في مشوار الصهيل كانت كبيرة, برغم اندياح نقاط الضوء قطرة بعد
قطرة, كان على الشاعر أن يرفق في نهاية هذا المشوار أكبر قدر من الضوء, حتى لا
يبقى اليأس بكل وطأته جاثماً على النفوس, فكانت قصيدة "سوف يأتي فجر":
سوف يمضي الدجى ويأتي صباخُ
تتلاشى في نوره الأشباخُ
سوف يأتي فجر يمزق ليلاً
سرمدياً في ساحنا ينداح
سوف يأتي مهما أبى مستبد
وطغى غاصب وفاضت جراحُ
إن قوما أبو عبيدة منهم
وعلي .. وطارق .. وصلاح

سوف تعلق شمس لهم من جديد

ويغني سناؤها الوضأح

وإذا كنت قد أطلت الوقوف بعض الشيء أمام قصائد الصهيل تلمساً للشعر فيها، فماذا عساي أفعل مع هذا القسم الآخر من الديوان الذي جعل منه الشاعر مناجاة وترتيلاً؟ وماذا نلتمس في الترتيل غير بعض السبحات الروحية والإشراقات الصوفية، وتناول بعض القيم الدينية، في جو تسوده عاطفة صادقة مستمدة من نبع إيماني عميق؟

وسيعود القارئ بلا طائل، في محاولته خلال هذا الجانب من شعر شهاب غانم أن يعثر على شيء من تجاوزات "الخيام" وجرأته، أو شيء من سباحات "ابن الفارض" وصوفيته، أو بعض تجليات "ابن العربي" أو مشاركة لبعض مواقف "النفري" ..

وإن فالترتيل هو في مجمله مجموعة من قصائد المناجاة والابتهال والتقرب إلى الله بالدعاء، والتضرع إليه أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهدي النفس إلى سواء السبيل، فإذا توفرت لذلك العناصر الشعرية تحقق الشعر، وإذا لم تتوفر هذه العناصر وقف الأمر عند حدود الوعظ والإرشاد.

ولا أحسب أن مثل هذين البيتين اللذين أختتم بهما هذه السياحة بين صهيل شهاب غانم وترتيله لا يدخلان في باب الشعر الجميل :

يا إلهي قد ادلهمت دروبي

فأنرها بشعلة الزيتونة

لا تدعني أضيع ما بين موج

ورياح كما تضييع السفينة

وقفه مع ديوان "هو الحب": شهاب غانم .. شاعر المواقف الشعرية

عبد الله السيد شرف *

مهما تعددت الأشكال الشعرية، فستظل للقصيدة البيئية صدارة الشعر، وستظل فضاءاته مفتوحة أمام النسق الخليلي، وستظل الموسيقى - مع الخيال واللغة - الأجنحة التي يحلق بها هذا الطائر الجميل، كما ستظل الرومانسية النسمة الحانية والكف الحنون التي تتسينا طعم الواقع المر.

ذلك ما أحسست به بعد قراءتي ديوان "هو الحب" للدكتور الشاعر شهاب غانم والمحتوي على خمسين قصيدة، منها ثمان تفعيلية، وبقية القصائد من الشعر العمودي، ودون ملل أو ضيق، صحبنا معه، وأكد لنا أن الشعر البيئي ما زال إن تمكن منه الشاعر - الأجل، والأشد تأثيراً، والأكثر سيرورة، ذلك لأن العربي ذواقة، صاحب أذن موسيقية حساسة، يطرب للكلمة الموسيقية، ويضيق باللحن والنشاز حتى ولو لم تكن له دراية مسبقة بالنحو والعروض.

وإذا كانت القصيدة التفعيلية بصرية، فإن القصيدة البيئية بصرية سمعية، ولذا فهي أكثر تأثيراً، أضف إلى هذا تنوع العزف على أوتار أكثر من بحر شعري وهو أمر يزيد من جماليات القصيدة، إذ إن لكل بحر تأثيره، بينما نجد أن الشعر التفعيلي لا يعتمد - غالباً - إلا على البحور الصافية، خاصة الخبب، وهو البحر الذي تركه الخليل بن أحمد لتفاهته - كما قيل - ولا شك أن اعتماد الشعراء على بحر واحد جعل الشعر يسير في شعب ضيق، فإذا أضفنا إلى كل هذا الرمزية المبالغ فيها والمنتكئة على تكسير اللغة وهدم الثوابت، والخروج على القواعد الدينية والخلقية، فسنتكشف أن الميزان يميل إلى صالح الشعر البيئي. والغريب أن شعراء ما يسمى بالحساسية الجديدة يرددون لمن يهتمهم بالغموض: "ولم لاتفهم ما يقال" .. وهي مقولة لا تنطبق الآن على الشعر، لا من حيث الصياغة، ولا من حيث المناخ الثقافي والاجتماعي.

* صحفي، كان يعمل في القسم الثقافي بصحيفة الخليج. نشرت في صحيفة (الخليج)، 1986م.

هل يعنى هذا أن الشعر التفعيلي فقد تأثيره ومكانته؟ .. نحن لم نقل هذا، ولا نظن أننا نوافق على خنق هذا اللون، لكننا في نفس الوقت لا نوافق على الشعر المرتمي في أحضان الهرطقات اللغوية، والبعيد عن الموسيقى الشعرية التي تعارفنا عليها من زمن، هذا إن كنا نريد للشعر أن يؤدي دوره على أكمل وجه، ولعلنا لاحظنا عودة الكثير من الشعراء إلى التقفية - مؤخراً - كما فعل الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة والشاعر محمد عفيفي مطر، وغيرهما.

من كل هذا يتبين لنا أن الشعر البيتي أبقى، إن وجد الشاعر الذى يصوغ لنا تجاربه في صدق، وشفافية تحلق به في أجواء الصورة الجميلة، مبتعداً بنا عن النظم الممل، والتعبيرات المستهلكة، وواضح تماماً أن الشاعر شهاب غانم يوافقنا على هذا الرأي، وقد عبر عن هذا بقوله :

درست نتاج الغرب منذ حادثتي

وأشربت من موزون شعر ومن حر

فأدركت أنا في محاكاتها له

نمج هراء، لا يمت إلى الشعر

يقع ديوان الشاعر شهاب غانم في ثمانين صفحة، كل قصائده عمودية - عدا ثمان وقد تمكن في قصائده العمودية من العزف على أوتار أكثر من بحر شعري هي كالتالى: البسيط (10)، الطويل (10)، الخفيف (9)، الوافر (6)، الكامل (5)، الرمل (2)، الرجز (1) الهزج (1)، أما في القصائد التفعيلية فقد استخدم الشاعر أربعة أبحر، هي المتقارب (4)، الرمل (2)، الرجز (1)، الهزج (1) وعلى هذا فالبسيط هو صاحب أعلى معدل تكراري بين قصائد الديوان وهو بحر يتفق مع الشجن والتذكر والحنين، ويعطى التموج والانسائية، والإيقاع الذي يعطى النفس حالة من حالات السمو والصفاء، يقول الشاعر:

ومهجتي في سعي الوجد تضطرم

قلبي يحدث أني مغرم بكم

فلم تردوا وكان الصد ردم

أرسلت أشكو عذاب البين منتحبا

وصلا وحبل وصالي ليس ينصرم

ما كان أحلى زمانا كنت أقطعه

ويقول في قصيدة أخرى :

كيف انتهى الحب والأنهار ما فتئت في جانحيك بموج الحب تصطفق
كيف انتهى وصدى الأشعار يمنعه أن يضمحل .. وسحر ضمه الورق
كيف انتهى والهوى للناس تسلية لكنه عندك الأهداف .. والطرق
الكلمات بسيطة، معبرة تتساب بسهولة ورقة مما يعني أن القصيدة كتبت دفقة واحدة دون
جهد أو افتعال يقول في قصيدة أخرى:
لعلك لا تدريين ... كم أتعذبُ وكيف فؤادي بالبعد يذوّب
وكيف إذا ولى الشباب وأقبلت رياح خريف العمر يغدو التغرّبُ
ألم تقرئي شعري، وكل قصائدي دموع كموج البحر، تأتي وتذهبُ

كما تعددت البحور في ديوان "هو الحب" للشاعر شهاب غانم، تعددت، أيضاً القوافي حتى
أنها شملت قرابة نصف الحروف الهجائية، كما تنوعت بين الرفع والنصب والخفض
واحتلت القافية المرفوعة ثلث قصائد الديوان، ومعروف أن الرفع يعنى الفخامة، يقول
الشاعر:

تظنين أن الشيب في الفود وصمة معاذ الهوى أن يفسد الحب مظهرُ
فما زالت الأشواق عندي كثيرة وما زال قلبي بالهوى .. يتفجّرُ
إن اللغة عند الشاعر بسيطة، ولا تحتاج إلى القواميس اللغوية، وكأن الشاعر يريد أن
يستأثر بنا كل الوقت، دون أن ننفلت من بين يديه ولو للحظات، وقد نجح الشاعر في هذا
تماماً وجعلنا نجلس أمامه دون ملل أو ضجر، غير أن هناك بعض الكلمات التي جاءت
في غير مكانها، مما تسبب في إيجاد ما يسمى بتنافر الحروف، مثل قوله :
إنها ألطف من طيف طفا كلما طاف فلم يلمس طريقة
وتكرار الطاء هنا غير مستحب، كما أن الفاء في - فلم - مقحمة، والواضح أن الشاعر
اضطر إليها للحفاظ على الوزن. وهناك استخدام لكلمة غير فصيحة، ومع هذا لم يضعها
الشاعر بين قوسين، يقول الشاعر:

جرى في دمي ذاك الهوى، ورضعته فقضيت أيامي مع الطرس والحبر
والحبر لفظة عامية، وصوابها المداد.

ومن المآخذ على الشاعر، استخدامه لكلمة الدهر بطريقة لم نسترح إليها؛ يقول:

ووصلك كل أمالى .. وسؤلى من الأيام والدهر البخيل

ثم يكرر نفسى المعنى في مكان آخر فيقول:

ألا بئسما الدهر الغشوم فإنه قضى أبداً ألا يدوم لنا سعد

إن استخدام الدهر بهذه الطريقة، أمر لا يروق لنا.

لنا أن نسأل الآن .. ما الجديد عند الشاعر شهاب غانم؟ .. الواقع أن الشاعر استطاع
وببراعة شديدة أن يلتقط الموقف الشعري، وأن يضفي على الموقف الشعري جمالا من
عنده مما جعل اللوحة تكاد تنطق، روعة، وجمالا. ولم يقتصر دور الشاعر على التسجيل
الفوتوغرافي - شأن الكثيرين - بل نراه يصور لنا اللحظة الشعرية تصويراً بديعاً، مضيفاً
إليها بريشته ما يثري الصورة ويخرجها من دائرة المحسوس إلى ماهو أبعد.. ولنر معاً
كيف أبدع هذه اللوحة وهي من أجمل قصائد الديوان؛ يقول الشاعر تحت عنوان "فراشة
وورود":

وفراشة خبرت أساليب الهوى	فمضت ترفرف في الربى وتدور
الورد آذان لحو حديثها	يتسقط الهمسات حين تطير
فالورد مثل الغانيات سجية	للهمس في آذانها .. تخدير
وإذا بها قد غمغت في وردة	وإذا الخميل تألق .. وعبير
وإذا هما في قبلة .. وإذا هما	كل بحضن عشيقه مخمور
حتى إذا نفع الرحيق غليلها	طارت فشيمة مثلها التغيير
كم وردة سال الندى في خدها	يبكى الخديعة قلبها الموتور
هى عبرة للغانيات لو أنه	قد كان يجدي في الهوى تحذير

إن اللوحة - كما نرى - واضحة الألوان والظلال، وأظنها لا تحتاج إلى تعليق، فقد أجاد
الشاعر في تصوير الموقف دون تعقيد أو افتعال، وهناك أكثر من موقف نجح الشاعر

في تصويره ببراعة مما يحسب له, ويجعلنا نطلق عليه شاعر المواقف؛ يقول الشاعر في قصيدة أخرى معبراً عن موقف آخر:

وفاتنة قالت: حديثك حيلة	وإن كنت أهوى ما تقول.. وأعشقُ
تغازلني بالشعر, والشعر فتنة	وأنت بأنغام الغرام تحلّقُ
وتغزل ألفاظ الصباية والجوى	كأنك من قيس لليلاه أشوقُ
وتشكو اليّ العشق والعشق شعلة	يذوب لها قلب العميد ويحرق
لقد جهلت أني أعبرُ عن هوى	يؤجج في صدري جحيما فأنطقُ
ولو عرفت لسع الغرام لأدركت	بأن الفتى الكذاب في الحب يصدقُ

كل هذا يثبت لنا أن الشاعر يجيد تماماً تصوير اللحظة الشعرية, ببساطة شديدة مع جدة في الصور وسهولة في اللفظ, وهناك بالديوان العديد من الصور الطازجة وغير المسبوقة من ذلك قوله:

قالوا: هلم إلى كأس تلوذ بها	من التلطي على جمر الهوى القاسي
ففي كؤوس الطلا سلوى, وتعزية	لا ينزل الهم يوماً ساحة الكأس
فقلت: هيهات.. لا راح تعلّني	وقد غرقت بخمر الحب... للرأس

الصورة في البيت الأخير طريفة وجميلة, وغير مسبوقة اللهم إلا في الأمثال الشعبية حينما يقال عن المحب إنه "غرقان لشوشته".

غير أن بالديوان – أيضاً – بعض الصور المعادة, والتي لا تشعر فيها بالتوهج وقوة الخيال, وذلك مثل قوله:

أتستغربين اللحن يهزج راقصاً أما يرقص الطير الذبيح المخضبُ

وقوله :

وللحب طعم دائماً متغيّر فكم فيه من حلو وكم فيه من مرّ

إن الشاعر هنا لم يأت بأي جديد, بل وقع في أسر النظم المباشر, على أن أمثال هذه الأبيات قليلة, ولا تقدر في شاعرية الشاعر.

تتبقى القصائد التفعيلية، وهي قصائد جيدة الفكرة، وبحسب لها خروجها من دائرة الأنا إلى العالم الرحب.

وهكذا أبحر بنا الشاعر شهاب غانم على أجنحة الرومانسية، مؤكداً أن لكل لون خصائصه ومقوماته، وإن كان الشعر البيتي أشد تأثيراً وسيرورة، حيث تنتسج رقعة الموسيقى بتنوع البحور الشعرية، وبحسب للشاعر براعته في خلق الجو الشعري والمواقف الشعرية التي أجاد الشاعر التقاطها والتعبير عنها بتمكن واقتدار.

أما الرومانسية، فهي بالتأكيد باقية ما بقي الإنسان على وجه الأرض، بل إنها في الواقع تعد المعادل الموضوعي والطبيعي لما يصادف الإنسان من منغصات يومية، خاصة أننا في عصر كل ما فيه يصيب الإنسان بالتوتر والقلق، ولا شك أن الرومانسية تساهم بنصيب وافر في إذابة هذا التوتر، وهذا القلق.

إطلالة على ديوان "هو الحب"

يس قطب الفيل*

ديوان من الشعر، صغير في حجمه ثري في معانيه، عبر فيه الشاعر بصدق عن أدق خلجات النفس الإنسانية، فجاءت قصائده عامرة بالدفء الخلاب، منطلقة إلى آفاق التصوير الفني، في لغة موحية، تعبر عن أرق المشاعر وأنبل الأحاسيس.

ورغم أن معظم قصائد الديوان قد اتخذت الشكل التقليدي إطاراً لها، إلا أنها نجت في أغلبها من جفاف التقريرية، حيث انطلقت إلى مستويات متعددة الأبعاد، تكشف عن صدق التجربة، وحساسية الوجدان المضطرب بشتى الانفعالات.

إن هذا الديوان للشاعر الدكتور شهاب غانم، نفثات وجدانية حارة، تدفقت عبر خمسين لوحة شعرية، تناولت الحب في كل صوره، وعلى مختلف مستوياته.

فمنذ البداية، وفي قصيدته "هو الحب" التي تحمل عنوان الديوان يؤكد الشاعر على أن الحب أشكال وألوان، فمنه الغريزي ومنه العذري ومنه هوى الأكباد التي تمشي على الأرض، وحب الأم والأخت والوالد ومنه هوى الأوطان ذلك الهوى الذي يفرض التضحية

* شاعر وناقد مصري (1944-1995م). نشرت في صحيفة (الخليج)، 16/2/1995م.

بالحياة على كل حر، ومنه حب الفن في رفعتة وسموه، وحب الشعر ذلك الجبار الذي
يتشظى رقة وحنانا.

يؤكد الشاعر على كل هذه المعاني، كعنصر من عناصر الكيان الإنساني، وهذا التصوير
الشامل لمعاني الحب المختلفة يوضح لنا أن للشاعر تجربة رحبة في هذا المجال تتسع
لتشمل الوجود، بقدر ما يوضح لنا أن للشاعر قلباً ينصهر في بوتقة هذا الحب، ونفساً
بالغة الحساسية تهتز لأدنى طرقاته، ومن ثم يكون الرنين المتولد تعبيراً تلقائياً عن هذا
الهوى المطمور في الأعماق.

وعلى الرغم مما عرضه الشاعر من صنوف هذا الحب في أبياته التي عرضنا تلخيصاً
لها - نرجو ألا يكون مخلاً - إلا أنه يستطرد في نفس القصيدة ليضيف ألواناً أخرى،
أدرك أنها لم ترد فيما ضمن من أبيات سلفت. يقول الشاعر في نفس القصيدة:

وأعظم أنواع الهوى حب ملة هوى ليس يجدي غيره ساعة الحشر

وإن طلاب العلم نوع من الهوى عليه يحث الحق في محكم الذكر

"إن جمال الشعر لا ينبع إلا من تكامل العناصر المكونة له، والتي تتمثل في الصدق
والبساطة والأداء اللغوي المتكامل"⁽¹⁾ ولعل هذا المفهوم الذي يعلمه الشاعر جيداً دون أن
يستحضره في لحظات الإبداع العفوية، هو الذي جعله يعبر بصدق، وفي بساطة متناهية،
وعبر أداء لغوي محكم عن كل ما يضطرم في أعماقه، ومن ثم تجيء القصيدة صوراً
صادقة تتلاحق في أبيات مترابطة، لتكوّن إطاراً متكاملًا لهذا الهوى الذي تعددت ألوانه،
وتنوعت معانيه، ذلك الهوى الذي لا يلبث أن يلح عليه في معظم قصائد الديوان، مما
يؤكد لنا أن الحب مكون أصيل من مكونات هذا المبدع، ومنطلق "أكيد" من المنطلقات
التي يتمحور حولها عطاؤه المتوالي.

إن الشاعر لا يقنع مما عرض من ألوان الحب في قصيدته التي سلفت، وإنما يعود مرة
أخرى، تحت إلحاح خاطر الخفي، إلى نفس المعاني في قصيدته (معاني الهوى عندي)
والتي يستهلها بقوله:

وأعظم من حبي لعينيك.. لهفتي

إلى مثَلٍ أعلى من الطهر والقدس

وأجمل في قلبي من الحسن شيمة

تجلُّ عن الإدراك بالعين واللمس

ليؤكد لنا زرايته بالشكل، وعدم اكتمال الحسن لديه بالقدر الهفاهف والشفاه الخمرية، وإنما هو يكتمل بالسمو عن الدنيا، والصبر على المكاره، ومساندة المظلوم، وما إلى ذلك... من

ميراث تحرص عليه القيم العربية، ويحث عليه الدين الإسلامي الحنيف.

هذا ملمح للحب في شموليته يبرز لنا صريحاً في الكثير من قصائد الديوان أو يتخلل ثناياها، بل ويطلع معظم التجارب الأخرى بطابعه الخاص.. وحسبنا ما قدمنا من شواهد تؤكد صدق ما ذهبنا إليه.. لنتوقف ملياً أمام تجاربه العاطفية شديدة التوهج، والتي تبدو

للمتلقي وكأنها قطع من قلب الشاعر، تناثرت على السطور أبياتاً.

واللافت للنظر حقاً، أن شاعرنا قدم في ديوانه أربع عشرة مقطوعة كل منها مستقلة – أطلق عليها سداسيات لكون الواحدة منها تتكون من ستة أبيات وكلها تصور تجارب عاطفية، خالصة للحب أو ممتزجة بتأملات في كنه هذا الحب، وذلك على خلاف ما تعارف عليه الشعراء فقد جرت العادة... أن تكون القصيدة وحدة متكاملة ذات موضوع عاطفي مثلاً... لكنها تنقسم داخلياً إلى ثنائيات أو رباعيات أو أكثر أو أقل إلا أن شاعرنا يخرج عن المألوف، مما يؤكد سيطرته على أدواته وقدرته الفائقة، في إبراز التجربة في الحيز الذي يريد، وأحسب أن هذا مما يضاف إلى رصيده لا مما ينتقص من هذا الرصيد. ولأن الكلمات في الشعر، ليست حروفاً معبأة بالشجن، ولا خطوطاً أصابها الصمم، وإنما هي نقش لوجيب القلوب، فإن الشاعر في سداسياته يتجاوز المألوف بثرائه الفني، حين يعبر عن عاطفته الجياشة مرة بالنفي وأخرى بالإثبات ومرة ثالثة بالتقرير الحاسم ورابعة بالتساؤل المنبئ عن شعور بالخيبة.. يقول الشاعر في أولى هذه السداسيات: تحت عنوان الهوى والشيب:

تقول: وقد شب المشيب بلمّتي

كنار تلظى في الهشيم ترمجرُ

أما آن سلوان عن اللهو والهوى

فإن اجتماع الشيب واللهو منكراً

فقلت سلوت اللهو لكن عن الهوى

حنانيك لا أسلو ولا أتصبرُ

هنا تكتب القصيدة نفسها، فتختار ألفاظها دون أن يجعل الشاعر من هذه الألفاظ حلى لفظية ولا ألعيب شكلية، مما يقطع بأن الصدق الشعوري لا يفسح مكاناً للاهتمام بمثل هذه الزخارف.. ولعل هذا مما يؤكد انحيازنا إلى أن التجربة الشعرية لدى الشاعر إنما تجيء مكتملة دائماً. وأنها حينما تتسكب على السطور أبياتاً، فإنما هي تتجو من الصنعة والتكلف وتتجاوز المألوف لدى غيره من الشعراء. وفي نطاق هذا الاتجاه العاطفي، المشحون بالقلق الوجداني، والمغلف بالتوجس والحيرة. يقول الشاعر في سداسيته الثانية والتي جعل لها عنواناً (تجني):

وفاتنة قالت: حديثك حيلة

وإن كنت أهوى ما تقول وأعشقُ

تغازلني بالشعر.. والشعر فتنة

وأنت بأنغام الغرام تحلقُ

ولو عرفت لسع الغرام، لأدركت

بأن الفتى الكذاب في الحب يصدقُ

الملاحظ على التجارب الوجدانية في هذه السداسيات، أنها غير متوقعة في زوايا ضيقة من إطار كلي، وإنما هي تنطلق ثرية الأبعاد، تجنح إلى الشمول، وتتسم بالبحث الوجداني العام. حتى وإن كان الخطاب فيها للمفرد المؤنث... يقول الشاعر في سداسية ثالثة بعنوان (عطاء الشاعر):

لا تضربي حول الفؤاد حصاراً

خلّيه يُحيي اللحن والأشعاراً

هو كالفراشة تتطوي، إن لم تذق

كأس الرحيق، وترشف الأزهارا

إن كان يهدي للملاح لحونه

فإليك يهدي اللحن والقيثارا

وهكذا يتضح مما عرضنا في هذا المحور الوجداني، أن الشاعر يكاد يتشظى على السطور شطرات، وهو يعبر صادقاً عن عاطفة صادقة وأنه لا يشرع في التعبير عما يعاني إلا بعد امتلاء ينذر بالانفجار ومن ثم تأتي المقطوعة دفقة شعورية حادة، تكاد تحرق الورق بلهبها، ولعل في هذا إشارة تغني عن عبارة، لننتقل إلى تجربة الغربة بما يكتنفها من ندم على الابتعاد، وأمل في لقاء الأحبة، ذلك أن الغربة تجربة بشرية تتكرر كثيراً... ورغم ذلك تظل لكل قصيدة تتعرض لهذه التجربة، روحها التي عبرت عن روح الشاعر الذي أبدعها.

لقد تعرض شاعرنا لهذه التجربة، بكل أبعادها.. سنينا.. أدماء الاغتراب، وأضناه الشوق إلى لقاء الأحبة، ومن ثم فقد تحول الحنين لديه إلى تجربة صوفية مبتهلة، وإلى وله ينتزى لوعة وضراعة.. يستهل قصيدته (عواطف وعواصف) بهذا المقطع الرائع:

شوقي إليك جسيم أيها القمرُ

وهل يطيب إذا أوحشتني سمرُ؟

تركنتي لأفاعي الهم تنهشني

ولوعة في حنايا الصدر تستعُرُ

سيان عندي إذا أعرضت عن غضب

أو عن دلال، فما لي عنك مصطبرُ

ما جئت أطلب في حبي مقايضة

فالصب ليس بصب حين يتجرُ

وكما نرى فإن الإيقاع الحاد، والموسيقى الضاغطة، ما كان ليمنحنا الأبيات هذا التماسك العضوي، لما يجب أن يكون عليه الشعر، لو لم تكن موهبة الشاعر قادرة على مواجهة قيود الوزن لحظة الإبداع.

كذلك... فإن قيمة الحب العالية في قلب الشاعر، والتي اتكأ عليها في إبداعه.. هذا الحب الذي تجسد في العطاء دون مقابل، أو حتى مجرد انتظار لمقابل، قد منحها هذا الطغيان الأسر الذي استولى به على وجدان المتلقي.

وقد يختلط المحبوب هنا، على المتأمل، لاسيما حين يرمز إليه بالقمر - القمر يصلح دلالة على الحبيب، وعلى الولد، وعلى الزوجة، وعلى الوطن، وعلى قيم الحرية والعدل، التي تتألق نوراً في ظلمة الحياة - من هنا يتدارك الشاعر هذا التعميم، فيوضح المقصود بالقمر في البيت التالي من القصيدة حيث يقول:

لهفي على وطني ممن يكيد له

وما يخبئ في طياته القدر

وهو بهذا يحدد ملامح التجربة الشعرية في هذه القصيدة، التي فجرتها غربة الشاعر عن وطنه، ولهفته على هذا الوطن مما يخبئه له القدر، كوطن عربي، مستهدف للأطماع... دائماً.

كذلك فإن الانسجام بين الشكل - لفظاً ووزناً - والمعنى - حباً وعطاءً - وهما يتجردان من الغرض والهوى، قد منحنا هذه القصيدة الديمومة والخلود، لتصير المثل الجيد، على حسن السبك وقوة التعبير، ولا تنتهي غربة الشاعر بانتهاء هذه القصيدة، وإنما هي تطل برأسها في ثنايا القصائد، حتى لتبدو للمتابع، وكأنها محور أصيل من محاور الديوان.. يتوازى مع المحور العاطفي قوة واندفاعاً. تلك الغربة التي لم تكن لطلب المتعة، ولا للسياحة اللاهية، في بلدان كل ما فيها مباح، وإنما هي غربة من أجل هدف نبيل، وغاية سامية، وتلك سجية طلاب العلم، ورواد المعرفة، يرخصون العمر في سبيل ما يؤمنون أنه السبيل إلى الحياة الكريمة... يقول الشاعر في قصيدته "من أوراق الغربة":

لحا الله في هذه الضلوع سجية

تحمّلني ما لا أطيق وأرغبُ

ولما دعت للعلم لبَّيْتُ طالبا

وخلفت من أهوى، وما كنت أطلبُ

ورغم أن الغربة هنا موجعة إذ تنتقل بالشاعر من دفء المشرق وصفاء سمائه، إلى حيث الغيوم والضباب والجليد، كذلك فهي تبعده عن الحزن الوريث، لتلقي به إلى الأحضان اليابسة، كذلك الحرمان المزدوج من البيت بكل ما يمثله للرجل الشرقي، والأبناء بكل ما يحتلونه في القلب الذي ينشظى عطفاً وحناناً.. كل هذا جعله يطلق صيحته الملتاعة في هذا البيت المتفرد من نفس القصيدة:

حرائق روما في ضلوعي عتية

وأعزف... لكن.... لا كنبيرون أطربُ

من هنا فهو ينفي جازماً أن يكون ذلك النيرون الذي انحرف عن الجادة، حين طلق زوجته "اوكتافيا" ليتزوج من عشيقته "بوبايا" والتي صعدت إلى العرش وسط الأشلاء والخراب، ورائحة الدخان والخيانة. وهذا في عرف شاعرنا خروج على الشرعية.. كتبت اللعنة على نيرون الذي كان يغني وروما تحترق، والذي لم يبال وهو يقتل أمه "أجربينا" في لحظات هوس غريب.

وإذا كانت تجربة الحب الشمولي قد أطلت واضحة القسمات، واحتلت مكانها بين قصائد الديوان، وإذا كان الحب الوجداني قد انطلق سابحاً بين الضفاف، وبدا أكثر رحابة مما عده من تجارب، وإذا كانت الغربة قد انفردت بحيز مكثف من المساحة الكلية إلى أن غدت رؤى يختلط فيها الهم الذاتي بالهم العام.. فإن تيار التوجه الإسلامي قد جرى في شرايين القصائد بعامة، وتحول في أوردة الأبيات إيقاعاً، يخفت فجأة كالشهقة، أو يمتد كالتهيدة الأسيانة. من ذلك على سبيل المثال... ما اختتم به قصيدة الإهداء... حيث يقول:

لكن الحب بهجة وسمو

والطلا شبه بهجة ملعونة

ومنه ما صور به رفاق الرحلة في بلاد الضباب... قائلاً:

ولولا رفاق العلم من أرض يعرب

يوحدنا دينٌ وضاد ومأربُ

لكان لنا هذا التغرب محنةً

تفوق احتمال المرء, والشعر أشيبُ

ومنه ما ورد في قصيدته (عبر التليفون) رداً على تلك المجهولة:

من أنت يا مجنونة ؟ أمغرد قد مل أسره؟

أم أنت شيطان, يجرب كيده فينا ومكره؟

ومنه أيضا ما اختتم به قصيدة (استقزاز):

نعشق العشق وندري أنه

نعمة الخالق من بدء الخليقة

وأخيراً..

يبقى الهم الخفي... الذي أرهق الشعراء بعامة, كما أرهق شاعرنا الذي انطلق من أسر
القالب البيتي, ليلحق خلف معانيه, في رحلة البحث عن الحقيقة التي لا تجيء.. يقول في
قصيدته (البحث):

فيا حلوة الروح

يا منبعا لمعاني الجمال

متى ينتهي البحث ؟

إني سئمت الطريق

تعبت.. فمالك لم تتعبي ؟

وحين توغلت في عمق ذاتي

هنالك أدركت

أني أردت المحال

ومنك طلبت الذي لا ينال

ويظل في رحلة بحثه السرمدية.. لا يكل ولا يمل ليعلن في قصيدته (توهج) ورغم غروب
الأمَل:

تظل البحار

وتبقى الجبال
فيلهمني كل طود يلوح
معاني الشموخ
وفلسفة الصبر والاحتمال
ولأن الشعر قدر الشعراء، وعذابهم الأبدي.. يقرر شاعرنا أن يتحرر من شراكه.. ولكن
متى كانت توبة العشاق أبدية؟ يقول شاعرنا في قصيدته "شراك":
آليت أن أمزق الأحلام
أن أسحق الأقاليم
ولكن.. وما أقسى... لكن !!
ما زلت أنسج الحروف
ولم أزل أحلم بالقطوف
وردا بلا أشواك.

وكما رأينا.. فقد اختار الشاعر الثوب الذي لا يقيد خطى انطلاقه في رحلة البحث عن
أمانيه الغائمة.

ولقد تعددت البحور الشعرية التي صاغ عليها الشاعر إبداعه في هذا الديوان فاحتل
"البسيط" المكانة الأولى، التي كتبت على وزنه "إحدى عشرة قصيدة" ومعروف أن طبيعة
هذا البحر البسيط (مستعلن فاعلن مستعلن فاعلن) في مقدمة البحور التي يستعملها
الشعراء على الإطلاق... ذلك أن هذا البحر يولد الإيقاع الذي يعطي النفس حالة من
حالات السمو والصفاء. هذا وقد احتل الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) المرتبة
الثانية "تسع قصائد" وقد أكدوا أن ثلث الشعر القديم جاء على وزن البحر الطويل ذلك أنه
يتناسب مع إمكانية السرد والبسط القصصي إلا أن مكانته التي احتلها في شعر الأقدمين
قد تراجع الآن، ورغم ذلك فهو لم ينقرض تماماً، ومازال هو أطول البحور الشعرية
وأحفلى بالجلال والعمق والرصانة. ثم يجيء الخفيف (فاعلان مستعلن فاعلان) في
المرتبة الثالثة من قصائد الديوان "ثمان قصائد" والمعروف عن الخفيف أنه بحر ساطع

النغم، بارز الموسيقى.. قيل إنه أخف البحور على الطبع، وأحلاها للسمع، وإن له جزالة ورشاقة.. لذلك يكثر استعماله في البيئات المتحضرة، وهذا ما دفع جل شعرائنا - في العصر الحديث - للكتابة على منواله أعمالاً كاملة.. ثم تتوالى البحور الشعرية التي استخدمها الشاعر في ديوانه الممتع (هو الحب) فنجد للوافر (سبع قصائد) والمتقارب (خمس قصائد) وللکامل (أربع قصائد) وللرمل (ثلاثة قصائد).. ولكل من الهزج والرجز ومجزوءات الکامل والوافر والرمل... قصيدة واحدة⁽²⁾.

كما نرى... فإن استخدام الشاعر لهذا العدد من البحور الشعرية ومجزوءاتها في ديوانه الجديد (هو الحب) قد منح التجربة الشعرية ثراءً موسيقياً أتاح لها الفرصة، في أن تتطلق إلى العوالم الرحبة، دون ما خوف من ضغوط اللغة، أو وجل من انحراف التعبير لحظة الإبداع.. مما يؤكد على أن الشاعر مفطور بطبعه، على توقد الحس، والانجذاب التلقائي إلى النغم الأسر لحظة تجسيد الصور، وتكثيف المعاني وغيرهما من الأمور التي لا يصير الشعر شعراً بدونها ولقد تعاونت الغربة، والذات المسجية، والمران الطويل.. على أن يجيء الديوان دفعة شعورية كلية... وإن توزعت على قصائد، تتنوع عناوينها وتباين مضامينها، وتتعدد أشكالها، وأحجامها في نهاية المطاف.

إن تعبير الشاعر عن عواطفه الذاتية، يحملنا دون مجاملة على أن نؤكد أن هذا الشاعر - في ديوانه - قد حاول تحديث القصيدة التقليدية وأنه نجح إلى حد بعيد فيما طمح إليه، بفضل استخدامه للبحور التي اتسقت مع تجاربه هو... كمبدع أصيل.. يعرف كيف يجيء البحر الشعري متسقاً مع أبعاده النفسية، وخلجات وجدانه، التي أوحى بها إليه، هاتف الخلق في لحظات التعبير، عن المعاناة الحقة، التي تضغط عليه من جميع الزوايا وحسب الشاعر صدقاً أن يعبر صادقاً - وببساطة - عن معاناة حقيقية لا متكلفة، وأن يكون هذا التعبير، صدى لما يختلج في وجدانه الموار بشتى الأحاسيس والانفعالات، حتى يظل الشعر.. كما كان منذ كان "ديوان العرب" المعبر عن أدق خلجات النفس الإنسانية المتطلعة دائماً إلى الکمال.

وحسبنا أن نردد - في الختام.. مع شاعرنا... ومع كل شاعر صادق:

وإن أعظم بيت أنت قائله بيت.. يقال إذا أنشدته - صدقا

الهامش والإحالات:

- (1) دكتور كمال نشأت مجلة أخبار الأدب المصرية العدد 18 الصادر 1993/11/14م.
- (2) اعتمدت فيما أوردناه بشأن البحور الشعرية على كتاب الدكتور صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي.

خمسون قصيدة حب

عبدالله بن أحمد الشبّاط*

الدكتور شهاب غانم شاعر رقيق ثر العاطفة محب للغزل. منذ زمن طويل كنت أقرأ له بعض القصائد في مجلات ودوريات محلية وخليجية ثم التقيت به في مهرجان الجنادرية أكثر من مرة، وكان آخر لقاء لنا في عام 1424هـ، حيث تفضل بإهدائي نسخة من مجموعته الشعرية آنذاك (خمسون قصيدة حب).

أخذت النسخة مغتبطاً لما أعرفه عن هذا الإنسان الهادئ الرقيق، وقد قرأت له مجموعات مما صدر له سابقاً، وكان بودي أن أحتفل بهذه المجموعة في حينها، لكن ظروف الحياة وكثرة المعروض من المطبوعات تشغل الكاتب حتى عن القراءة المركزة. وفي الأسبوع الماضي كنت أبحث عن شيء بين الكتب، لا أدري ما هو.. فإذا بهذه المجموعة تطل بوجهها مظهرة عنوانها: (خمسون قصيدة حب). لقد شدني عنوانها، فالتقطتها بسرعة وقبضت عليها بقوة خوفاً من أن تتسرب من الذاكرة وتعاد إلى الرف من جديد في غفلة من العقل الباطن. وبعد أن جلست بعض الوقت وأنا أتأمل في غلافها الجميل الذي يغري من يطالعه بمحتوى تلك المجموعة الأنيقة (هو الحب)، وكنت في العادة إذا تناولت الكتاب - أي كتاب - ألقي عليه نظرة عجلية من الآخر ثم الوسط وبعد ذلك المقدمة والمدخل فيما يسمى فوضى القراءة غير المركزة كمن يبحث عن شيء مفقود في كوم من التراب لا يدري ما هو. أما هذه المجموعة فقد ولجتها من بابها الرئيس الموشى بدماء القلب العاشق ثم العبور عن طريق الإهداء:

هل ذكرتم بالأمس صبا صيباً؟

لم أزل ذلك الذي تذكرونه

* شاعر وناقد مصري. ولد سنة 1927 وتوفي في 30 أبريل 2014. نشرت في مجلة (الخفجي)، السعودية، يوليو 1994م.

شحبت كل شعلة في كياني
ما عدا شعلَةُ الهوى الميمونة
هي مثل الصهباء تزداد بالعمر
اشتعالا ولفحة وسخونة
ولو سألتُهُ كما سألتُهُ ابنة الحسن عن كلفه الغزل وتدبيج أبيات الغرام لأجاب:
أنا لم أطلب القريض ولكن
حل عندي لما رأيته وحيدا
فهو خل العشاق مذ كان عشق
منذ أن رثل الوجود نشيدا
وهو طوق النجاة في لجة العشق
لمن كاد في الهوى أن يبيدا
والهوى لدى شاعرنا ليس ملاحقة جمال الصورة والشكل والتغزل في العين والقوام
والابتسامة، بل إن للحسن معنى أبعد من الصورة الظاهرة التي قد تبهر:
معاني الهوى عندي سمو ورقة
وصبر على ما خط للمرء في الطرس
وروح بروح تلتقي في تعانق
ونجوى تزف القلب للقلب في همس
وما الحب إلا البذل بالنفس عن رضى
وتضحية عند المكاره والوهس
وللحب والهوى لدى الشاعر أهداف سامية وغايات نبيلة أكثر من عشق الصور الجميلة
التي تتورد فيها الخدود وتميس فيها القدود ويعذب النطق والحركة وتدوي فيه الكلمة
المهموسة لتصل إلى شغاف القلب، وهذا له نوعان من البواعث، باعث جنسي تكون
نهايته الالتقاء على فراش الطهر والنقاء، و باعث عذري قد تمر سنون وسنن، وهو ينمو
إلى أن ينتهي إلى لا شيء:

وللحب ألوان فمنه الهوى الذي
بواعثه جنس ومنه الهوى العذري
ومنه هوى أفلاذ أكبادنا الألي
لهم نبذل الغالي رخيصاً بلا قتر
ومنه هوى أم وأخت ووالد
والأ لما ناحت خناس على صخر
ومنه هوى الأوطان وهو فريضة
يجود لها بالنفس كل فتى حرّ
ومنه هوى فنّ رفيعٍ مُجَنِّحٍ
يهز كهزّ الكهرباء إذا تسري
وأجمل أنواع الفنون قصيدة
على رغم حسن الرسم واللحن والنثر
هكذا يرى الشاعر أن أجمل ما يسمى بالفنون الجميلة هو الشعر الذي فاق المقاييس
الجمالية في الرسم والغناء والتصوير لتفوز القصيدة العربية الأصيلّة التي تتساقط أمامها
جميع أنواع الفنون ثم يعود إلى أهم نوع من أنواع الهوى:
فأعظم أنواع الهوى حب ملة
هوى ليس يجدي غيره ساعة الحشر
وكان ما أشار إليه آنفاً لم يقنع محبوبته، فأراد أن يؤكد لها ما أراد الوصول إليه وأن يجمع
تلك الفنون التي أشار إليها تحت مظلة الشعر:
ما الحب؟ إن الحب قيدٌ فُدَّ مِنْ
نورٍ ومن عطرٍ ومن أنغامٍ
تتساعلين عن الهوى فلتنتظري
هذا الشroud بنظرتي وكلامي
ولتلمسي في أحرفي وقصائدي
حباتٍ قلب فاضٍ بالآلام

ويحاول أن يعطي تلك المحبوبة صورة تتفق مع ما في خياله القريب, وهي تنتقل في دلال
بين ألوان الطيف المتتابعة, وهي في كل حركة إنما تتحرك داخل قلبه وعقله وبين
أضلاعه:

فتدلي ما شئت أن تدلي

وتغللي في مهجتي وعظامي

فلأنت بين الغيد سمفونية

ميادة الحركات والأنغام

أو لوحة زيتية ألوانها

تزري بأبرع مبدع رسام

لكن هل لتلك العواطف المشبوبة والأنغام الشجية السارية في الاثنين بين ملاكات الحب
الذي سرى بين الجوانح والعظام, هل لها نهاية؟ وما سبب تلك النهاية, لكنها نهاية
مأساوية:

نهر الهوى جف بالسد المنيع فما

نزر من الماء فوق السد ينبثق

ودفتر الحب أمسى في الهوى مزقا

لكنما فيك تحيا تلکم المزق

لا ينتهي الحب.. لكن حين نخنقه

قد يستحيل إلى حقد فيختنق

والعلاقة بين المحب والمحبوب ليست علاقة نظرة فابتنسامة ولا علاقة جسد بجسد, أو
خاطرة تمر بالشاعر فينطق بآيات الهوى.. بل هي أكبر من ذلك بكثير:

منذ أن أصبحت جزءاً من حياتي

أصبح الجزء هو الكل

فقد أصبحت ذاتي

لا تخالي أنني أهذي بإحدى شطحاتي

ربما كنا بجسمين وما بينهما الأيام

تجتاج ببحر وفلاة
ربما كنت أنا مخشوش الوجه
وتزهو فيك أحلى القسمات
إنما أنت هنا.. في داخلي
في خفقات القلب
في نبض الشرايين
في الأنفاس تجري في لهاتي
فأنا أنت!
فقد أصبحت مسكونا بهذا السحر
سكنى الشعر بيتَ الكلمات
ولعل القارئ يتساءل: لماذا هذا التهويل والإصرار على إعطاء تلك العلاقة صورة تختلف
عن المؤلف عن لواعج مجنون ليلي؟ يجيب الشاعر:
وقعت في الحب.. لم يخطر على خلدي
يوماً بأن فؤادي في الهوى يقعُ
أيام كنت غريباً كان بي نزق
وكان بالغانيات الصيد لي ولعُ
إذا وصلن تغنى الشعر منتشيا
فإن تمنعنَ كان الشعر يمتنعُ
لكنه الحب.. شيء جدُّ مختلفٌ
في الوصل والمنع نهر الشعر يندفعُ
كل الذين لهوا بالحب قد ولهوا
وكل من فتحوا دولاته خضعوا
هل كان قيس قبيل الحب منخبلا
وهل بغير الهوى العشاق قد صرعوا

في ديوان "هو الحب" بوح رقيق يرشف رحيق الجمال

جاك صبري شماس*

يخلق الشاعر شهاب غانم في فضاء الإبداع وهو يقطف وردة من هنا، ويستنشق أريجاً من هناك، ويرشف رحيق الجمال الساحر، فالشاعر يوظف مفرداته توظيفاً رائعاً حين يتحول النص الشعري إلى لوحة جذابة تتراقص فيها الألوان الفنية بتناغم وانسجام، وفي ذلك دلالة على الخبرة والتجربة والمطالعة الثرية.

غير أن الشاعر كغيره من الشعراء أسلم حياته لأثنى ورأى في الموت لذة، الموت في العيون الأسيرة والانقياد لها مهما كلف الأمر، وهذه الظاهرة معروفة في تراثنا العربي، ومهما أوتي الفارس من قوة ورباطة جأش وكبرياء فإنه حين يلج محراب الحب تتبدل هذه الصفات أو لنقل تنهزم هذه السمات ونلمس ذلك في قول الشاعر شهاب في قصيدته "عيناك":

فيا حلوة العينين لا تظلمي فتى

بعينيك سكران وليس يفيقُ

رأى الموت في عينيك عذبا مذاقه

فمن أي عين تأمرين يذوقُ

حنانيك في عينيك أحيا محلقا

ولكنني في مقتلتيك غريقُ

وما من شاعر عربي أعطى للحب تعريفاً شاملاً في قصائده كما أعطاه الشاعر الإماراتي الدكتور شهاب غانم، وهنا نجد بعد الرؤية وعمق الملاحظة واتساع الخبرة وثراء التجربة؛ فالحب طاهر مقدس وهو أسمى درجات الحب، وهو أيضاً تضحية وبذل ونكران للذات، وهو الوفاء والصبر فالشاعر - وكما ذكرنا - يتبوأ الصدارة بين الشعراء العرب في هذا الجانب ويسجل له التفرد بذلك كما في قوله في قصيدته "معاني الهوى عندي":

* أديب وكاتب سعودي، ولد في الأحساء سنة 1353هـ. نشرت في صحيفة الجزيرة الثقافية، بتاريخ 9 يوليو 2007م.

وأعظم من حبي لعينيك لهفتي
إلى مَثَلٍ أعلى من الطهر والقدس
وأجمل في قلبي من الحسن شيمة
تجل عن الإدراك بالعين واللمس
معاني الهوى عندي سمو ورقة
وصبر على ما خط للمرء في الطرس
وما الحب إلا البذل بالنفس عن رضى
وتضحية عند المكاره والوهس
يحز بنفسى أن أبيع مودتي
وأعرض غالي القلب بالثمن البخس
ويبدو أن الشاعر شهاب غانم قد تجاوز عمر بن أبي ربيعة في تجاربه الغزلية ويبقى
الجواب له وهو حر في البوح بما لا يباح به لكن مع ذلك تشهد له قصيدته "هو الحب".
ونرى في القصيدة رقة الألفاظ وعذوبة المعاني وتوقد الصورة الفنية الجميلة كما نرى
ونلمس الجانب التأملى الذي يعكس لنا شخصية الشاعر؛ فالحب لديه بحر من المودة
والوفاء والشكران للوطن، للعلم، للفكر وكما قلنا إن الشاعر يسير على منوال عمر بن أبي
ربيعة في النرجسية بقوله:

إذا رُمْتُ ربات القريض لبسن لي

دمقسا وياقوتا وأقبلن في بشر

ومن حق الشاعر أن يعلن صراحة عن موقفه الشخصي، وما من أحد يستطيع أن يصادر
وجهة نظره فيما يرى، وفي ذلك يقدم الشاعر للشباب الشعراء نصيحة على طبق من ذهب
كما أنه بقوله هذا يجسد الغيرة على العروبة وعدم العبث بالتراث العربى بقوله:

درست نتاج الغرب منذ حدائتي

وأشربت من موزون شعر ومن حر

فأدركت أنا في محاكاتها له

نمج هراء لا يمت إلى الشعر

ويعود بنا الشاعر إلى شريط من الذكريات، الذكريات التي تختزنها العقول وتبوح بها الشفاه في عالم صادق نقي لا خبث فيه ولا دهاء ولا رياء، إنه الشعر الوجداني الصادق الذي يذكرنا بشعراء لبنان في مهاجرهم حيث كانت المعاني تجيش بالحب والعذاب وتمور بالشوق والحنين وتكتوي بنيران الغربة. وها هو الشاعر شهاب غانم يرسم لنا لوحة رومانسية مأساوية تتضح من ألوانها مياه العذاب واللوعة والأثين حين يكون الأب بعيداً عن أكباداه عن تراب وطنه وعن أهله ومحبيه وليس من يعزيه في هذه الغربة سوى ابنه "وضاح" مما قلل - إلى حد ما من أثر الشقاء وذلك في قصيدته "من أوراق الغربة":
لعلك لا تدريين كم أتعذبُ

وكيف فؤادي بالبعد يذوب

وكيف اشتياقي للصغار يميّتي

فكيف أرى حيا وليس لهم أب

ألم تقرئي شعري ؟ وكل قصائدي

دموع كموج البحر تأتي وتذهب

فلولا الفتى "وضاح" مصباح غربتي

ولولا صبايا الشعر تملي وأكتب

لكان لنا هذا التغرب محنة

تفوق احتمال المرء والشعر أشيبُ

وفي قصيدته "عواطف وعواصف" يسمو الشاعر، وتسمو به تطلعاته إلى رحاب مقدس هو الوطن الغالي، وإن كان الشاعر مولعاً بالمرأة فهو صادق ولكن العاطفة الوطنية تتغلب على المشاعر الذاتية وهذا ما يؤكد به قوله:

لهفي على وطني ممن يكيد له
وما يخبئ في طياته القدر
لولا هوى في ضلوعي قد بليت به
ما عاش بالجفن في ليل الهوى سهر
وفي قصيدته "استفزاز" لا أدري أمام من نكون فهل نحن أمام شاعر أم رسام؟ نحن مع
البحثري أم مع الفنان العالمي ليوناردو دافينيشي حين يقول:
إنها ألطف من طيف طفا
كلما طاف فلم يلمس طريقة
إنها أنعم من صدرية
من رقيق الخز بالنهد لصيقة
ولديها راحة حانية
لمسها مثل النسيمات الرقيقة
فإذا ما نطقت لشغتها
تملأ القلب بألحان رشيقة
فهي حيناً عندليب صادق
وهي حيناً كالعصافير الطليقة
تنتقل من دوحة الشعر العمودي إلى دوح التفعيلة حيث يطرح الشاعر في قصيدته
"الأمواج" بعداً فلسفياً نبيلاً سامياً يطلب من الإنسان أن يقتنص الفرح والسعادة والبهجة
مهما انقلبت موازين الحياة ومهما كشرت الرياح العاتية عن أنيابها بقوله:
إنها الموجة تأتي
إنها الموجة تذهب
يا حبيبي هكذا الدنيا صروف تتقلب
إن قسا الدهر علينا
لا تبال

ابتسم وانس اغتمامك

ابتسم لي

آه ما أحلى ابتسامك

وإذا كان الشاعر شهاب غانم يؤكد جانباً ما على عدم أهمية وجدوى القصيد فإنه يعارض نفسه لأنه كما هو معروف أن الشعر عبارة عن كتلة من العواطف تفرغها القلوب على سطور الورق أجل ! إن الشاعر شهاب غانم يعارض نفسه والدليل على ذلك قوله:

فلا تقل لوعتي زيف وزخرفة

لا يبدع الشعر إلا من به شعروا

وقوله:

لأنني أدركت أن الشعر لا يفيدُ

وأنني ذبحت مهجتي بالشعر والقصيدُ

وكلما تولد قطعة جديدة أموت من جديدُ

آليت ألا أكتب المزيدُ

وإذا كان الشاعر قد وقع في "الشَّرْك" فلا يستطيع في مثل هذه الحالة أن يصمم آراءه بمعنى أنه يعكس تجربته على الآخرين.

"قبضاً على الجمر": حقائق لا أباطيل

د. غازي مختار ظليمات*

كنا إذا تلقينا الشعر الحديث المغلف بضباب الغموض نتهم أبصارنا وبصائرنا بالسخف، ونرمي عقولنا بالغباء والقصور لعجزها عن حل الألغاز المنبثة في تضاعيف هذا الشعر. وكان أصحاب الحداثة بأدبهم الجم يلتمسون لنا العذر ويهوّنون علينا الخطب لنلا يقتلنا اليأس، فيقولون إنكم لا تحسنون من اللغات غير العربية ولا تتذوقون من الشعر غير الخليل معروف المعاني مألوف الصور مكشوف العواطف. فتركوا الشعر الحديث لذويه ومتذوقيه، وذووه ومتذوقوه أدرى به لأنهم تزلعوا من الثقافة الغربية المضمخة بأساطير اليونان والرومان أما أنتم فلا تعرفون من التاريخ غير حرب البسوس وتغريبة بني هلال فكيف تفهمون شعر اليونان بعقلية عنترية؟ أو كيف تتذوقون الويسكي والمانجو والكافيار بالسنّة لم تتذوق غير اللبن والتمر والهريس؟

لم نكن نملك من السلاح ما ندافع به عن أنفسنا لأننا عاجزون عن مخالفة الفطرة التي فطرنا عليها، والآداب التي تأدبنا بها، والتراث الذي نهلنا منه، فمن يقرأ أيام العرب وسيرة ابن هشام وأمالى القالي لا يقع فيها على عقدة أوديب وسهام كيوييد وصخرة سيزيف وشعر شمشون، فأنى له أن يحيط بشعر أدونيس؟

لبثنا دهرًا ونحن نتضائل في أطمار الجهل ونمضغ شوك التخلف ونكابد ألم الخزي ونبتلع الامتعاض ولا نجرؤ على الاعتراض، حتى قبض الله لنا أن نظفر بشاعر درس في الغرب، وأتقن اللغتين العربية والإنجليزية وارنقى فيهما مرتقى لا يبلغ أخصه أدياء الحداثة ودعاتها، وهو الدكتور شهاب غانم الذي درس علوم الإنجليز وآدابهم في (برمنجهام) وترجم الشعر الإنجليزي ونظمه بلغة أهله، لجأنا إلى هذا الشاعر نستفتيه، لعله يدلنا على مكامن الداء في أنفسنا، فبأي شيء أفتى؟

أفتى، وضمن إحدى قصائده فتواه، فقال:

* شاعر سوري من مواليد الحسكة عام 1947م.

شعر الخرابيط إني جئت أعترفُ
بأنني بقصور الفهم أتصفُ
قالوا هو الوعي باللاوعي مختلط
ولا أرى غير خلط ماله طرف
يقلدون كلام الغرب في شغف
بكل تقليعة للغرب قد شغفوا

في فتواه ما يسرك ويسرني وما يسوء أهل الحادثة. أما ما يسرنا فاعتراف الشاعر الذي خالط الإنجليز وعایشهم سنوات بما اعترفنا به من قبل، إذ أقر بعجزه عن فهم الرموز والغموض، فجاء إقراره تعزية لنا وتسلية. لكنه كان أجراً منا وأصرح حينما سمى هذا النمط من القول (شعر الخرابيط). فما أصل لفظة الخرابيط وما معناها؟ اللفظة منحوتة نحتاً عربياً صحيحاً فصيحاً من كلمتين صحيحتين هما: الخرب والخبط. أما الخرب فالتدمير والتكسير، وأما الخبط فسير الناقة العشواء على غير هدى.

وتأويل التسمية لا يحتاج إلى مفسر يفسرها أو ناقد يضربها على المحك. لأن الشاعر فسرهما في البيت الثاني أحسن تفسير. فالخرب هو الوعي الذي وجه معول الحادثة على نحو مقصود إلى تخريب الأصول والقواعد الراسخة التي شُمخ فوقها بناء الشعر العربي طوال بضعة عشر قرناً. والخبط هو اللاوعي الذي نجم عنه تشويه غير مقصود وإيغال غير متعمد في كهوف الرموز والأساطير. وإذا كان مصدر الأول ضيق الحداثيين بالتراث العربي وكيدهم المبيّت، فإن مصدر الثاني كما ينص البيت الثالث هو عشقهم كل بدعة غريبة مستحدثة (تقليعة) وشغفهم بالمحاكاة والاحتذاء. ولو أفضى بهم احتذاؤهم إلى أن يصبحوا ساقية منساقية في ركاب الغرب.

وأشوأ ما احتذته هذه الساقية المنساقية اتخاذها الأساطير اليونانية والرومانية مصدراً أساسياً من مصادر التفكير. وحجتها فيما اتخذت أن للأسطورة إحياء وتوهجاً تتخلف عنهما صراحة الشعر العربي وواقعته وطريقته المباشرة في التعبير. وأنها تفتح أمام القاري أفقاً

خيالياً يرقى به إلى عالم ساحر مسحور، فيعيش الفكر البشري في مراحلہ البدائية قبل أن تخضعه الأديان السماوية للحلال والحرام والشهادة والغيب والجنة والنار والدنيا والآخرة والثواب والعقاب.

وللرد على هذه الدعوى تستطيع أن تقول: إن في التراث الإسلامي من عالم الغيب الرباني ما يغني عن الباطل اليوناني، وإن أبا العلاء المعري كان قد أفاد من هذا العالم حينما تصور الجنة والنار وصورهما تصويراً حياً في رسالة الغفران، وأننا نستطيع اليوم أن نقبس من عالم الملائكة والشياطين، ومن وقائع التاريخ وقصص الأنبياء ما نعتقد أنه حق اليقين، وأنه متوج بهالة من القدسية التي تميل إليها القلوب عن الوثنية التي تنفر منها أشد النفور.

ومن الأدلة التطبيقية التي نسوقها بين يدي القارئ النظرة الدينية التي نظرها الدكتور شهاب غانم إلى جهاد الأفغان وإيمانه بأن المجاهدين كانوا يمثلون جند الله وبنيناه المرصوص، ولذلك أقدرهم على قهر الشيطان الأحمر وتمزيق مملكته:

يا من مزقتم مملكة الشيطان

ووقفتم صفا مرصوفا كالبنيان

فتجندل تحت حذائهم العملاق الأحمر

قد يقول أصحاب الحادثة: هذا الكلام أقرب إلى الأسلوب المباشر في التعبير. فنقول: نحن العرب نحيا اليوم مرحلة تاريخية صعبة، تكتنفها الأخطار من كل جانب، وتهب عليها رياح التغريب هبوبا عاصفا، لا يبقي جذرا في تراب، ولا غصنا موصولا بجزل، ولا ثمرة تستقي من عرق. وهذه الرياح تريد علانية أن تقتلعنا من مغارسنا لتلقينا هشيما يبسا تتقاذفه الآفاق. فلا بد من أن نرسي جذورنا في التراب، وأن نتعلق بالأعراق الضاربة في الأعماق.

وإذا كان زهدنا في أساطير الإغريق سيحرمنا من مصدر نستلهم منه بعض الصور والمعاني فهذه الخسارة لا تعدل الخسارة التي تتجم عن استسلامنا للعواصف القواصف. فالحفاظ على وجود ناقص خير من العدم والفناء المطلق. وإيثار الاستقرار والاستمرار

أحب إلينا من القلق المروع الذي يراد لنا أن نغرسه في عقول الناشئة، والتعلق بالتاريخ
أسلم من الانخلاع من الأصول، والضياع مع الفلول. وكأني بالدكتور شهاب غانم نحا
هذا النحو بعد أن قارن الخسارة بالريح فانتبذ أباطيل الأساطير واستلهم معانيه وصوره من
حقائق الدين، إذ استوحى من سورة الفيل وغزو أبرهة ورجم الطير الأبابيل ما يغنيه عن
أساطير الأوروبيين، فقال في تمجيد حجارة الجيل الناشئ من أطفال فلسطين:

كأن أحجاره السجيل قد عصفت

بجند أبرهة لما غزا الحرما

أحجاره من ثرى أجداده انتفضت

كيما تكون له جندا إذا هجما

ودعا في قصيدة أخرى إلى الحفاظ على هذه الثورة العفوية المتفجرة، إذ وجدها أعظم
ظاهرة وأنبى حركة، وأشرف نضال في تاريخنا الحديث فقال:

آن للمارد أن يخرج من قمقمه من بعد دهر

آه ما أروع أن تستمري

فاستمري .. واستمري .. واستمري

أنت مهما صيغ في سحرك من شعر كُدر

سوف تبقيين مدى تاريخنا أروع من أروع شعر

هكذا فليكن التجديد. ليكن بعثاً للحقائق المقدسة في غلائل حضارية، وعرضاً لها بصور
فنية، لا تقديراً للأساطير ولا تضليلاً بالأباطيل.

قبضاً على الجمر وفصل في مسرح اللامعقول

د. حسن فتح الباب*

قبضاً على الجمر

ينثال الفيض الشعري من معظم البلدان العربية حزناً على ما حاق بعاصمة جمهورية البوسنة والهرسك ومدنها الأخرى من ويلات صبتها على أهلها الوادعين الطغاة الصربيون، فمن نجا من نيران الأسلحة التي تحصدهم حصداً وقع صريع الجوع والبرد القارس تحت الحصار. وتبدو فظاعة العدوان الصربي إذا علمنا أن عدد سكان سراييفو وحدها 380 ألف نسمة حوصروا منذ شهر أبريل 1993 ومنع المعتدون عنهم إدخال الغذاء الذي يقتاتون به والسلام الذي يصد به الشباب المحاصرون العدوان، مما جعل البوسنيين يتعرضون للإبادة تحت وابل من القصف الأعمى للمدافع والدبابات والطائرات وتحت سيف المجاعة المسلط عليهم بعد أن طال تطويقهم، وأهوال اختراق الغابات والدروب الوعرة لمن استطاع من النساء والصغار الفرار.

لم يُقدِّم شاعر عربي واحد بل ولا سياسي عربي على السفر إلى هذا الموطن الإسلامي الذي تجري على أرضه تلك الحرب غير المتكافئة ليعبر عن تضامنه ولو مع أهله إنسانياً أو دينياً لما في ذلك من تضحية قد تبلغ الموت، فكان أضعف الإيمان أن يعبر الشعراء العرب المعاصرون عن وقع المأساة والملحمة في نفوسهم، وأن يكون تعبيرهم فرض كفاية - إذا استعملنا مصطلح الفقهاء - بأن ينوبوا عن شعوبهم في دعوة الحاكمين إلى مناصرة أصحاب الحق والأرض في البوسنة، وفي استنفارهم إلى الجهاد بمختلف أنواعه في سبيل انقاذ إخوتهم المحاصرين بالموت من كل الجهات.

ومن هؤلاء الشعراء الدكتور شهاب غانم في ديوانه الصادر بالإمارات العربية المتحدة بعنوان إحدى القصائد التي يتضمنها وهو (قبضاً على الجمر)، وهي قصيدة حماسية

* شاعر وناقد سوري، ولد في حمص عام 1935م. نشرت في صحيفة (البيان)، 1993م.

تحريضية صيغت في قالب الكلاسيكي وإن كان الشاعر يكتب الشعر الحر أيضاً. ولاشك أنه اختار هذا القالب لما رآه من قدرته على استقطاب جمهور أكبر من القراء أو المتلقين عامة ممن نشأوا على تذوق النغم التقليدي ذي الجرس الرنان الذي ألفتة الأذان والبنية الخطابية التراثية. ومن ثم استهل شهاب غانم قصيدته بمخاطبة الإسلام، تلك الصيغة لم تنهجها القصائد الأخرى المستوحاة من مأساة البوسنة وإن حامت حول المعاني نفسها، صادراً في ذلك عن حس صادق عميق. فلولا إيمان الشعب البلقاني المسلم بدينه لما نَقَمَ عليه الصربيون وتكالبوا مع حلفائهم سراً أو جهراً لمحو دولة البوسنة من الخريطة الأوروبية. فالصراع بين الإسلام وأعدائه متصلة حلقاته منذ أشرقت رسالته، ولكن التاريخ يثبت أن كيد أعدائه سوف يرد في نحورهم لتبقى راية الإسلام ما بقيت الحياة على الأرض:

سماؤك مهما خطّطوا وتأمروا
ستعلو بها عبر الدهور المنائرُ
سماؤك يا دين الهدى رغم كيدهم
سيغمرها نور من الله باهرُ
سماؤك في ليل الوجود وأهله
بها البدر يزهو والنجوم الزواهرُ
سماؤك ما فوق الرسائل كلها
ولا فكر إلا عن سمائك قاصرُ
وعندك في القرآن في كل آية
دليل وإعجاز مدى الدهر سافرُ
ولكنه الحقد القديم ينوبهم
فتعمى قلوب عندهم وبصائرُ
فمنذ رسول الله تغلي صدورهم
وما زال يزداد اللظى والتأمرُ

ففي كل ركن من ربوعك فتنة

ومن خلفها في الظل يقبع كافر

وما يلبث الشاعر أن يهبط إلى أرض الواقع المخضب بالدم بعد أن حلق في الآفاق، فإذا هو يأسى لما أصاب المسلمين من فرقة وتناحر فضاخوا بعد أن ضيعوا دينهم، ويذكر الصراعات الدموية الداخلية في الصومال وأفغانستان ومن قبلهما لبنان لينتهي إلى الحرب الظالمة التي يشنها الصرب على البوسنة والهرسك في غيبة الضمير الإنساني وصمت ذوي القرى في العقيدة:

وتلك سرايفو تئن جريحة

وتفجعها في كل يوم مجازر

يذبح فيها المسلمون كأنهم

نعاج وخرفان ويلتذ ناحر

وكم يعبث الصرب الغلاظ كأنهم

"هلاكو" وما في الكون ناهٍ وزاجر

وبعد تلك الصور الدامية للجرائم التي ارتكبتها الصرب الذين يدرهم جهاز المخابرات الصهيوني (الموساد) ويدخرون أموالهم في المصارف الإسرائيلية، ينعى الشاعر على الغربيين موقفهم المخزي ويسخر بما أسموه النظام العالمي الجديد، ويرى أن هذا النظام ينطوي على كيد للإسلام وأهله، فلا ينبغي في عقيدة أصحابه أن تقوم دولة إسلامية في أوروبا. ثم يعود الشاعر إلى وصف ما اقترفه الصربيون من مذابح مروعة:

أعادوا من النازي جميع جنونه

ويدرك ذاك الغرب لكن يُداور

فأيُّ نظامٍ عالميٍّ أتى به

وليس جديد فيه إلا المناكر

وحقّق على الإسلام أكثر خسة
فمن صحوة الإسلام أمسى يحاذرُ
أفي قلب أوروبا ستترك دولة
أذان بها يشدو وتدعو منابرُ
لقد نُصّرت أطفالُ دينِ محمدٍ
وليس لهم من حومة الدين ناصرُ
وكم بَقروا يا قوم بطناً لحاملٍ
وكم هتكت في كل ركن حرائرُ

إذا كانت لغة النثر الصحفي قد غلبت على الأبيات السابقة، فخبث شعلتها، فإن الأبيات التالية أرفع مستوى فنياً بفضل استعمال أسلوب الاستفهام والطباق والتجديد باستعمال (في دجى العار) بدلاً من (في دجى الليل) وقد ختمت بدعوة سراييفو إلى الصمود في المحنة التي فرضت عليها من العدو والصدیق، فالمجد للمناضلين والشهداء، وإن غداً لناظره قريب:

فأين صلاح الدين بل أين خالدٌ
وأين سيوفُ الله أين البواترُ
لقد سمق البنیان فینا وقد هوت
محطمة نخواتنا والضمايرُ
ولم يبق من كل المروءات عندنا
سوى ما يغني في دجى العار شاعرُ
سُيُسال يوم الدين كلُّ مقصّرٍ
ويسأل رعديدٌ ويسأل خائرُ
فصبرا سراييفو وقد أطبق الدجى
فحتماً له في مطلع الفجر آخرُ

وصبراً سرايفو فهل دام عندكم
للنين أوثن ودامت عساكرُ
وصبراً سرايفو فكم قد تحطمت
على صخرة الإسلام قَدْماً خناجرُ
وصبراً سرايفو على الجمر والظى
فدوما على العادي تدور الدوائرُ
وصبراً سرايفو فرغم أنوفهم
سماؤك لن تنهار فيها المنائرُ

فصل من مسرح اللامعقول:

إذا كان الشاعر شهاب غانم قد أشار عبراً إلى الصومال حين ذكر مقديشو وهو يصور هموم الأمة الإسلامية في كثير من بقاع العالم، فإنه قد خص المأساة الصومالية بقصيدة بعنوان (فصل من مسرح اللامعقول)، وهي تمتاز على قصيدة (قبضاً على الجمر) بالنبرة التهامية التي تشيع فيها، مما يخلع عليها سمة الجدة، ويجعلها قصيدة تبطنها السخرية أكثر مما هي بكائية. ولما كان الشاعر قد صاغها بأسلوب الشعر الحر فقد خلت من الألفاظ والتراكيب والنوع التقلدية التي نعرفها في كثير من الشعر العمودي، وجاءت عصرية في مفرداتها ونسيجها وإيقاعها لا تحتاج من المتلقي إلى إعمال فكر ولا تبهره الصور مركبة. وعلى الرغم من اقترابها إلى حد التغلغل في العبارة النثرية فإنها تعكس الشعور العام بأحداث المجاعة الفاجعة في الصومال تلك الأرض المنسية كما وصفها الشاعر من المولعين بترديد الشعارات الحضارة الأوروبية وحقوق الإنسان بل من جامعة الدول العربية التي تنتظم الصومال في عضويتها.

ولا شك في أن شهاب غانم قد التقط خيوط قصيدته من الصور الفوتوغرافية التي تبثها وكالات الإعلام والصحافة ليل نهار، ومنها صورة طفل صومالي أو سوداني لا يتجاوز السابعة أو الثامنة من العمر، وقد جف لحمه وبرزت عظامه وانكفأ على وجهه في منطقة مجدبة قاحلة، وعلى مقربة منه وقف طائر جارح لعله أحد النسور الإفريقية الضخمة،

ينتظر في صبر شديد أن يسلم الطفل روحه لكي ينقض عليه فينهش ما تبقى من لحمه. وتتكرر هذه الصورة المفزعة في آلاف بل ملايين من الأطفال والنساء والرجال الأحياء الموتى بعد أن حاصرتهم المجاعة المستشرية في الصومال وفي جنوب السودان، وحولتهم إلى أشباح من هياكل عظمية سوف تسلم آخر أنفاسها بعد لحظة وأخرى ضحية لحرب أهلية مشؤومة تدور منذ سنوات وتمولها الدول الأجنبية وبعثات التبشير وعصابات المرتزقة من تجار السلاح والمغامرين، وكأن الطبيعة قد أعانت هؤلاء الأفاقين الدوليين على جرائمهم بما أحدثته من ظواهر الجفاف والتصحر التي قضت -في ظل انعدام الأيدي العاملة بسبب الاضطرابات الدموية- على مناطق الرعي والزراعة.

من هذه الصور المأساوية نسج الشاعر شهاب غانم رؤية تشبه الأسطورة وإن كانت تماهي الواقع المشهود وتقضح الزعامات القبلية المهترئة في الصومال، إذ تتسابق إلى سفك دماء الرعايا الذين لا حول لهم ولا طول، ولا يعيرون أذنأ إلى بكاء ضحايا المجاعة التي نجمت عن اقتتالهم ما داموا هم بمنجى عنها أحياء يطعمون ما ترسله وكالة الغوث الدولية من زاد للجوعى المقهورين:

يخرج غول الجوع من الأطلال

يلتهم خدود الأطفال

يلتهم صدور الناس يميناً وشمالاً

في أرض الصومال

ينقرض الأطفال

ينقرض الشعب نساء ورجالا

في وطن الأهوال

لا يفلت من مقلب غول الجوع سوى الأبطال

فرسان مآسي القبليّة

ونجوم الحرب الأهلية

فأولئك في أحلك أيام الأزمة

يلتهمون الأطعمة الدسمة

حتى الإنجادات الدولية

تنهبها الأيدي الهمجية

ولما كانت الصومال دولة عربية إسلامية فإن الشاعر يخص سخريته الهجائية أقطاب
الدول العربية مقدماً صوراً أخرى للمأساة مستدعياً الذكرى المحزنة لحرب داحس والغبراء
للدلالة على تشرذم هذه الدول في الآونة الحاضرة مما أعجزهم عن نجدة الشعب البائس
الذي يتضور جوعاً وبنو عمومته ينقلبون في رعد العيش أو يشغلون عنه بصراعاتهم
والعدو يتربص بهم ويستبيح ديار إخوانهم في أفريقيا وآسيا وهم على ما يفعلون غير
نادمين. كيف يعرف الندم من تبدل إحساسه أو هم يشقشقون في إذاعاتهم وتصريحاتهم
بأنهم سيخفون إن عاجلاً أو آجلاً إلى نجدة المظلومين:

في هذي الأرض المنسيّة

من أوطان العرب الأقحاح

ينقلب الناس إلى أشباح

وهياكل عظم بشريّة

تكاد تسير بلا أرواح

تترنح حتى تسقط ملويّة

وحواليها صبح مساء

تتأجج داحس والغبراء

وتقول وكالات الأنباء:

"في شهر أو شهرين

سيُبيد الجوع حوالي مليونين"

وتظل الأمم المتحدة

تدرس.. تدرس... متتدة

والجامعة العربية؟

دعنا من موضوع الجامعة العربية

والشاعر الدكتور شهاب غانم يكتب بعض هذه الأفكار شعرا بأسلوب ساخر شديد المرارة أيضاً لنفض العالم كله يديه عن المأساة مؤثرا السلامة، وكل يعلق مسؤوليته على رقبة الآخر، مبرئاً نفسه من إثم الجريمة، غاسلا كفيه من دماء القتلى الأبرياء وهي تقطر من عنقه الضخم وأوداجه المنتفخة خيلاء ومرحاً. ويدين الشاعر الدول الغربية التي جعلت من نفسها جهازاً شرطياً للعالم بالتعصب ضد الإسلام إرثاً من قدامى الصليبيين، ومشايعة الصرب سرا بالصمت أو التآمر أو الإمداد بالسلام:

والدول العظمى الشرطية

لا يحزنها جداً أن ينقص من عالمنا الثالث مليونان

وخصوصاً إن كانوا من ذاك الدين أو اللون أو الجنسية

ويومئ شهاب غانم إلى المعيار المزدوج الذي تطبقه الدول الكبرى في القضايا المثارة في العالم انطلاقاً من مبدئها البرجماتي الميكافيلي وهو تحقيق مصالحها بغض النظر عن المبادئ التي تعلنها. ثم يدين في الختام قادة الصومال -عوداً على بدء- حتى تنتهي القصيدة نهاية درامية ساخرة توحى بالأحداث:

وعلى كل فالدولة ليست نفطية

وعلى المسرح بين الأطلال

بين خرائب مقديشو

بين الزعماء الأبطال

كلُّ مطلبه كرسى بل عرش

وغداً قد لا يعدو مطلبه بضعة أسمال

في أرض لم يبق عليها عرش أو حتى نعش

هل يصنع عرش من أشلاء الأطفال؟

الروح المقاتلة في ديوان "قبضاً على الجمر"

فضل النقيب*

تحت السحنة الهادئة للشاعر شهاب غانم ووراء الصوت المطمئن يكمن مقاتل عنيد بالشعر وبالموقف يرصد الانكسارات خارجة ولكنه يرفض أن ينكسر في داخله، أو يساير أو حتى يقف على الحياد، وبغض النظر عن تنوع الرؤى وتعدد وجهات النظر، واختلاف الرأي الذي لا يفسد للود قضية فإن هذا النموذج الذي يمثله شهاب مطلوب وبإلحاح في بيئتنا الثقافية.

لماذا؟ لأن الهجمة الثقافية الغربية أوجدت تشوهاً خطيراً في البنية الثقافية العربية، وأفرزت على السطح قطاعاً مثقفاً واسعاً، لم يعد يردُّ يناييعها للاطلاع والمعرفة، ليعود إلى يناييعه ويستصفي إنما يظل يتسكع حول واجهاتها البراقة، وهو خالي الوفاض، مفلس الجيوب، ثم يبلغ به شدة الوله أن يدّعي الامتلاك، دون وثائق ملكية، أو حتى أوراق هوية مشروعة بعد ذلك ينتكر ليناييعه الأولى مدعياً أنها أحافير، جفت مياه الحياة فيها.

أعود إلى الصديق شهاب غانم الذي أصدر مؤخراً ديوانه السادس (قبضاً على الجمر) وأهداني نسخة منه فوجدت فيه الروح المقاتلة التي أشرت إليها في بداية العمود، والتي تتغلغل في أكثر قصائد الديوان، رفضاً للساند المهين، وإعلاء للمثال المرجو، كما وجدت فيه رفض الانصياع الأدبي والفني لموجة الشكلائية التي جعلت الشعر طلاسماً، واللغة أحاجي، والمعاني رجماً بالغيب.

الديوان تأكيد واعٍ، على التواصل الحميم بين الشاعر والجمهور، وبين اللغة والعقل، وبين العقل والعاطفة في زمن العجائب:

يا صاحبي لا تدهشَنَّك ما تشاهدُ من غرائبُ

* نشرت في كتاب: المقاومة والبطولة في الشعر العربي، كتاب الرياض، العدد (57/56) - أغسطس - سبتمبر 1998م.

إذ أنت تحيا يا أخي المسكين في زمن العجائب
زمن البلاهة والتفاهة والسفاهة والثعالب
زمن الجنون بكل أشكال وألوان وقالب
فاضحك لأنك لو بكيت لما قدرت على المصائب
لقد خصص الشاعر جزءاً من ديوانه ألقى من خلاله نظرة طائر مُحلّق على الأوضاع
المأساوية للعالمين العربي والإسلامي، من موقع الجزع والإشفاق والسخط على اهتراء
الروح التي ملأت الدنيا حضارة ذات يوم، ولكنه لم يرفع راية اليأس أبداً.
وفي الديوان عرائس من شعر الطبيعة افتقدناها في شعرنا كثيراً وفيه إخوانيات حميمة،
وعواطف ملتهبة.. لا يسمح الحيز المحدود بتفصيلها.
القصيدة عند شهاب غانم لا تؤخذ غالباً، ولا تغتصب اغتصاباً، إنما هي عفو الخاطر،
هيئةً ليئة، تبدأ لمسة ثم تتصاعد دون افتعال، كأنها جس يد ماهرة، لا تلبث أن تكتشف
مكمن الداء، حيث ينبغي أن يعمل المشروط، وعلى هذا المنوال يستفيد الشاعر من ثقافته،
يوظف الشخصوس التاريخية، والرموز الثقافية، من غير تمحك أو قسر كما في قصيدته
(موسم الحجارة):
إلا أنه الطرف
قد ناء بالحرف
والصدر
قد ضاق بالقهر
يا ليته كامريء القيس بكر يرتشف الفجر
والطير لم تبرح الوكر
يا ليته مثل (طرفة) إذ أبعدته القبيلة مذ خالف الأمر
يا ليته مثل نابغة الشعر
قد راح يضرب في القفر
يا ليته مثل عنتره خب يضرب بالفتكة البكر

يشفي الصدور التي صدع الحقد بالبتز
يا ليتة كان يعرق في الكرّ والفز
فالطرف قد ناء بالسطر
ما عاد في زمن القهر
خير رفيق كتاب
ولكنه قطعة من حجر
تصوبها نحو وجه التتر
بكف تدق مضرجة ألف سور وباب
ومثلما أشرت فإن ما بين شهاب وبين ما يسميه شعر (الخرابيط) هو معركة كسر عظم،
كأنما مصداقاً لقول المتنبي:
أريك الرضا لو أخفت النفس خافياً
وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً

وقطعاً هو لا يعمم على شعر التفعيلة، لأنه في جانب من شعره شاعر محدث، ولأنه
بثقافته العريضة ولغته الإنجليزية العالية التي تمكنه من ترجمة الأشعار العربية إليها، لا
يجد حرجاً في أن يكون هو ذاته، وألا يرتجف أمام الثقافة الوافدة شأن أولئك الذين لا
يعرفونها في مظانها، وإنما يتخطفونها نتفاً من هنا وهناك، باختصار هو يشعر بطمأنينة
معرفية، حمته من اندفاعات هوس "الموضة" وجعلته يحارب من موقع الثقة لا من موقع
الخوف والحذر، وهو يحشد ولكن ضمن دولة الأدب، أنصاراً مثل صديقه الشاعر حمد
خليفة بوشهاب الذي يخاطبه بالقول:

أخي (حمد) والشهب تجمع بيننا
ويجمعنا شعر نظمناه أنجما
عرفت من الأقطار خمسين دولة
وزرت زواياها لكي أتعلما

وذقت ثقافات الشعوب بمهجة
مفتحة للعلم في جوفها ظما
فأدركت أنا قد بلينا بصيبة
بذوقهم داء وفي قلبهم عمى
هم قزم بالنسخ يبغي تعملاً
فما ازداد بالتقليد إلا تقزماً
وللألم من ديوان شهاب الموسوم (قبضاً على الجمر) نصيب وافر، وهو من ذلك النوع
الذي يكوي الروح، أي إنه الألم الكبير المتأمل في المصائر المتلاشية، وفي انقضا
الإنسان على سعادة أخيه وحقوقه دون رادع أو ضمير، وفي رحيل العمر دون أن يعلو
مجد الإنسان الذي فضله الله على العالمين:
ماذا يريد فارس قديم/ على حصان أشهب سقيم/ قد بلغ الخريف/ ولا رفيق غير نصف
سيف../ صارمه مثلوم/ من غزو أرض الروم../ يا ليت هذا (الدون كيشوت)/../ يرتاح
بعض يوم/ قبيل أن يموت.

الفطرة البيضاء في ديوان "قبضاً على الجمر"

مصطفى أحمد النجار*

تصح في شعر شهاب غانم مقولة: شعر أو لا شعر، ليس في ديوان واحد من أعماله فحسب، وإنما في مجملها، حيث تتبدى ملامح شعرية بارزة سواء في النمط العربي المعروف أو في النمط التفعيلي، وفي مقدمتها الموسيقى وما تعلنه للمتلقى في حالات الحب والغضب، فتثير في قرارة النفس مشاعر التعاطف بغض النظر عن لعبة الأشكال. فمثلاً يتعاطف مع ديوانه (هو الحب) يتعاطف مع ديوانه (سهيل وترتيل) لقدرة الشاعر على توصيل موضوعات: الحب والحرب والدين. وها هو في ديوانه السادس (قبضاً على الجمر) تتأصل المقولة الأنفة الذكر أكثر فأكثر. فهو يتصف بالصدق الخلقى منه والفني، بعيداً عن تأثيرات التيارات الأيديولوجية التي تتأى بالشعر وبالشاعر عن سواحل الصدق في معظم الأحيان، تلبية لنزعات خارجية، فينحاز إلى شكل دون شكل، قابراً فيها بعض إحساسات أخذت شكلاً دون شكل ليلبي ما يمليه عليه تيار فكري.

وقد اشتمل (قبضاً على الجمر) على خمس وثلاثين قصيدة تنوعت الأغراض فيها واستكمل بهذه القصائد مجموعة أعماله الشعرية الكاملة، فنقرأ في القصائد والمقطوعات ملامح الصدق النفسي والتعبير الحر العضوي، من حيث الطول والقصر، ومن حيث الأغراض ومن حيث الأشكال. وما أحسب الشاعر في هذا الديوان إلا مجسداً الفطرة البيضاء المموسقة، التي تتجاوب مع الأحداث الدائرة حولها في قصائد تحقق شروط التواصل مع المتلقي قراءة وسماعاً، كما تحققت حالة الاندماج مع هذه الأحداث في المحيط العربي والإسلامي.

في (رسالة عاجلة إلى المجاهدين) والشاعر في القصيدة التي حملت هذا العنوان يخاطب المجاهدين في أفغانستان الذين تحولوا إلى متقاتلين:

* شاعر وصحفي يمني (1944-2012م)، كان يعمل في دولة الإمارات، نشرت في عموده الأسبوعي بصحيفة الاتحاد الثقافي.

لا تقتتلوا

هل في خاتمة الملحمة يجن البطل

وتنتحر المثل

كما يخص أطفال الحجارة في فلسطين المحتلة بثلاث قصائد: للصغار والحجارة- موسم الحجارة- خطاب مفتوح إلى ثورة الحجارة، ويفتح ديوان بقصيدة بعنوان (قبضاً على الجمر) يخاطب فيها جرحاً ناخراً جديداً من جراحات المسلمين في العالم المعاصر:

فصبراً سرا ييفو وقد أطبق الدجى

فحتماً له في مطلع الفجر آخرُ

وصبراً سرا ييفو فكم قد تحطمت

على صخرة الإسلام قَدْماً خناجرُ

وصبراً سرا ييفو على الجمر واللظى

فدوماً على العادي تدور الدوائرُ

وصبراً سرا ييفو فرغم أنوفهم

سماؤك لن تنهار فيها المنائرُ

ومثلما نرى ونسمع الشاعر متفائلاً بحتمية انتصار الحق وانتصار المستضعفين نراه شديد التفاؤل في قصيدة مكثفة بعنوان (إشراقة في ليل الغربة) وكانت من أجمل قصائد الديوان حققت شرطها الفني والمضموني بنجاح بالغ وجاءت على النمط الجديد:

لقد كنت وحدي

وما كنت وحدي!

معي الله قد كان في كل لحظة بعدِ

لقد كان في كل بؤس يجود علي بسعدِ

ويسعف في كل جزر بمدِ

وقد كان قرآنه العذب يمسح دمعة خدي
ويملؤني بالتحدي
ففي هدأة الليل
أرشف آياته بالتراتيل
أبصر في داخلي خفقات القناديل
أستاف نفحة عود وند
وبين الأضالع ينداح شلال نور وورد
لقد كنت وحدي
وما كنت وحدي!
فقد كان ربي معي كل لحظة بعد
فما يرتضي الله ضيعة عبد

وتقف هذه القصيدة سامقة إلى جانب قصائد كثيرة في هذا الديوان ونخص بالذكر (خواطر
دوحة) فالمقطوعة اتصفت بالوحدة العضوية المتكاملة وبالرمزية الشفيفة الموحية:

يأوي لظالي رجل مرهق
يغمض جفنيه وينام
يستغرق في الأحلام
ينداح على الكون سكون مطلق
ويلف الكون ظلام

يبزغ خيط شفق في المشرق
تأوي الأطيّار إلى أغصاني وتزقزق
وتهب على أوراق الأنسام
يمتزج العطر الفاعم بالأنغام
وجه منتعش يفتح في بطن عينيه

كالبيضة تتشق
تتسل الفرحة من جفنيه
وتمد البسمة أجنحة وتحط على شفثيه

حين تجف بأغصاني الأوراق
ويودعني ظلي الوارف حتى لا يبقى منه باق
يضرب مني الحطّابون الساق
لكني قد أغدو مقعد بستان يحتضن العشاق
أو نافذة يتسرب منها الإشراق
أو تصنع من خشبي الأوراق
فتخط قصائد حب فيها أو بعض رسائل أشواق
أو أمسي في مدفأة حطباً للإحراق
فأبثّ الدفء الدفاق
وأحس بأني حتى في لحظة إعدامي مخلوق خلاق!

وليعذرني القارئ في إثبات سطور القصيدة بكاملها، فأنا كما انحزت إلى مثل هذه القصيدة، انسقت بلا وعي بشوق إلى النهاية، دليل نجاح في هذا النمط الشعري الصادق.

الحدثاء في ديوان "الزمن السريالي"

جاك صبري شماس

الشاعر الإماراتي الكبير شهاب غانم يكتب الشعر باللغتين العربية والإنكليزية، ويترجم عشرات القصائد ليحدث تلاقحاً حضارياً بين الشعوب، حيث يختزل المسافات من خلال الإبداع، ويرفد المكتبة العربية بنتاجاته المتنوعة ليقدم وجبة شهية من الشعر والفكر للمجتمع العربي. والشاعر شهاب غانم في ديوانه (الزمن السريالي) يخلق في فضاء الابتكار والتجديد والتحديث، ويلبس القصيدة العمودية ثوب الحدثاء، ويجعلها مستساغة عذبة مأنوسة في ألفاظها ومعانيها بعيداً عن المفردات المعجمية، وقريبا من الوجد والإحساس المرهف، والذائقة الأدبية المتميزة. وله بصماته المتواجدة في شعر التفعيلة الذي يبتعد عن الغموض والتعقيد والتعجيز، ويدنو إلى شغاف القلب، حيث تصل معاني قصائده إلى وجدان القارئ العربي.

والشاعر في قصيدته (الزمن السريالي) يعري الواقع ويخلع أوراق التوت عن الأجساد العفنة، لتتضح الصورة تماما وتبدو المفارقة العجيبة، حين يسيطر الدهاء والمكر والخبث على الإنسان الضعيف، كما يقدم الشاعر الواقع المتردي كما هو ولكنه لا ينسى بأن يكشف أقمعة الزيف عن الوجوه الحراوية التي تعبت بالقيم، وتشوه الحقائق، وتزيف المعادن وما هذه الصرخة التي تتطلق من وجدانه إلا بطاقة تعريف لشاعر يحمل بين ضلوعه معاناة أراد أن يجسدها بوضوح. وهذه الصرخة الشعرية هي بطاقة الشاعر شهاب غانم التي تتسم بالصفاء والنقاء والمودة، كما أنها تحاول اجتثاث الورم السرطاني المتفشي في النفوس الواهنة، يقول:

اختلط الحابل بالنابل

فالمقتولُ غدا القاتلُ

والسافلُ أمسى العالي

والعالي أمسى السافل

في هذا الزمن السريالي

ويعري الشاعر (الغرب) الذي تحول إلى وحش كاسر لا يقيم وزناً للقيم يفترس من حوله، وهو يتغنى بالحرية الكاذبة، وقد تجلت تلك الصورة الوحشية حيث اقترف الغرب مجازر بحق ألبان كوسوفو تجاوزت شريعة الغاب في عصر يزعم بأنه عصر التحضر والتقدم والتكنولوجيا، يقول في قصيدته (الموت والحضارات):

القبور جماعية في كوسوفو

بينما القرن يوشك أن يلفظ أنفاسه

وتتبلور الرسالة الهادفة التي يطرحها الشاعر، وهذه الرسالة هي أوراق اعتماده التي تتمثل بالنبل والصدق والسمو والإيثار والرفعة، وتكشف هذه الرسالة في قصيدته (الكلمة) عن مكون معدنه ونظرته السامية للحياة التي تليق بمكانة الإنسان والإنسانية في قوله:

حين تصير الكلمة

غالية السعر

يخفت صوت الفكر،

وصوت الشعر

لكن حين تجيء الكلمة

في وسط العنمة حاملة شرف الكلمة

عندئذ تنوهج بالنور

بل بالسحر

وتتداعى الذكريات ويكر شريط الأحاديث، فيسترجع الشاعر بعضاً من ملاعب الشباب والحيوية والنشاط، والشاعر هنا يسير على دروب من سبقوه حين يخط الشيب الرأس، ويتقدم المرء في العمر، ويبقى العزاء للشاعر تلك الذكريات الجميلة في مضارب الغيد، ولذلك تتعكس الصورة. والشاعر يفصح عن ذلك ويعلن الحقيقة التي لا بد منها وذلك في قصيدته (كيف أشدو) فلنقرأ هذا الغناء أو لنسمعه إنه القلق والهم والألم والحسرة يقول:

الصبا والعشق والنغم

أفلتوا مني فأين هم

طمستهم في الدجى الظُّلْمُ

كيف يشدو القلب والقلمُ

وهما يلويهما الألمُ

إن الشاعر شهاب غانم ينتمي إلى أسرة عريقة عرفت بالزهد والتقوى والمحبة، ولذلك كان من الطبيعي أن تبدو غيرته على العروية والإسلام، وهو يتضرع إلى الله تعالى في شهر رمضان المبارك شهر اليمن والخير والبركة، وهو يمني النفس بتحقيق أهدافه السامية النبيلة، وهو يقول في قصيدته (استغراق):

وكنا في الأواخر فيك يا رمضان في العشرِ

وبينما الروح سابحة بأفق عابق العطرِ

رأيت النور ملء العين ملء القلب والصدرِ

سرى في السمع ترتيل لآيات من الذكرِ

فقلت لعل ربَّ العرش يجلي ليلة القدرِ

ما أنبلك أيها الشاعر العظيم وأنت تختلي بضميرك الحي وتطرح أسئلة تدل على خبرتك ونضجك وإيمانك برب الكون وأنت تتشد في ذلك أعذب معاني الطاعة، وتجسد أسمى عبارات الوفاء، وأنت تحت البشر على عمل الخير والمحبة والإخاء وفي ذلك سمات نبيلة يقدرها الخالق ويحفظها لمخلوقة وذلك في قصيدة (لحظة الصفر):

وسننتهي من قبل أن ندري يوما بأسفل حفرة القبر

وستنهبش الديدان أفئدة بالخير كم خفقت وبالشرِّ

أنى؟ وأين؟ وكيف لا ندري لكن ستأتي لحظة الصفر

ماذا ترى أعددت من عمل من أجلها وذخرت للحشر

اللوحه الصراعية في ديوان "الزمن السريالي"

حواس محمد*

الشعر دم الحياة، الشعر روح الإنسان وحيويته، الشعر قصة الألم، لحظة الإبداع، الشعر ماء الديمومة، نعم إنه الشعر ذلك العظيم الذي يفعل مفعوله في الإنسان كالسحر والذي يبيت فيه روح الحياة بعد أن يكاد يستسلم لمرارات الدنيا المزدحمة على أبواب روحه.. وإذا كان الشعر قويا هكذا ومزدحماً ومؤثراً فما بالك بالشاعر الذي ينتج هذا الشعر؟ ينتج من معمله الإبداعي الخاص الذي لا يمتلك أي مواد خام سوى المعاناة والمكابدة والإحساس القوي بالآلام والآمال، بالأفراح والأفراح، هذه المعاناة الني تمتزج بروحه النقية الطاهرة، وتتم بمختبره الإبداعي فتخرج قصائده حية لها يدان، وقدمان، وعينان، تتحرك وترى النور بهما.. ولا أطيل على القارئ، ولكن أين يقف كاتب السطور أمام قامة شعرية كبيرة جداً بحجم ووزن ومقام الشاعر الدكتور شهاب غانم في ديوانه الجديد "الزمن السريالي"؟ .. الحقيقة أن الشاعر غانم استطاع عبر هذا الديوان تلخيص اللوحه الصراعية في العالم المغلفة بشتى الشعارات واللافتات البراقة الفضفاضة بشكل شعري موح ومعبر..

في قصيدته الأولى "الزمن السريالي" والتي أخذت اسم الديوان يشير الشاعر إلى اختلاط الأسود بالأبيض، وتداخل المفاهيم والأفكار، وانقلاب سافلها إلى عاليها، وعاليها سافلها. في زمن يسميه "الزمن السريالي" لغرابته ولاواقعيته، وذلك بسبب أنه في هذا الزمن قد حدث العديد من الوقائع التي كانت تتسم بالظلم والآلام الكبيرة وكمسائل وإجراءات "التطهير العرقي" لشعوب آمنة من قبل طغاة لا تحرك ضمائرهم صرخة طفل أو دمعة تكلى أو تأوهات شيخ كبير طاعن في السن. يقول الشاعر:

تموت بداء التطهير العرقي

بلاد كانت تسترخي تحت خمائل

* شاعر وناقد سوري، ولد في حلب سنة 1943م. نشرت في صحيفة (البيان) بدبي في 2 أكتوبر 1996م

وبلاد كانت ترفع رايات الدين

تموت اليوم لـ "قلب الدين"

و "برهان الدين"

(رحم الله صلاح الدين)

إنه الحنين إلى زمن الماضي, ذلك الماضي الذي كان فيه الحق واضحاً, وكان له مدافعوه, على النقيض من زمننا السريالي الذي اختلط فيه "الحابل بالنابل, وابتلي العالم بالجاهل, وغدا المجنون هو العاقل". ويمكن القول إن الشاعر لم يكن على خطأ عندما وضع عنوان هذه القصيدة عنواناً لديوانه لأنها رائعة في هذا الديوان - بحق - وهي "الملحمة القصيرة جداً" التي نقول "لا" بكل شفافية للزمن المخادع.

وهل ينسى شاعر مثل شهاب غانم مسألة العصر الشائكة المعقدة التي باتت تحير العلماء والمفكرين ألا وهي "العولمة". يتساءل الشاعر:

ما هي العولمة؟

أهي دين جديد؟

كل شيء يلوح جميلاً به - من بعيد -

الانتخابات

و "الجات"

والتقنيات

دائماً للأنام

وحقوق الانام

أهي دين مفيد؟

فلماذا يُسنُّ على الناس بالنار أو بالحديد؟!

وبعد هذا التأمل الذي يتضمن في ثناياه جواباً واضحاً هو التناقض الصارخ بين الأقوال والأفعال, والازدواجية في التوجهات العولمية (ولا نقول المعايير حتى نبتعد قليلاً عن

الأجواء السياسية الرتيبة)، يعالج علاقة الإيديولوجيا بالتكنولوجيا شعرياً والأثر السلبي الذي تتركه الأيديولوجيا في البشر وبخاصة الضعفاء منهم عبر جسر وبوابة وممر التكنولوجيا:

ما هي العولمة؟

أهي رمي "الدشاديش" في سلة المهملات؟

كي يصير من الجينز لبس الفتى ولباس الفتاة

و"الماكدونلدز" أفضل مأكّل

و"الكوكا كولا" الشراب المفضل

وثقافتنا العنف والجنس

من كل شكل وجنس

يهندسها في دهاء شياطين أنس

لغسل عقول الصغار

وغسل عقول الكبار

صباح مساء

وليل نهار

إن الشاعر يعالج العولمة الثقافية بصياغة قصيدة جميلة ومعبرة عبر غسل الأدمغة وضبط إيقاعات اهتماماتها على الآلية النمطية الغربية، والشيء الجميل لدى الشاعر أنه لا يرفض العولمة بشكل مطلق؛ وإنما يقترب منها بشكل حذر، أو بمعنى آخر التلاؤم المحصن والتفاعل الواعي مع العولمة:

فاقترب، إنما في حذر

ها هنا لوحة للخطر

عظمتان مع جمجمة

ما هي العولمة؟

ما هي العولمة؟!

وينتقد الشاعر المثقفين في قصيدته "متقفون" بقوله:

ها هنا فوق المقاعد
كل فرد فيهمُ راح "يجاهد"
وبيرح العالم الثالث من كل المكائد ..
وهو في الكرسيّ قاعد
غائصا بين الوسائد
أي هل مهمة المثقف الكلام فقط والعيش المريح الرغيد أم شيء آخر غير ذلك كله؟
المعاناة ونقد الواقع.
ولا ينسى الشاعر أن يتحفنا في هذا الديوان بصدق عاطفته الإنسانية التي تشاء الظروف
الاجتماعية الصعبة أن تؤثر عليها فتمنعها من تحقيق أسمى كلمة في الحياة هي "الحب"
وليس الحب وحده وإنما الإبداع أيضاً عبر القلم وهما توأمان يصارعان الظروف
الاجتماعية منذ بدء الخليقة وحتى يومنا الراهن والعاشق ما هو سوى مبدع خلاق أبدع في
عشقه، والمبدع ما هو سوى عاشق متيم عشقه إبداعه:
الصبا والعشق والنغمُ
أفلتوا مني فأين همُ؟
طمستهم في الدجى الظلمُ
كيف يشدو القلب والقلمُ
وهما يلويهما الألمُ
لقد استطاع الشاعر عبر لغته البسيطة الواضحة والشفافة التي تحمل معانيها عبر فنية
جميلة رائعة على جذب القارئ إلى شواطئها المتألئة سحراً.

درامية الشعاع.. جمر من الرؤيا.. صراع البنية والأنا والآخر..

الأعماق الصاعدة حتى انطفاء الجمر في القصيدة..

في مجموعة (شموع في ليالي الخريف)

غالية خوجة *

ماذا يعني أن تكون الشموع في ليالي الخريف؟ ولماذا يشعل شاعر السلام شهاب غانم، شموعه في ظلمة فصل الخريف؟ وما الدراما الناتجة عن مجموعته هذه؟ وكيف يكتب تلك اليوميات الشعرية في الحياة؟

لشهاب غانم ميزة اللغة البسيطة التي تتداعى وتبوح بين فلسفة الرومانسية والواقع، وبين الحلم النازح من الأعماق إلى النص الشعري، وفي هذه الميزة، تكمن الطاقة الإبداعية للذات الشاعرة الجانحة نحو المحافظة على الوظيفة التوصيلية للغة إضافة إلى تحريك الوظيفة الدلالية ليكمن المعنى ومعناه، في وحدة النص الكبرى (القصيدة)، المؤلفة من صور وتساؤلات ووصف شعري يهتم بالحدث والوجود والبنية السيكلوجية والسوسيولوجية، ليضع القارئ في هارمونية الأثر الذي يسرد أبعاده، أو يقاطعها، متناغماً مع العناصر والعوامل الأخرى للثيمتين الموضوعية والفنية.

وفي هذه المجموعة (شموع في ليالي الخريف)، يبدأ الشاعر (غانم)، في إشعال شرر درامي حيّز اللاوعي، وتحولاته في الوعي، لينطلق من العتمة التي نجدها في قصيدة (في الظلمة)، بما تحمل هذه المفردة من دلالاتها المباشرة الأولى، للظرف الزماني والمكاني المتسم بالإعتام، ثم ليتحرك نحو الأعماق ومفاهيم (الشیطان) وظلمته التي تحولت من (لا مرئية) إلى (مرئية): (في الماضي كان يجيء بلا جسد، أو شكل أو ألوان، ويوسوس لي)، بعد هذه الجمل الأليفة، يظهر وصف للحالة الديالوجية العنيفة، بين الشاعر ك (أنا) والشیطان ك (هو)، لكن بصيغة (المونولوج) التي تبوح فيها الأنا عن ذلك الصراع الجواني: (لكن في الغالب، كنتُ أغالبُ)، فينتصر (التعوذ) و(الملاك)، وهذا الانتصار للقوة الإلهية هي الرمز الأساسي لضوء الشموع وأشعتها الباطنة في المجموعة، والتي

* أديب سوري.

تنتصر على تداعيات الظلام والطاقة السلبية، حتى لو تجسد الشيطان بصورة إنسان وصار مرئياً كما تتابع القصيدة: (أما الليلة، وأنا أمشي في منطقة منعزلة، جاء بصورة إنسان)، حيث تنشأ محاورة بينهما، المتجسد يصافح الأنا، ويصدر لها الأوامر، فيحيرها: هل هو شيطان أم إنسان؟ إلى أن تحسم أمرها، فلا تستجيب للوقوف، بل تستمر في المشي، وما فعل لمشي المكرر (ومشيئ.. مشيئ.. مشيئ)، إلا تكراراً للحركة الرفضية المنتصرة، وكأنها حركة ثقة، دافعة إلى الأمام، أو الأعلى، تترك إيقاع حركة المشي المتتابعة ثلاثاً، لتختتم القصيدة بتلك الحركة النورانية، وكأن الشاعر بذلك، يشعل الشموع في ليالي الخريف، أو كأنه يؤكد على ضرورة الغوص إلى الأعماق، كما يختزله البيت الشعري الأخير من قصيدة (غيم): (فلا تتحير.. غصْ إلى العمق ربما.. يكون محارُ الدرِّ في أسفل البحر)، وهكذا، تتصاعد من الأعماق والأمواج والغيم والمحار جوهرة (الهيولى)، لتصل إلى (الصورة)، وطبعاً، بالدلالات الصوفية، وهي تغور وتغوص وتشتع، ليتناوب المحار مع الشموع دورة الصراع، فلا يبقى إلا الهيولى، كما لا يبقى إلا الشعر الجوهري الذي يقصده غانم في قصيدته (الشعر) الذي لا يمكن أن يكون شعراً في حالة السكر المادي، أو حالة الموسيقى، أو حالة الثقافات، فقط، بل يصرّ على أنه ليس شكلاً وإنما هو جوهر للروح، يموج بين الأفلاك والذوات، ليظهر الشوائب والجراح والظلمات، وهو شظايا مباحة، مثل الشهب والنيازك، تغربل العتمة وتفرج بالصفاء:

فقل لمن ينظمون الشعر في نصب.. وليس في شعرهم روح وأنفاسُ

وقل لمن هلوسوا بالنثر هلوسة.. جميعكم قد أضاع الوقت يا ناسُ

وهذه القصيدة ترتكز في نغمتها التخاطبية، المتحاورة مع الآخر بصيغة (النحن)، ترتكز على إيقاعية (السين) من باب الوصول إلى الذاكرة لا النسيان. وللقارئ أن يتساءل عن أي إبداع يبحث الشاعر عنه في قصيدته المعنونة (إبداع مراوغ)، ويكتشف كم من المفارقات الكامنة بين الحالة التي تتناوب، والحالة الاستفهامية الحاضرة من خلال الغياب، الموجودة من خلال ائتلاف العناصر الوصفية في الجمل الشعرية، مثل: (أسأل نفسي عن ملمسه، هل هو أملس كالثعبان، أم لزج كالقطران؟)، وتتوالى الأسئلة ببراءة تنم عن حيرة

التوصيف والاكتشاف، لتشعر بالبياض الداخلي للروح وهي تكمل: (أم خشن كالأحجار، أم حارّ مثل النار؟ هل يجرح مثل الأشواك، في الورد أو الأسماك، هل يترجرج مثل الزئبق، أم يتدفق كالماء؟).

وبالتأكيد، لا يغيب عن القارئ المثقف، كيف يتقن غانم توظيف الموروث من الحكمة والسنة والآداب الإنسانية والعلوم، توظيفاً ذكياً، قائماً على إنجاز الأثر الموروث في الجملة، ضمن شبكة من تدوير الملفوظ، فينزع عن ذاكرته لينكتب، ثم ليعود إلى تلك الذاكرة، منجزاً شبكته الدلالية العميقة من المألوفات المتداولة بين الناس، ربما، لتكون إليهم أقرب، وهذا ما تحتفي به قصيدة (عبور) بعنوانها الدال على الحياة، أو الدار الدنيا التي ليست سوى عبور أو مرور أو بوابة، والتي تبدأ إشارياً بدلالات حكيمة مستمدة من حديث شريف: (القابض على دينه كالقابض على جمر): (حين قبضنا، في الكف على الجمر، احترقت أيدينا، فصرخنا، وبكىنا، لكن لم نفلت ذاك الجمر)، وإذا ما عدنا إلى أهمية الفنيات في هذا المقول الشعري، فلا بد أنها تضيء بذاكرة الصورة المستمدة من الحديث، وتالياً، اشتعلت بدلالات الخير والجمال والإصرار على الصبر، من خلال إحياءات (الجمر)، وتحولاته في (البرزخ)، فليس هو النار، وليس هو الرماد، بل الجمر المشتعل، الجمر برنين الرائ، الجمر بالرؤية والرؤيا، وما تتفاعل في شبكيته من إشارات الألف في كلمتي: (أيدينا/ بكينا)، وكأن الألف امتداد آخر ل(نون) النور و(نا) الدالة على الجمع، وهي ارتفاع مع الضوء المعاكس للظلام بكل أبجدياته وحضوراته واندفاعاته نحو الأسافل، لا نحو الأعماق، تلك الأعماق الصاعدة حتى انطفاء الجمر في القصيدة: (فانطفأ الجمر)، وهي، رغم بساطتها الأولى، إلا أنها تتمتع بدلالة تركيبية يدلّ عليها السياق بقوة، فيشير إلى لحظة انتهاء العبور، انتهاء الحياة، أي لحظة الموت، وهي بحد ذاتها لحظة برزخية حرجة، تنفتح بعدها بوابات الماء: (وحين أتينا النهر، عبرنا فوق الجسر، نحو الضفة وهي تنادينا، في آخر ذاك الدهر)، أما القسم الآخر من ضمير الجمع الغائب (هم)، فنجدهم يحترقون بالجمر الذي أطفأه العابرون، ليكملوا انصهارهم مع الماء الذي أصبح ناراً: (أصحاب الجمر، فاحترقوا في النهر). وهذا الاحتراق، يمثل حالة

من حالات القيامة وصراع الشموع مع الليالي، ليكون الخريف حلقة فصلية متبرزة في تلك اللحظة الحرجة، التي ستدفع إمّا إلى الهاوية، وإمّا إلى الأعلى. شعرية شهاب غانم، تعيد إنتاج اللحظة بكافة صعدها، لتكتبها بفنية قريبة من كل قارئ مهما اختلف مستواه الثقافي، ومكانه الجغرافي، وزمانه الذي يحيا فيه، ولذلك هو قريب للترجمة، وقريب للآخر.

ديوان "انعقاد"

قصيدة استثنائية فرادتها في كلاسيكية الشكل وروحانية المضمون

سامح كعوش

يتراءى لنا د. شهاب غانم في قصائد ديوانه "انعقاد" الصادر مؤخراً عن دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة والذي تم توزيعه مع عدد شهر فبراير 2014 من مجلة الرافد، شاعراً يغزّد مستعيداً طقوس الشعر العربي الكلاسيكي العريقة، ورافعاً لواء التجديد في إطار التقليد، والمساييرة للمعاصرة ولكن ليس على حساب العراقة والأصالة، فلا العولمة قادرة ولا المفردة النثرية قاهرة ومجبرة إياه على الانتماء إلى عصر ضاعت بوصلته واختلت مقاساته ومقاييسه الشعرية أولاً.

هو كلاسيكيّ متطرّف في أسلوبه الحازم بالانتماء إلى القصيدة أولاً، إلى الشعر الموزون المقفى، وإن اعتبر أن النثر ضرورة في الحياة، إلا أنه لا يصل إلى مستوى ما يقدمه الشعر من جماليات، لذا يقف في موقف التنظير للنص الشعري والشعري، مفرداً لذلك قصيدة في ديوانه، عنوانها "الشعر والنثر"، وبانياً علاقة مقارنة تفاضلية وتفصيلية في دور كلّ منهما، فالشعر "إنك أنتَ الشهد - - والعسل - - متعتنا الكبرى - - < القُبْلُ - - < رقص به الأفرح تكتمل"، أمّا النثر فهو "ماء به نروى ونغتسل - - < الماء (النثر) ليس لنا عنه غنى أبداً - - < مشي به نمضي لغايتنا".

الشعر في تجربة شهاب غانم مائيّ كما بحر عدن، أو بحر العرب، وهو الذي جمع المجد من طرفيه، وانتفى لغرب جنوب الجزيرة العربية في يمنها السعيد، ولشرق جنوب الجزيرة العربية في إماراتها بلاد الخير، وبينهما اغتسل بعطر العود والبخور فتضمّخت قصيدته بالعبق الشاعر دوماً، ورقصت إيقاعاتها على ألحان ترجيع حداء المنادي وزقزقات الطير في الواحات والانتساع الصحراوي وقبله الارتفاع الجبلي والجبل رديف عدن مسقط الرأس وملاذ الروح وبوصلة النبض.

يغتسل النص الشعري لدى شهاب غانم بالدمع، الظاهر حيناً على فقيد عزيز كما في بكاء رحيل محمد حاضر في قصيدة "دمعة على محمد بن حاضر"، أو في قصيدة "دعني مع

الله" التي يهديها إلى روح شقيقه الدكتور عصام غانم، الراحل في أغسطس من العام 2012، والدمع الخفي أحياناً في التجاء إيمانيّ إلى الله، وإعلاءٍ لقيم روحانية عريقة وعميقة، كما نجد في ملامح هذا النزوع المطلق إلى التعبير الروحاني الديني الشفاف بخطاب إيمانيّ واصل، في قصائد منها "تفكّر كلّ صباح"، "إياك نعبد" ثم جليةً كما في قصيدة "تحدّث إلى روعي"، التي يقول فيها:

"تحدّث إلى روعي ودعك من الجسم

وإن كنتُ في الاثنين، واشتركا في اسمي

تحدّث إلى روعي فروحي طائرٌ

يغرّد في القضبان، كالشعر في النظم

تحدّث إلى روعي ففي الروح جذوةٌ

ستخبو إذا لم تسقَ بالشحم في لحم".

فالإنسان في عقيدة غانم الشاعرة والمؤمنة، صاحب شجون لا يدركها إلا المتحدّث إلى الروح والمستشعر ألمها وأملها والمتحسس أوجاعها ولوعتها، لذا فهو مستعيداً في معظم قصائده النمط الخطابى الحوارى بين اثنين كما فى عادة الوقوف على الأطلال التى ورثها عن أجداد عرب أقحاح، وإن كان المنادى اثنين لفظاً لا واقعاً كما أجمع العديد من الباحثين فى تاريخ الشعر العربى فى الجاهلية والعصور القليلة اللاحقة.

شهاب غانم يخاطب رفيق رحلة الحياة لا رحلة السفر بين مضارب القبائل، بأن "تحدّث إلى روعي - - - دعك من جسمي - - - تحدّث إلى روعي"، كما لو أنه مغنٌ يصدح بصوته على مسرح الحياة وخشبة الواقع، يبدأ بالعبرة وينتهي بها، كقفلٍ موسيقى أو علامة إنشاد، وهو بين ذاك وذلك، يشير إلى حتمية القفلة النهائية كمنطق حياة "فى الروح جذوة ستخبو إن لم ...".

يستوقفنا أن يفتتح د شهاب غانم ديوانه "انعتاق" بقصيدة بعنوان "أكياس" يسعى فيها إلى ترسيخ علاقته الوطيدة باليوميات الشعرية كما عهدناها فى مجموعة أشعاره السابقة والمنجزة مؤخراً، ولكن بعين الناقد اللاذع أحياناً والمومئى إلى الغاية الشعرية أحياناً أخرى،

كمن يوارب اجتنباً للإحراج، بأناقة الشاعر الحكيم ووقار الشيب الذي اتصف به حتى صار مرآة لبياض قلبه، فهو شاعرٌ أقلُّ ما يقال فيه إنّه يكتب الزمکان، وهو الذي يوقف الزمان في مكانه القريب ويلتقط له الصورة الشعرية الكافية والوافية، وإن مال إلى شيء من السخرية الناقدة والمرة في سبيل الإيلام بغرض الإفهام، يقول في قصيدته "أكياس":

"الناس

مثل الأكياس

لكن بيدين ورجلين ورأس

والناس مثل الأكياس

لكن بعيونٍ، وبآذانٍ، وبإحساس

... ما الفرق إذن بين الناس

أو قل بين الأكياس".

الناس متشابهون، حدّ التماهي، إلا في الأسماء، فهذا زيدٌ وذاك عمر، إذًا، ومعاً هما واحدٌ وحيد، فريدٌ في الروح إذا ما عاشها وأدرك مكنونها وحاجاتها الإيمانية، الناس بنظره أكياسٌ لا تختلف في المظهر، لكنهم في الجوهر يختلفون، في نقاء السر والسريرة، يتميزون بالإحساس أولاً، والروح، وهم إذا فقدوا هذين السرّين فقدوا إنسانيتهم، وبشريتهم، وصاروا "أكياساً"، لا ناساً، يقول:

"الفرق الفارق في الروح

وفي العقل

وفي الإحساس

لكنّ الناس

في إفلاس

تركض دوماً خلف الأكياس".

إنها السخرية المرة التي تميز أسلوب شهاب غانم الشعري، البكائية التي يغص بها القلب الشاعر أولاً، حتى قبل أن يوجه سهام نقده الحريص على المخاطبين من أهل الأرض،

فهذه السهام تصيب قلبه المستشعر بعظيم مصابهم في مصيبتهم، وهو يقيم لنفسه الشرفه المظلة على أوجاعهم وما يؤلمهم، ويصير الطبيب لا بتجريب الطب بل بتجربة الحياة، وحكمة الحياة، ووعي الشاعر بدقائق أمورها وتفاصيلها برؤاه قبل رؤيته، هم أدعياء حب وغرام وهيام، وأدعياء خبرة في الحياة واختبار، أما هو فحكيمٌ عليمٌ بأمورها، وخبيرٌ بأسرارها، يقول في قصيدته "أيها الشعر": يدعون الغرام وهو المعنى/ بالقوافي والبوح حين يُغنّى/ منذ أن كان في الطفولة شبلاً/ وهو بالجملة الجميلة يُعنى/ أيها الشعر قد ملأت الخلايا/ بالخيالات بين مبنى ومعنى"، ليصل إلى قوله: "... أي معنى للجسم من غير روح/ تتخطى الآماد ركناً فركناً".

هو شاعرٌ جريء في النقد، وعليمٌ بما يريد قوله في رسالة التوجيه والإرشاد للعباد، نراه يقرأ الموقف بعناية وتبصّر، يقنعنا بما يقوله في القصيدة، حتى لو غابت جماليات الشعر أحياناً في سبيل غرض الإيصال والاتصال، فهو يريد للرسالة أن تصل، وللموقف أن يتم الإعلان عنه تصريحاً لا تلميحاً، يقول في قصيدته "العولمة":

"ما هي العولمة؟

أهي رمي الدشاديش في سلة المهملات؟

كي يصير من الجينز لبس الفتى ولباس الفتاة؟

والماكدونالدس أفضل مأكّل

والكوكاكولا الشراب المفضل

وثقافتنا العنف والجنس

من كل شكلٍ وجنس

يهندسها في دهاء شياطين إنس".

إنها حكمةٌ ورثها عن أبٍ وجد، واقتناها من بنك معلومات الحياة، واستقاها من بئر عدني يماني صافٍ، زاده إشباعاً وإرواءً "فلج" إماراتي الهوى والهوية، وهو الشاعر الذي لا ينطق إلا عن حكمة لا عن هوى، وهو وحي الشعر حين يحلّ معلناً لحظة الحقيقة، في تصالح ذات الشاعر مع إيمانه الفطري والبدئي والنهائي معاً، الإيمان الذي لا يتحقق إلا بالمقاربة

والمقارنة بين ماضي وحاضر، كما في صيغ الفعل والقول لا في أنماطه فحسب، فالفعل الماضي يتكرر "وَلَّتْ/ خَلَّتْ/ كَانَتْ/ سَخَتْ"، ليؤكد ما يفيد كونه درساً تعلّمه الشاعر وبات يعلّمه للآخرين، إنه الشاعر المتدبّر بالحكمة حتى أعماها، وإن حملت الكثير من ملامح الأمر والنهي الأقرب إلى حوليات زهير بن أبي سلمى شيخ حكماء العرب في جاهليتهم قبيل الإسلام، يقول شهاب غانم في قصيدة "أين ألحاني" من ديوان "انعتاق":

"لا تسأليني أين ألحاني

وَلَّتْ وَخَلَّتْني لأشجاني

إقبالها بالأمس حيرني

ونفورها سرُّ هو الثاني

كانت تسامرني وتغمرني

بالوصل كيف سخت بهجراني"

هي الحكمة التي وإن بدت كلاسيكية النمط، فإنها حدثية الروح حين تميل إلى روحانية متصوّفة وليست صوفيّة، يلجأ إليها الشاعر مغلفاً فيض مشاعره الإيمانية بقلب إنساني الهوى، أقرب إلى الصوفية ولكنه ليس منها أو فيها، فالشاعر غانم في قصيدته "انعتاق" يسعى إلى تحقيق غرض النصّح والدعوة، عبر تغليب الغايات الآخروية في نصه الشعري، دونما اهتمام بموحيات الشعر وما يجنيه الشاعر من خيالات وادي عبقر حتى تجني عليه وتسبب له التهلكة، يبرز داعيةً موضحاً ومصلحاً وحكيماً يسدي النصّح في النص، كما في "لم يبق إلا رضى الرحمن نطلبه/ ولن يرد بإذن الواحد الطلب"، وكما في قصيدته "هذي الحياة":

"لو أنّ حبلك بالرحمن موصول

لما أهمك لا قال ولا قيلُ

ولا عبئت بغير الله تعبه

إن أذن الفجر أو إن أظلم الليل

هذي الحياة ترابٌ في بدايتها

وإنّ آخرها بالتراب مجبول

ومسرح العمر طالت مسرحيته

أو لم تطل، إنما لهوٌ وتمثيلٌ".

وتتکامل صورة الانتماء إلى الدعوة كمنهج في الشعر دونما التزام بحرفية نهى وأمر صادرين عن محكمة تفتيش دينية، فالشاعر هنا مجربٌ خبير ينقل للقارئ تجربته ولا يجبره، بل يجزّيه، ويمهله وقتاً حتى يغذّيه بالبرهان إثر البرهان، عن صحة ما ذهب إليه من استنتاج واكتشاف علاج، يقول شهاب غانم في قصيدة "غيم": "وتمضي ثواني العمر، تمضي إلى المدى/ وتصحو، وما في الكف شيء من العمر"، ليصل إلى مخاطبة الله تعالى كما في قصائد الصوفية، ولكن بإيمانية أوضح، ومغالة أقل، يقول في قصيدة "ألا بذكرك":

ألا بذكرك قلبي يطمئن وهل

بغير ذكرك قلب المرء يرتاحُ

قأنت مبدع هذا الكون أجمعه

وأنت خالق من جاءوا ومن راحوا

وأولُّ أنت قبل القلب من أزلٍ

بالكاف والنون يا ربّاه فتّاح

ونور وجهك بعدَ البعد في أبدٍ

يبقى جليلاً كريماً وهو وضّاحٌ".

تبقى الفرادة في النص الشعري لشهاب غانم، لا نمطية أسلوبه الكلاسيكي العامودي، والتزامه الأكيد والعميق بأساسيات الشعر العربي الكلاسيكي التقليدي، وهو الذي أبان لنا في ذلك واوضح، وافصح عن همّة الشاعر بإيقاع وأوزان الشعر لا في النثر رديفاً للحياة اليومية وناقلاً لها، تبقى فرادة غانم في انتمائه اليقيني إلى روحانية معاصرة، عالية الثقافة والذائقة الشعرية في اختيار المفردة وتقليبها حتى تتطهر في رحلة جلجلتها وصولاً إلى حمل المعنى وما أصعبه من حمل، كان يحمل مفردته الشعرية صفات وسمات ما ورائية، بعدية، آخروية، تختصر العمر وتختزل الزمن "ضاع العمر - - < يبقى صراع الروح والقلب والجسم/ ظننتُ الهوى حلاً لكل عويصة - - < لكنه وهم يزيد على الوهم"، يقول في قصيدة "تحدّث إلى روعي" يقول فيها:

"لقد ضاع هذا العمر إلا أقله
ويبقى صراع الروح والقلب والجسم
ظننتُ الهوى حلاً لكل عويصةٍ
ولكنه وهمٌ، يزيدُ على الوهم
تحدث حديث الروح يسري محلقاً
إلى كل روح تشرئبُ إلى الفهم
وما أنت صوفيٌّ ولكن مهجّةً
بجنبيك روحانية الشوق والهمّ".

إنه شهاب غانم، ابن أساطير الأولين من يمن العرب وإن أبي، وحامل وعي الأرض الإماراتية بقصص الأولين من الأجداد وهو المعبر عنها إن أراد، ولكل ذلك هو يخشى الحلولية والتحول، لكنه يؤكد الإيمانية الفطرية التي للمكان الإماراتي، دونما تنظير عقائدي معقد، فالأمر بسيط جداً لديه، إنه انتماء الروح لراحتها، انتماء المخلوق لخالقه تعالى، فالروح هي الأصل والجسم فرع، وشكل ولباس، الشاعر طائر حرٌّ مهما أسرته الحياة بتفاصيلها "النثرية" الصغيرة، وتعقيداتها المؤجلة قليلاً، فإنه بالتحليق يعلو، وإن قدره الانعتاق مهما بات في الأسر، وتبقى قصيدته "انعتاق" الأبرز في بيان حكمته هذا، هذا الانعتاق الذي يحل حلاً لتناقضات يعيشها العالم المعاصر، الانعتاق الذي يُعلي الروح وقيمها، وينتصر لها، علماً وحقاً مهما اشتعل الرأس شيباً، أو بلغ العمر عتياً، يقول شهاب غانم في قصيدته "انعتاق" من الديوان الحامل الاسم نفسه:

فات الذي فات لا حزنٌ ولا عتبُ
قد غيَّضَ الغيظ في أعماقنا التعب
والداء والشيب والعمر الذي سلخت
عقوده في طلاب ما له أربُ
نسعى إلى العلم في دنيا يسود بها
جهلٌ ويختال فيها الزيفُ والكذبُ
ونشرئبُ إلى الحق الذي فقئت
عيونه ودحاه الظلم والسَّلبُ".

قراءة في ديوان (انعتاق)

د. عبد الحكيم الزبيدي

ديوان (انعتاق) هو أحدث دواوين الشاعر الإماراتي الكبير الدكتور شهاب غانم، وقد صدر ضمن كتاب مجلة (الرافد) في شهر فبراير 2014م. والديوان صغير الحجم، ويحتوي على ستّ وعشرين قصيدة.

وإذا قسمنا الديوان حسب تاريخ القصائد، فسنجد أن سبعة منها كتبت في الأعوام 2011-2013م، وست قصائد كتبت في العقد الأول من القرن الحالي (2001-2010م)، وأربع في العقد الأخير من القرن الماضي (1990-2000م)، وخمس مؤرخة بين عامي (1969-1986م)، وأربع بدون تاريخ.

وقد تنوعت مواضيعها بين السياسي والروحاني والرمزي، والثناء بالإضافة إلى قصائد حول الشعر. أولى قصائد الديوان من حيث الترتيب، وهي ثالث أحدث قصيدة تاريخاً، هي قصيدة (أكياس - ص 9)، وهي جديدة في مضمونها الفكري وطريقة تناولها، ولقصرها ووحدتها العضوية نوردتها كاملة:

الناس

مثل الأكياس

لكن بيدين ورجلين وراس

والناس

مثل الأكياس

لكن

بعيون، وبآذان، وبإحساس.

لو قشّرت امرأتين
واحدة رائحة الحسن
والأخرى أبشع من جنّي
لرأيت أمامك أنثاوين
مرعبتين.

لو قشّرت رجالا بيضاً
ورجالا سودّ
لنشابه كلّ الموجود.

ما الفرق إذن بين الناس،
أو قل بين الأكياس
الفرق الفارق في الروح
وفي العقل
وفي الإحساس
لكن الناس..
في إفلاس..

تركض دوما خلف الأكياس.

فالتناول -كما أسلفنا- جديد، خاصة عندما يقول: لو قشرنا امرأتين، فالتقشير يرتبط في الأذهان بالفاكهة، ولكن الشاعر يكسر التوقع ويجعله للمرأة. ورغم بشاعة فكرة تقشير الإنسان، إلا أن الشاعر تعمد أن يصدّم مشاعرنا بتلك الصورة ليدلل على بشاعة ما تحت القشرة الخارجية للناس. ليصل إلى بيت القصيد -كما يقال- وهي قوله:

لكن الناس..

في إفلاس..

تركض دوما خلف الأكياس.

وهو معنى متداول بين الشعراء ولعل من أروع من تناوله المتنبي في قوله:

مِمَّا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا
تَفَنَّى عُيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنٌ

ولكن الشاعر شهاب غانم استطاع أن يتناوله بطريقة جديدة، تجعل القصيدة صالحة للترجمة إلى لغات أخرى، وتكون مقبولة لدى الثقافات المختلفة لإنسانية موضوعها، وجدة تناولها. وهي بذلك تمتلك الخصائص التي أشار إليها الشاعر في قصيدة (ترجمة الشعر - ص 27) وهو مترجم معروف للشعر من العربية وإليها، حيث يقول:

لا تبذل جهدا في ترجمة قصيدة

إن كانت في المعنى محدودة

أو كانت في المبنى مكدودة

ابحث عن نجومات تتألق

نجمات حين تشاهدها تشهق

واضرب بجناحين قوين لكي تتسلق

فقصيدة (أكياس) بحق من النجمات المتألقة في هذا الديوان، وتستحق الترجمة إلى اللغات الأخرى.

أما القصيدة الثانية في ترتيب الديوان، وهي الثانية من حيث حادثة التاريخ، فهي قصيدة (الأرض-ص 13)، ومطلعها:

الدنيا كرة

لكن لا تركلها

لا تطعنها أو تقتلها

بل بجلها

فهي المهد

وفيهما اللحد

فاجلس بحنو فوق ثراها

وامسح بيمينك جبهتها

أو وجنتها

وهذه القصيدة رغم بساطة كلماتها، إلا أن جدتها تكمن في أنها تتدرج ضمن ما يمكن أن يطلق عليه (أدب البيئة)، ومن أهم خصائص الأدب البيئي هو "إحساس الكاتب بالبيئة التي يُعد جزءاً منها وأن الإنسان مفردة من مفرداتها"⁽¹⁾. وهذا متحقق في القصيدة ففيها دعوة إلى حب الطبيعة والمحافظة على مظاهر البيئة، من أشجار وأنهار وعمران:

فاحفظها

احفظ نضرتها

واحفظ بيئتها

من كل حروب ودمار

من كل الأشرار

من كل قنابل ذرية

أو كيماوية

أو جرثومية

لا تجعلها قنبلة موقوتة

بأنانيتك الممقوتة

ولا يقتصر اهتمام الشاعر بالبيئة على هذه القصيدة، بل إن في الديوان قصيدة أخرى، يمكن عدّها من أدب البيئة، وهي بعنوان (خواطر دوحة- ص 63) صاغها على لسان شجرة:

حين تجف بأغصاني الأوراقُ

ويودعني ظلي الوارف حتى لا يبقى منه باقُ

يضرب مني الحطابون الساقُ

لكني قد أغدو مقعد بستان يحتضن العشاقُ

أو نافذه يتسرب منها الإشراقُ

أو تُصنع من خشبي الأوراق
فتخط قصائد حب فيها أو بعض رسائل أشواق
أو أمسي في مدفأة حطباً للإحراق
فأبثّ الدفء الدفاق

وأحس بآني حتى في لحظة إعدامي مخلوق خَلَق!
وفيها يتحقق أيضاً إحساس الشاعر بالبيئة من خلال تصويره لمشاعر الشجرة، والتعبير
عن هذه المشاعر التي تختزنها في أعماقها.
وإذا انتقلنا إلى القصائد السياسية فسنجد أن خير ما يمثلها قصيدة بعنوان (زمن الشعوب -
ص17)، وهي من أثر تفاعل الشاعر مع ما يعرف بثورات الربيع العربي وموقفه منها.
وقد انطلق الشاعر في موقفه من هذه الثورات من خلال حديثه عن باني دولة الإمارات
ومؤسس نهضتها، الشيخ زايد بن سلطان رحمه الله:

نبكيك يا زايد الخيرات في زمن فيه الشعوب على الحكام تنتفض
وقد استطاع الشاعر من خلال التعريض بأولئك الحكام الذين لم ينصفوا شعوبهم أن يعقد
الموازنة بينهم وبين الشيخ زايد الذي استطاع أن يزرع الحب في قلب شعبه له، بقربه منه،
وإحساسه بالآلام ومشكلاته:

لم يعمرُوا الأرض، لم يبنُوا الدروب ولا بالعلم في الوطن المنهوب قد نهضوا
ولا أحسوا بشعب عاطل قلق فيه شباب أبي النفس ممتعض
ثم ينتقل من التعريض إلى الحديث المباشر عن مميزات الشيخ زايد رحمه الله، والحب
المتبادل بينه وبين شعبه:

وأنت يا زايد الخيرات كنت لنا نعم الزعيم لديك النهضة الغرض
وكننت نعم أب للشعب تمحضه حبا .. وأبناءؤه للحب قد محضوا
وهذا هو النهج الذي مشى عليه حكام الإمارات جميعهم، فرضي الشعب، وأحب قاداته:
وجاء يمشي أبوسلطان قائدنا على خطاك.. فنعم القائد العوض
وحوله الإخوة الأعوان قد دعموا تلك الجهود .. وأبناء البلاد رضوا

إن الذين بنوا مجدا لأمتهم سيخلدون إذ الطغيان ينقرض
 وقد حوى الديوان ثلاث قصائد عن الشعر، هي: (أيها الشعر)، و(الشعر والنثر)،
 و(ترجمة الشعر)، وقد أشرنا إلى الأخيرة قبل قليل. أما قصيدة (أيها الشعر - ص 21)،
 وهي القصيدة الرابعة في ترتيب الديوان، فيتحدث الشاعر فيها عن أهمية الشعر:
 أيها الشعر قد ملأت الخلايا بالخيالات بين مبنى ومعنى
 أنت تحوي رسماً، وقصاً، ورقصاً، وغناء يختال وزنا ولحنا
 ويؤكد على أن دور الشعر هو مناصرة الحق، ومحاربة البغي:
 تعشق العدل والكرامة والصدق وتأبى الفساد .. تأبى الغبنا
 وتتناص بعض أبياتها مع مقولات لشعراء سابقين، كما في قوله:
 وتسُنُّ الخلال والمثل العليا .. وما زلت للبراءة حصنا
 ففيه إحالة إلى قول أبي تمام:
 ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بغاة العلا من أين تؤتى المكارمُ
 وينكر الشاعر على من يرى أن زمن الشعر قد ولى، قائلاً:
 لا تصخ للذي يقول: مضى الشعر .. عليه الزمان يا صاح أخنى
 وبأن الزمان عصر علوم ونقود بها الحضارة تبنى
 ثم يستعرض الشعراء العظام الذين تركوا بصماتهم في التراث الإنساني، واستطاعوا
 بشعرهم أن يصنعوا المعجزات، ويتركوا أشعاراً تبقى بقاء الدهر:
 قمّ نسلّم فها هنا المتنبّي قلق والرياح يسرى ويمنى
 والمعري هنا يخفف وطأً وعلى الأرض ها هنا يتأنى
 وعلى المسرح الكبير شكسبير ينادي: نكون أولن نكوناً
 وفتى تونس يقول: إذا الشعب أراد الحياة يهدم سجننا
 والزبيرى إذ يقول: من السجن كأسدٍ شمّ الأنوف خرجنا
 والأبيّادي تدق أبواب شوقي ولأجل الحياة تدمى وتفنى
 والجنوبي قد دعا "لا تصالح" ولئن قدموا من التبر طنا

ثم هذا درويش يصرخ: "سجل!".. نحن أحفاد خالدٍ والمثني
ويرى أن الشعر هو الذي يصنع الثورات، لأنه يرسم طريقها للشعوب:
أيها الشعر كنت نبراس نور فتداعى الظلام وانجاب عنا
أنت يا شعر للحياة ... وما كنا لفن يا شعر نبدع فنا
على أن الشاعر وإن كان يرى للشعر كل هذه المقدرة على تغيير مصائر الشعوب، فإن
الشعر عنده يعجز عن إلانة قلب الحبيب وعطفه نحوه، ولذلك يقسم أن يتوقف عن كتابة
الشعر. يقول في قصيدة (شراك - ص 61):

لأنني أدركت أن الشعر لا يفيدُ
وأني ذبحت مهجتي بالشعر والقصيدُ
وكلما تولد قطعة جديدة أموت من جديدُ
آليت ألا أكتب المزيدُ...
ولكنه يحنث في يمينه في آخر القصيدة:
لكنني ما زلت في الشراك
مازلت أنسج الحروف
ومهجتي بسحرك الفتاك لم تنزل تطوف
ولم أزل أحلم بالقطوف
ورداً بلا أشواك
أواه من شعري ومن هواك

وإذا انتقلنا إلى الرثاء فسنجد في الديوانين قصيدتين: الأولى في رثاء الأديب الإماراتي
محمد بن حاضر، والثانية في رثاء عصام غانم شقيق الشاعر. أما مرثية (دموع على
محمد بن حاضر - ص 37) فقد جاءت خافتة الجرس، أقرب إلى النثر:

في عاصمة النور
انطفأ سراج
لدبي وهاج

كان بشعلات الشعر يموّر

فاشتد الديجور

والشاعر يسرد ذكرياته عن الفقيد، ومن خلالها يتحدث عن إنجازاته الثقافية التي شاركه فيها الشاعر:

أتذكّر كيف جلسنا وسلطان

قبل ثلاثين عاما

لكي ننشئ المنتدى؟

.....

أتذكر كيف عملت بجدي

لإنشاء ندوتنا للثقافة أو للعلوم؟

مع المرّ والآخرين

.....

أتذكّر نادي المارينا

وركنك فيه الأثير؟

والقصيدة يغلب عليها طابع الاستسلام لقضاء الله، ولكنها لا تخلو من الحسرة والحزن على فراق الفقيد:

ياصديقي لقد بات شعبان قرب النهاية

أصبح شهر الصيام على الباب

والقلب يدرك في حسرة

أن مصباح مجلس بن حاضر

قد خبا..

وأما مرثيته في شقيقة عصام (دعني مع الله - ص43) فقد كانت صياغتها أفخم، حيث اختار لها النمط العمودي، وجاءت على وزن البحر البسيط، الذي يعين على الترسل

والانبساط، وجاءت قافيتها على حرف الحاء بما فيه من بحة تذكر ببحّة الحزن، وكانت الكسرة مناسبة لانكسار النفس، وملأمة لجو الرثاء. وقد بدأها بالتفكير في أمر الحياة والموت واللجوء إلى الله تعالى بالذكر والتسبيح لاستمداد الصبر والعزاء منه، يقول في مطلعها:

دعني مع الله في ذكر وتسبيح فكل ما دونه يمضي مع الريح
الأهل يمضون والأحباب ذاهبة ويسلمونك من نوحٍ إلى نوحٍ
والبيت الثاني يتناص مع قول أبي العتاهية:

نُح على نفسك يا مسكينُ إن كنت تتنوحُ
لستَ بالباقي وإن عُمِرتَ ما عُمِر نوحُ

كما تتناص بعض أبياتها الأخرى مع أقوال شعراء سابقين، كما في قوله:
كل ابن انثى له عمرٌ وليس سوى مشروع موتٍ مدى الأيام مفتوح
الذي يتناص مع قول كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حديدٍ محمولُ
كما نجد التناص مع آيات من القرآن الكريم، كما في قوله:

حتى الجبال كعهن سوف تنفش في يوم الحساب كما أوحى به الموحى
الذي فيه إحالة إلى قول الله تعالى في سورة القارعة: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ). ونجد في القصيدة لوعة الحزن ومرارة الفقد لشقيقه الذي كان يقيم في بلد آخر، وذلك من خلال استخدامه لفظة (ولّى) التي تدل على فجيرة الغياب وعدم الأمل في العودة، و(خبا) التي تدل على الانطفاء المفاجئ:

بالأمس ولّى شقيقي فجأة وخبا وكان في قومه أزهى المصابيح
كما أن لفظة (شقيقي) توحى بمدى قرب الفقيد من نفسه، وتصور عظم فاجعته فيه. ويتعزى عن الفقيد بما تركه من مؤلفات ستظل خالدة من بعده، تحمل اسمه أبد الدهر:
عشرون سفرًا ونيف خلفه حفلت بحرّ رأي لرفع الحيف مطروح

وإذا انتقلنا إلى القصائد الروحية، فسنجد أن أحدثها تاريخاً قصيدة بعنوان (تحدث إلى روعي-51)، ومطلعها:

تحدث إلى روعي ودعك من الجسم وإن كنت في الاثنين.. واشتركا في اسمي
وفيها يتحدث عن الصراع بين الروح والجسم:

يشدك قيد الطين للطين.. كلما يتوق ضياء الروح للبدن والنجم
ولا تخلو الأبيات من الوعظ المباشر، كما في قوله:

وقد تنتهي الأرواح في البؤس والأسى إذا كانت الأجساد توغل في الإثم
و(قد) هنا للتوكيد، لا للشك، كما في قوله تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب، 18).

وفي الديوان أربع قصائد، أو قل أنشودات، كلها في تسبيح الله عز وجل والتفكير في أمر
الدنيا والآخرة، وبعضها أنشدها منشدون معروفون مثل المنشد الإماراتي أسامة الصافي،
والمنشد العالمي سامي يوسف. ففي قصيدة (تفكر كل صباح- ص31) يقول:

كل شيء مؤقت يا صديقي غير وجه الرب الوحيد الحقيقي
كل شيء سينتهي.. ويؤدي للردى والقبور كل طريق
وفي قصيدة (إياك نعبد- ص49) يقول:

إياك نعبدُ خالقي من قلب قلب الخافق
فلأنت ملء مغاربي ولأنت ملء مشارقي
وهواك ينبوع الصفاء لكل قلب عاشق

وفي قصيدة (هذي الحياة- ص89) يقول:

هذي الحياة تراب في بدايتها وإن آخرها بالترب مجبول
ومسرح العمر طالت مسرحيته أو لم تطل إنما لهو و تمثيل
ويختما بالدعوة إلى التوبة قبل أن يهوي سيف الموت على الرقاب:
قم تب إلى الله يا مفتون في عجل في دقة القلب سيف الموت مسلول
وآخرها قصيدة (ألا بذكرك- ص97)، ومطلعها:

ألا بذكرك قلبي يطمئن وهل بغير ذكرك قلب المرء يرتاحُ
وفيها يتوجه إلى الله تعالى بصادق الدعاء أن يأخذ بيده ويعينه في درب الحياة:
يا من خلقت الطباقي السبع خذ بيدي فملء دربي شياطينً وأشباحُ
وفي التواءات درب العمر أنت هدى وأنت في عتمات الدرب مصباحُ
وأنت نور على نور تخر له في سجدة الحب أجساد وأرواحُ
وهذه الأبيات الصادقة الصادرة عن نفس مؤمنة، مقبلة على الله، هي آخر قصائد الديوان،
وهي خير ما نختم به هذه الجولة في ديوان (انعقاد) للشاعر الإماراتي الكبير الدكتور
شهاب غانم، مدّ الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية، ليواصل عطاءه وإبداعه الشعري
الجميل.

الهوامش والإحالات:

¹ - بدران، محمد أبو الفضل: النقد الأدبي البيئي، وزارة الأوقاف، الكويت، 2010م، ص 41.

* شاعرة وناقدة وساردة سورية تعمل في مجلة دبي الثقافية - الإمارات.

الأعمال الشعرية الكاملة لشهاب غانم: امتزاج الشعر بالعلم والترجمة

الدكتور سلمان كاصد*

جَمَعَ مختلف مَظان المعرفة، فتتقل بين الاقتصاد والهندسة والشعر والترجمة، فكان بارعاً في كل حقل منها. خبر الاقتصاد فحاز فيه أعلى الشهادات وتمرس في الهندسة فأجاد في حفريات المعرفة، وغاص في الشعر فكتب ما أحس به، وجاء إلى اللغات فنقل منها أروع ما كُتِبَ فيها.

يقول عنه الشاعر اليمني الدكتور عبد العزيز المقالح: "إنه دائم النشاط وعلى صلة وثيقة بالثقافة العالمية" وكأنه في ذلك "موسوعة علمية أدبية تتدر نظائرها . حالياً . في الساحة العربية".

ذلك هو الشاعر الإماراتي الدكتور شهاب غانم، في مجموعته الشعرية الكاملة التي صدرت عن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث في معرض الكتاب التاسع عشر.

قسمت المجموعة الكاملة إلى سبعة أجزاء، اشتمل الجزء الأول الذي أطلق عليه "بخوخ وقصائد أخرى" على 13 قصيدة والثاني بعنوان "معاني الهوى عندي وقصائد أخرى" على 67 قصيدة والثالث بعنوان "سوف يأتي فجر وقصائد أخرى" على 71 قصيدة، والرابع بعنوان "المخاض في وادي عبقر وقصائد أخرى" على 15 قصيدة، والخامس "أرق وقصائد أخرى" على 31 قصيدة، والسادس بعنوان "من أين أدخل في الميراث يا أبتى وقصائد أخرى"، ويحتوي على 14 قصيدة، والأخير السابع بعنوان "الدروب الخضر وقصائد أخرى" ويحتوي على 24 قصيدة

مزج شهاب غانم الواقعية في الشعر بمناخات التاريخ والهواجس الذاتية بالتناولات الموضوعية، فكان شعره شديد الصلة بما ينازع المتلقي من مشاعر، ولم تغب عنه على المستوى البنائي "وحدة الموضوع" ولا "الوحدة العضوية" التي عرفها الشعر العربي طوال رحلته العميقة.

* ناقد عراقي يعمل في دولة الإمارات. نشرت في صحيفة الاتحاد، في 17 مارس 2009م.

ولأن شهاب غانم لا أحد يستطيع أن يقارعه في معرفة أنماط الشعر العالمي من حيث الموسيقى والتجريب تراه يحافظ على الموروث العربي في بناء القصيدة وكأنه يعلن أن ما يميز القصيدة العربية هو بناؤها.

ويخطر في بال أي قارئ لشعر شهاب غانم هذا التساؤل المهم، هل مازج الشاعر بين المعرفة والشعر، وأخص بذلك المعرفة العلمية، ومن الغرابة أنك تجيب في أن شهاب غانم عالم في الشعر وشاعر في العلم، فهو مهندس بارع لقصيدته، يستوفي معانيها ليرتبها طبقات فوق طبقات في نسق متواصل، مترابط، يجمع بعضه فوق بعض، وأظنه لهذه السمة لا يرى في العلم إلا شعرية التي تجعل منه علماً حين يمتلك قوانينها، ولهذا السبب حافظ شهاب غانم على روحه في القصيدة بالرغم من أن هذه الروح قد تتقلب حين تقدم في إطار شعري كلاسيكي أو الآخر الحر. إلا أن الشاعرية لديه ولصفائها تبقى واحدة بالرغم من تغير الأشكال. وفي سؤال آخر، هل نرى مؤثرات ترجماته للشعر العالمي في بنية موضوعة القصيدة لديه؟ تلك أسئلة ربما نستطيع أن نفهم من خلالها ما كتب شهاب غانم ولنقرأ قصيدته "في عصر الاستهلاك" التي يقول فيها:

ليس لدي سوى عيني

مرهقتين

بل وقليلاً معتمتين

من كثرة ما تمتصان من الأسفار

أو الأخبار

أو الأفكار

من المعلومات

في كتب أو صحف أو شاشات

وربما عند قراءة هذا النص بمجموعته الكاملة تتلخص لنا في إجابة واحدة أغلب الردود على تساؤلاتنا السابقة، حيث نلاحظ نفساً غريباً في النقاط شهاب غانم لليومي والعادي والمألوف وكأننا نقرأ نصاً غريباً إلا ما حفل به النص من قافية بسيطة أعلنت من شأن

الموسيقى الشعرية لديه كونه قد ألف القافية فلم يعد قادراً على التخلص منها أو لأنه
يعدها عماد القصيدة لديه، وهي في الآن نفسه تؤكد صلة الشاعر بالمعرفة العلمية
وبالمعلومة وبالتكنولوجيا، وفي هذا الإطار لابد من التأكيد أيضاً على أن شهاب غانم قد
خرج في كثير من قصائده التي ضمتها المجموعة الكاملة إلى تلك الروح الصوفية والغزل
الشفيف والخواطر المرحية فيقول في قصيدته "خواطر دوحة":

ياوي لظالي رجل مرهق

يغمض جفنيه وينام

يستغرق في الأحلام

ينداح على الكون سكون مطلق

ويلف الكون ظلام

وهي في مجملها خواطر أحكمها شهاب غانم بنمط شعري بدت فيه مؤثرات الكلاسيكية إلا
أن جزئياتها أقرب إلى الحداثة في تشكيلها، النمط الكلاسيكي نراه في البناء "مرهق..
ينام.. أحلام.. مطلق.. ظلام" أي أقرب إلى الافتتاح بقافية ذاتها التي يغلق فيها النص
ثم يعود إلى أن يستخدم القفلة النهائية بقافية المنتصف وهي طريقة جديدة يخطها شهاب
غانم لنفسه تشبه إلى حد بعيد الأندلسيات والمربعات والمخمسات الشعرية.
ولا يبتعد الشاعر شهاب غانم من أن يستخدم القصصية في نصه الشعري، من أجل أن
يعطيه بعداً حكاثياً في توظيف بسيط وكأنه لا يقول شعراً بل هو حكاية في قصيدة
وبخاصة قصيدته "الكيل بمكيالين" التي يقول فيها:

رشدي

رجل يزخر بالحق

من أرض الهند

هاجر للغرب

ينشر في الكتب

أسفل أنواع الكذب

وربما نجد في قصيدته "تجمعت أيدي سبأ" نبرة أخرى في بنية قصيدته الحرة وهي ذات التشكل الحكائي في قصيدته السابقة حيث يقول:

لو كنت يا بلقيس
أميرة نائمة من سالف العصور
وفجأة أفقت من سباتك الطويل
بقبلة يطبعها على جبينك النفيس
فتى اليمن

لو عدت تعبرين حاجر الزمن

كذلك نجد في هذه التسلسلية الحكائية نفساً كلاسيكياً داخل قصيدته الحرة بما يرجعنا إلى بنيتها الخمسينية. وكأن الشاعر ينهل من مصدرين معاً وهما القصيدة التقليدية ذات القوافي التناسقية والحرة في بنائها المنفتح.

في قصيدته "عبور" تتجلى ذات السمات في القصيدتين السابقتين إلا أنه يقلب المنحى القصصي، فبدلاً من أن تكون بداياته قصصية تراه ينهي نصه بها ولا تبدو في النهاية إلا "القفل" المفاجئ أو ما يمكن تسميتها بتفجير النص في الخواتيم، وهذا ما يعطيها تأثيراً وشعرية أكثر حسماً للموضوعة.

ومن قصائده الأخيرة نقرأ قصيدة "درويش.. وداعاً" حين تتداخل الأزمان في هذا النص الشعري وتبدو عوالمها أقرب لليومي الذي يريد، كما يبدو، الشاعر أن ينهجه حين يقول:

كانت القاعة مكتظة قبل عام بحيفا
ودرويش ينشد شعراً شفيفاً
كان يتلو.. يغني القصيدة
في تجل فريد
وكان الجميع يهب على قدميه
يصفق
في نشوة

يستزيد

وكان القصيدة لديه تحولت من الحكائية إلى الوصف, حتى ليستمر هذا الأسلوب حتى نهايتها التي تتفجر بالثناء المؤلم:

وقد كان ينشد للموت والمجد

هل يا ترى كان يشعر بالقبر

يقبع منتظراً للزيارة في الزاوية؟

ربما نجد مجموعة من المهيمنات الموضوعاتية في شعر شهاب غانم, والتي جعلت قصيدته ذات بُعد واحد ظل مسيطراً على نغمته على المستوى الكلاسيكي والحديث, ولو قرأنا قصيدة (شروخ - 1983) لوجدنا هذا البناء واضحاً:

سمعته يحدث الصغار

عن ذلك الجدار

وكيف قبل ألف عام كان عالياً شموخ

وتبدو صرخات شهاب غانم قوية في مضامينه, وهو في كل ذلك ينحو منحى إنسانياً حين ينتصر إلى العدل والحقيقة:

اختلط الحابل بالنابل

فالمقتول غدا القاتل

والسافل أمسى العالي

والعالي أمسى السافل

في هذا الزمن السريالي

وهو في ذلك يستفيد من الموروث اللغوي ولا تحس بغرابته عن النص.

شهاب غانم مازج بعفوية وبشفافية مختلف صنوف الأبنية الشعرية في قصيدته, فكتب شعراً صافياً بعيداً عن الغموض لكي يوصل موقفاً ورؤية, بعيداً عن التقعر.

قراءة في الأعمال الكاملة للدكتور شهاب غانم .. الشعر بجناحي التاريخ والفلسفة

حمزة قناوي

عندما وقفت أمام الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور شهاب غانم، كنت أستحضر تاريخاً من الشعر يمتد إلى نصف قرنٍ من الزمان، وهو ما يعني بدايات ومعاصرة إحدى المدارس الشعرية الهامة في تاريخنا الشعري الحديث وهي مدرسة "الشعر الحديث" أو "الشعر الحر".

غير أن قراءة هذه الأعمال التي جمعت بين دفتيها عشرة دواوين "أو سبعة أجزاء حسب تصنيف شاعرنا" تؤكد لنا أن د. غانم لا يلتزم هذه المدرسة فحسب، وإنما هو شاعرٌ كلاسيكيٌّ أيضاً يكتب القصيدة العمودية بالاعتدال نفسه الذي يكتب به القصيدة الحرة أو التفعيلية، ويبقى الفارق بين "الشكلين" في الكتابة هو المتعلق بالخصوصية الأسلوبية لكلٍ منهما، والمرونة الإيقاعية التي تمنحها هذه الأخيرة أكثر من الأولى، حسبما أرى، في استخراج أقصى الممكنات الإبداعية من معنى القصيدة دون التقيد بالإجراء البيتي المُحكم والمؤطر في الشطرين المحددين.

وبعيداً عن هذا التجريد النظري ندلف إلى هذا الديوان - المجموعة للنهـل من روحه التي تسري بنا خمسين عاماً في فضاء الشعر العربي.

البنية الشعرية .. الهيكل والمضمون

في الأجزاء السبعة للمجموعة وهي على التوالي (بخبوخ وقصائد أخرى)، (معاني الهوى عندي وقصائد أخرى)، (سوف يأتي فجرٌ وقصائد أخرى)، (المخاض في وادي عبقر وقصائد أخرى)،

(أرقّ وقصائد أخرى)، (من أين أدخل في المراثية يا أبيت وقصائد أخرى)، (الدروب الخضر وقصائد أخرى)، في هذه الأجزاء من الصعب أن نمسك بمحددات شكلية فاصلة بين جزءٍ وآخر، فالقصائد هنا لا تخضع بين مجموعةٍ وأخرى للتطور الزمني الفاصل بين الشكلين الرئيسيين لكتابة قصائد الديوان (البيتية والتفعيلية) فالقصائد تتمازج في

المجموعات كلها بصورة تؤكد أن طبيعة الموضوع هي التي تفرض على مبدعها شكلها الكتابي لا إصراره على شكل محدد للكتابة يُكرّس به توجهاً معيناً .

واستعراض سريع لموضوعات القصائد يشير لنا إلى أن التمايز لا ينحصر فقط بين شكلية الكتابيين إنما أيضاً على مستوى القصائد والموضوعات، فالبنية الشعرية في الديوان تتميز بالثراء الشكلي والمضموني، أي بين الداخل والخارج.

الكثير من قصائد الديوان يتميز بالطرافة بدءاً من التسمية (عتبة النص) مروراً بالموضوع ، ووصولاً إلى الخاتمة التي تحمل بدورها شيئاً من الطرافة الأسلوبية مثل مفاجأة القارئ أو إدهاشه أو التوصل إلى حكمة شاملة تجمع ما هدفت له القصيدة من البداية، كقصيدة (بخوخ) مثلاً وقصائد (هنوف) و(مناغة توأم) (مداعبة) ، (فأر ميكيافيلي) ، (سباق الجردان)، (برج) .. إلخ .

ويحفل الديوان بالكثير من القصائد التي يُطلق عليها في مدرسة الشعر الحديث شعر "الومضة" وهو المعتمد على التكثيف والاختزال وطرح الفكرة في نهايته بصورة سريعة ولافتة، تمكن منه شاعرنا على امتداد العمل الذي حفل بهذه النوعية من القصائد.

إن استقطاع شريحة من العمل، من الصعب أن تُلخص السمات الفنية الكاملة للديوان، وذلك لتنوّع الفنيات المُتبعة في كتابة القصائد، التي غلب عليها الطابع الوجداني، والتيار العاطفي كما في قصائد شديدة النزوع إلى هذا التيار مثل (حلول) ، (معاني الهوى عندي) ، (عيناك) ، (هو الحب) وسواها من القصائد. أما التوجه السياسي في القصائد فواضح من خلال الكثير من القصائد التي رصدت قضايا كانت أيقونة عصرها، وبعضها مازال حياً للآن، ومن القصائد هذه (بيروت 82) ، (هدايا كيسنجر) ، (المذبحة قبل الأخيرة)، (أنشودة لطيور الحجارة) (الموت والحضارات) (الفوضى الخلاقة) (القرن الخامس عشر) .. إلخ

هذه القصائد ، كما هو واضح من عناوينها الشديدة الالتصاق بمتونها، إنما تشير إلى ارتباط الشاعر بقضايا عصره، وبهويته العربية، وإيماناته بالنضال والحق والقيم.

تتالي الدوائر.. الشعر عبر الذات إلى العالم

ذكرنا أن الموضوعات المُتناولة في المجموعة لا تقف عند توجه بعينه، وإنما تتنوع اتجاهاتها في أكثر من منحى وغرض، ما يمنح العمل / الرؤية ثراءً إبداعياً حقيقياً، وهذه الاتجاهات إنما تتحرك في شكل دائري، كأنما مصدره ذات الشاعر، التي تتسع رؤيتها من دائرة لأخرى - كحجر يُلقى على سطح بحيرة - فيخلق التوتر السطحي له هذه الدوائر المتتالية، والتي قد لا يربطها رابطٌ موضوعي واحد، إنما تتتالي في اتساعاتها المتعددة راسمةً مشهداً إنسانياً موحداً بدءاً من الذات، مروراً بالدائرة القريبة (الأصدقاء .. الإخوة .. الأبناء) مثل قصائد (أخي حمد والشهب تجمع بيننا)، (دمعة على تريم عمران)، (دموع على راشد)، (سلام يا أبا عبد السلام) .. ومعظمها قصائد في المراثي، وهو توجه أصيل وراسخ في اتجاهات الشعر العربي القديم، (هنا تأخذ دائرة التوجه شكلاً عمودياً يتعلق بالتصنيف الموضوعي للنص وفقاً لطبيعته لا خارجه)، وتتتالي الدوائر بعد هذه الدائرة القريبة من المحيطين من البشر، متسعةً إلى مشهد الوطن، الذي ناله الكثير من الاحتفاء من قلم شاعرنا الذي عاصر اتحاد الإمارات وقيام الدولة، وكتب عن ذلك باعتزاز الشاهد وعين الراصد في جزءٍ خصصه لذلك بأكمله وهو جزء (سوف يأتي فجرٌ .. وقصائدٌ أخرى) ومن قصائده (أغنية عيد للخليج) و(عيد الإمارات) و(في عيد الاتحاد) و(أم القيوين) .. وسواها، وهذا الرؤية للوطن في شكله الوليد، يتسع ليشمل صورة الوطن العربي بأكمله، من قصائد تعرضنا لبعض أسمائها، ومنها قصيدة (بيروت 82) وهي النموذج الأبرز شعرياً في هذا الديوان.

دائرة رابعة تتسع رؤية الشاعر لتشملها، وهي تستعرض الهم الإنساني العام، ونرى أن هذه الدائرة هي أهم ركائز الديوان، فالشاعر لا تقاس إنسانية قلمه ومداه الشعري إلا بتفاعله مع قضايا عالمه في صيرورته الأشمل، من هنا وجدنا اتساعاً في رؤية القصائد لتصل إلى العالم في رصد قضايا المجردة، وهو ما لمسناه في قصائد دلفت إلى قلب هموم الإنسان في العالم، ومنها: (ما جدوى الأشعار)، (الموت والحضارات)، (صلاح الدين في

ديزني لاند)، (حضارة النابالم)، (العولمة)، (الزمن السوريالي)، (الفوضى الخلاقة)،
(متفقون)، (تواجد في دفقة فناء) (تأملات في الكون).

وقصيدة (الموت والحضارات) تمثل نموذجاً لرصد هم الإنسان المحاصر بالموت والثورات
الدموية والحروب التي ترفع لواء الشعارات ، ثم يكون التطبيق مجازر ودماء وبشراً عابرين
في ذاكرة التاريخ كنقش فوق الماء ، من خلال استعراض القصائد (للثورة الفرنسية)
و(حرب كوسوفو) يقول الشاعر:

وللموت آلاته

فألوف الرؤوس التي أينعت

لم تعد مشكلة

فقد اخترعوا المقصلة

كلما روبسيير

بايماء طرفٍ يُشير

رأسٌ يطير

وكل الجماهير تضحك

يعلو الصفير

رأسٌ أميز

ضحكٌ هتافٌ صفير

رأسٌ طفلٍ صغير

ضحكٌ هتافٌ صفير

ثورة!

يسقط الباستيل

حُرية!

تهبط المقصلة

والأخوة

فلتهبط المقصلةُ

يا لها مهزلة!

والمساواة رأسٌ يطيرُ

رأس من ؟

روبسبير

في هذه المشهد الشعري الذي يرسم مرارة السخرية من الحياة، ويرصد جانباً من الثورة الفرنسية (التي مازال الكثير من المؤرخين يرون فيها انقلاباً دمويّاً عنيفاً أكثر منها ثورة إخاء وعدلٍ ومساواة) تقف بنا القصيدة بين حدي الموت والحياة في تناقضهما، وتضرب مثلاً بروبسبير سفاح الثورة الفرنسية الذي استخدم الجيلوتين (المقصلة) في إعدام ستة آلاف مواطن فرنسي في خمسة أسابيع، واستمرت الثورة الفرنسية (المقصلية) في تقتيل البشر حتى وصلوا إلى 30 ألف ضحية، حتى أطيح به، وأُعدم بالطريقة نفسها - المقصلة ، مشيعاً بلعنات المظلومين وأرواح القتلى.

أما المشهد الثاني في القصيدة فيرصد حرب كوسوفو . يقول الشاعر:

والقبور جماعيةٌ في كوسوفو

وليس عليها شواهد

أنت تحفرها الآن خوفاً من الصربِ

خوفاً من الصربِ

وبعد قليلُ

يُكدّس جسمك فيها

مع ألف جسمٍ هزيلُ

لم يدُق لقمَةٌ منذ عهد طويلُ

لم يبق شاهد.. !

وسائل منع التأثر بالإيدز

منثورةٌ

في البناية بالقرب
هذا فتى وهناك فتاة
هتكا قبل أن يُقتلا
وذا نِ عجوزٌ وشيخٌ
شوها قبل أن يُسحلا
وطفلٌ وطفلةٌ
مُرّقا
أحرّقا

يا لها من مشاهد
والكون شاهد .. !
القبور جماعيةٌ في كسوفو
بينما القرن يوشك أن يلفظ أنفاسه
هو قرن الحواسيب
والطاقة النووية
والنعجة دوللي
وقرن اقتحام القمر
يا لجهل البشر

كيف حريان كونيّتان بذاكرة الناس لم تتركنا من أثر!

يا لجهل البشر

بل لشر البشر!

فهذه الرؤية التي جسدتها القصيدة لمأساة كوسوفو من خلال رصد الآثار المرعبة التي خلفتها إنما تجعل من هذه المأساة امتداداً لأدب النكبات في الشعر العربي القديم، من حريق البصرة في العصر العباسي ورتاء الممالك في الأندلس.. إلا أن مأساة الشعوب البلقانية المسلمة تجاوزت - في فظاعتها وما ارتكب فيها من جرائم، وظلم بحق هذه الشعوب - كل المآسي التي سلفت في تاريخ الإسلام. وإذا كان الضمير العالمي قديماً لا

يملك من وسائل التواصل والإعلام ما يجعله يتتبعه لمثل هذه المآسي، فإن القرن العشرين بما يملك من وسائل وتقنيات- ذكرها الشاعر في القصيدة - تمكن أن يطلع الرأي العام العالمي على المآسي والكوارث التي يلحقها الإنسان بأخيه الإنسان ومن ثم استطاع العالم الذي أصبح أسرة واحدة أن يكون له تأثيره في مجرى الأحداث والدفاع عن الحق. لكن يبدو أن ألعيب السياسة العالمية تعتمد إلى مصادرة هذا الرأي العام العالمي، وتوجيه المشكلات وإدارتها لمصالح القوى الكبرى وأهدافها الاستراتيجية، هذا ما وصل له الشاعر المندعش من موقف التاريخ الذي لا يبالي بالجرائم التي تمر عبره ولا يهتز لها. وفي هذا التساؤل العميق الذي أنهى به الشاعر القصيدة تكثيف لفلسفة عميقة، تطرح الأسئلة حول كل ما ينتهك الإنسان، وينال من كرامته وحقه في الحياة والترقي.

الإمارات في شعر شهاب غانم

د. عبد الحكيم الزبيدي

تحتل الإمارات وطناً وزعامة وأفراداً مكانة مميزة في قلب ووجدان الشاعر شهاب غانم، وقد انعكس ذلك في كم القصائد التي تناولت الإمارات خلال مسيرته الشعرية التي تمتد قرابة نصف قرن. كيف لا؟ وهي الوطن الذي ينتمي إليه ويعيش على ترابه الطاهر، وينعم بما فيه من أمن واستقرار ورفاهية في العيش.

والمتصفح للقصائد التي تناولت الإمارات في شعر شهاب غانم، يجدها تنتوع بين التغني بالاتحاد الذي يجمع إمارات الدولة، والمدح والثناء لحكامها، ورثاء الراحلين منهم، والتعبير عن الحب والشوق لأرض الإمارات ومدنها بالإضافة إلى القصائد التي نظمها في أدباء ومفكري الإمارات، إما تحيات لهم في حياتهم أو رثاء لبعضهم بعد وفاتهم. وسنحاول تناول نماذج من هذه القصائد في السطور الآتية على سبيل التمثيل لا الحصر.

الاتحاد في شعر شهاب غانم

يمثل الاتحاد للشاعر شهاب غانم أنشودة جميلة إذ نراه يُكثّر من التغني به ويردده في معظم قصائده عن الإمارات، ذلك أن تجربة الاتحاد الإماراتية تعد نموذجاً ناجحاً ومثالاً يحتذى لجميع الأقطار العربية، سعياً إلى الوحدة الكبرى التي تلم شمل أبناء الضاد في كل الوطن العربي الكبير. يقول الشاعر في قصيدة "عيد الإمارات":

ما الاتحاد سوى حشدٍ لطاقتنا

وخطوة كم من الخطوات تختصرُ

قد اعتصمنا بحبل الله فاجتمعت

ريح لنا قوة نادى بها السورُ

وسوف نبقى يداً في الدهر واحدةً

رغم العدا وفؤاداً ليس ينشطرُ

وبتغنى بالوحدة في قصيدة "عيد الاتحاد" قائلاً:

يا وحدة ضربت لنا

مثلاً وقد صمدت صموداً

ومشت على الدرب الوسيط

ولم يزل نهجاً سديداً

ماذا يقدم شاعرٌ

في عيدها إلا القصيدة

وتأتي الذكرى الأربعون لقيام الاتحاد الذي يزداد قوة بتقادم السنين، فتهيج هذه الذكرى وجدان الشاعر شهاب غانم، فيحييها بقصيدة بعنوان (الاتحاد يبلغ أشده)، يقول في مطلعها:

الأربعون ألا سنُّ النبواتِ

وللنبيين ميعادُ الرسالاتِ

واليومَ نشهدها في فرحةٍ عَزُمْتُ

في وحدةٍ جمعت أهلَ الإماراتِ

تأسست بأيادٍ كان رائدُها

مصالحُ الشعبِ في كلِّ المجالاتِ

وبعد أن يعدد مجالات التطور التي شهدتها الإمارات بفضل هذه الوحدة المباركة، يشير إلى الدور الرائد للشيخ زايد - طيب الله ثراه - وأخيه الشيخ راشد - رحمه الله - وإخوانهما حكام الإمارات في إرساء قواعد الوحدة:

فهذه وحدةٌ أرسى قواعدَها

بالأُمس (زايد) خيراتٍ وخيراتٍ

و(راشدٌ) كان نعم العون يدعمه

و أخوة من شيوخ في الملماتِ

ويكرر هذا المعنى في كل مدائحه لمؤسس الاتحاد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه، فمن ذلك قوله مخاطباً له:

آمنت بالوحدة الكبرى تحقّقها
قسطاً فقسطاً فكان الاتحاد علا
وكان نبراس نورٍ للخليج به
نحو "التعاون" يمضي مذ رأى المثلا
آمنت بالوحدة الكبرى فلا عجب
إن كان عشقك أرض العرب قد شملا
ويقول في قصيدة "حكيم العرب"، مؤكداً على التوجه الوحدوي للشيخ زايد رحمه الله:

ويا من ينادي أمة العرب للعلی
لتوحيد صفٍ للتسامح للحبِ
بقيت بقاء لم تزل فيه زائداً
حبيباً لكل الناس في الشرق والغرب
وفي مرثاته للشيخ زايد يركز أيضاً على اهتمامه -رحمه الله- بالوحدة، التي تعد نموذجاً
للدول العربية لو أخذوا بها لكانت نواة للوحدة العربية الكبرى:

مضى الحكيم حكيم العرب قاطبة
ومن بسيرته تسترشد السيرُ
أبو الإمارات باني وحدة ثبتت
مثلى بما أنجزت نشدو وفتخرُ
أنموذجاً لو أفاق العرب واقتبسوا
منه الكثير لما خابوا ولا خسروا
وحين يرثي الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم - رحمه الله - يجلو دوره الرائد مع أخيه زايد وإخوانهما حكام الإمارات في إقامة صرح الاتحاد:

راشدُ

كنتَ لنا رباناً بل والدُ

يا نعم الوالد والقائدُ

ولزايدُ

كنت الكف اليمنى والساعدُ

ولحكام الدولة كنت مثلاً في الجد ورائدُ

فصنعتُم بإرادتكم وإرادتنا وحدة شعبٍ واحدُ

وكياناً أخوياً صامدُ

يتقدم يومياً خطواتُ

في عزمٍ وأناةُ

بالحكمة وبنكران الذاتُ

لا بجنازير الدباباتُ

فمن أسباب نجاح الوحدة الإماراتية -في نظر الشاعر شهاب غانم- أنها قامت على الحب والإيثار والتضحية ولم تقم بالقسر ولا "بجنازير الدبابات"، ذلك أن الوحدة الحقيقية هي تلك التي تبنى على التراضي والتفاهم، يقول شهاب:

فالوحدة في القرن العشرينُ

لا تأتي إلا بتراضي المتحدينُ

كي تبقى صرحاً مرفوع الرأسُ

بجذور موغلة وأساسُ

تتغلغل في أفئدة الناسُ

ويعرج على موضوع الوحدة أيضاً في رثائه للشيخ مكتوم بن راشد -رحمه الله- فيقول:

لقد كنت يا مكتوم رمز تواضعٍ

وقد كنت مثل البحر في الجود والرفدِ

وَمَعَ رَاشِدٍ شِدَّتْ اِتِّحَاداً وَزَايِدٌ
على رأسه تبنون للمجد بالرشدِ
ويحيي الشاعر الاتجاه الوحدوي لدى الأدباء والمتقنين الإماراتيين، فيقول في رثاء تريم
عمران:

رحلت أبا نجلاء أهلك في أسي
وصحبك والقراء فالحزن أحزانُ
رحلت فأنت في الخليج صحيفة
وشعبٌ ففي شتى الجوانح أشجانُ
فقد كنت صوتاً للعروبة ثابتاً
على الحق لا يثنيه زيفٌ وبهتانُ
وقد كنت تسعى لاتحادٍ وقوةٍ
وجهدك في أرض الإمارات ألوانُ
ويحيي الشاعر سلطان بن خليفة وقصائده عن الاتحاد، مضمناً مقاطع من قصيدته:
سلطانُ يا وتراً ترنم للوفاق
"عجز النفاق"
يا صاح يا من صاح في لحنٍ جهير:
"الاتحاد هو المصير"
يا شاعراً غنى وردد في انتقاد:
"الاتحاد هو المراد"

.....

يا صاحبي لا لن تغرد في انفراد
فالشعب كل الشعب نادى في المسيرة
بتآزر الإخوان دوماً والوداد
ودعا إلى نبذ الخلافات الصغيرة

فالشعب من أقصى أبو ظبي إلى أقصى الفجيرة
يرنو إلى الأخطار محدقة مغيرة
فيقول مختاراً مصيرة:
الاتحاد .. الاتحاد

حكام الإمارات في شعر شهاب غانم

تنعم دولة الإمارات بحكام أجلاء نبعوا من الشعب، وعاشوا معاناته قبل أن يتفجر النفط على أراضيه، فكانوا خير حكام، لم يألوا جهداً في سبيل رفعة الوطن وتقدمه، وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل توفير أسباب العيش الكريم لمواطنيه والمقيمين على ثراه. ولا عجب أن يلهج لسان الشاعر شهاب غانم بالثناء عليهم، والإشادة بدورهم الرائد، فهم الذين كانوا -بعد توفيق الله- السبب في هذا الخير الذي تشهده هذه الأرض الطيبة وهم الذين أرسوا قواعد الاتحاد بحكمتهم وإخلاصهم. وقد مرت بنا الأبيات التي أثنى الشاعر فيها على الدور الرائد لحكام الإمارات وعلى رأسهم الشيخ زايد والشيخ راشد -رحمهما الله- في إرساء قواعد الاتحاد، بما لا حاجة إلى تكراره هنا. على أن أهم ما يميز حكام الإمارات -في نظر الشاعر شهاب- هو قربهم من الشعب، وحب الشعب لهم. ففي الوقت الذي ثارت فيه بعض الشعوب العربية على حكامها بسبب طغيانهم وظلمهم، نجد شعب الإمارات يدين بالولاء والطاعة لحكامه، ذلك أنه لم ير منهم إلا كل خير، ولم يلمس منهم إلا العدل والمساواة والتفاني في خدمة البلاد والعباد. يقول الشاعر في قصيدة (الاتحاد يبلغ أشده)، متذكراً دعائم العدل التي أرساها الشيخ زايد رحمه الله وسار عليها كل حكام الإمارات:

أبو خليفة من يشدو الزمان به
والشعب يذكره في كل أوقات
واليوم نزداد تقديراً لحكمته
فكم شعوبٍ نراها في انتفاضات

ويكرر هذا المعنى ويفصله في قصيدة بعنوان (زمن الشعوب)، ولا بأس أن نورد لها كاملة لأنها غير متضمنة في أي من دواوينه المطبوعة:

نبيك يا زايد الخيرات في زمن
فيه الشعوب على الحكام تنتفضُ
ساموا شعوبهم دُلاً فكم سجنوا
وشردوا في زوايا الكون من بغضوا
وعذبوا.. واستباحوا في جنونهم
دماء من نصحوا يوما أو اعترضوا
واستأثروا ببلايين مكدسةٍ
والشعب يمرح فيه الفقر والمرضُ
وأفسدوا.. نشروا الرشوات فاكتمبت
حكم القوانين بين الناس تفترضُ
لم يعمرُوا الأرض، لم يبنوا الدروب ولا
بالعلم في الوطن المنهوب قد نهضوا
ولا أحسوا بشعب عاطل قلق
فيه شباب أبي النفس ممتعضُ
وأنت يا زايد الخيرات كنت لنا
نعم الزعيم لديك النهضة الغرض
وكننت نعم أبٍ للشعب تمحضه
حبا .. وأبناؤه للحب قد محضوا
وجاء يمشي أبو سلطان قائدنا
على خطاك.. فنعم القائد العوضُ
وحوله الإخوة الأعوان قد دعموا
تلك الجهود .. وأبناء البلاد رضوا

إن الذين بنوا مجدا لأمتهم

سيخلدون إذ الطغيان ينقرضُ

وقد تعمد الشاعر أن يعدد مخازي أولئك الحكام الذين ثارت عليهم شعوبهم، ليقابلها بالصورة الناصعة لحكام الإمارات، وحذبهم على شعوبهم، ومبادلة شعوبهم لهم حباً بحب، لتكتمل الصورة، فبضدها تتميز الأشياء، كما قيل قديماً.

ومن جوانب الإنجازات التي حققها حكام الإمارات لشعبهم، هذه النهضة العلمية التي تشهدها دولة الإمارات نتيجة اهتمام وتشجيع حكامها، يقول الشاعر في قصيدة ألقاها في حفل جائزة راشد للتفوق العلمي عام 1996م:

فيا أخوة العلم العظيم تحية

فأمثالكم نور إذا الليل أطبقا

تعالوا انظروا كيف الإمارات تكتسي

لدى كل صبح من سنى العلم رونقا

وكيف غدت للعرب جمعاً نموذجاً

إذا ما رآه المرء أثنى وصفقا

وكيف سعى شيخ العروبة (زايد)

وإخوانه نحو العلى فتحققا

وكيف بنى للشعب بالأمس (راشد)

مرافق في طول البلاد وأغدقا

وقد سار (مكتوم) على الدرب مكماً

وإخوانه والدرب بالعشب أشرقا

وبكرر هذا المعنى أيضاً في قصيدة ألقاها في حفل جائزة راشد للتفوق العلمي عام 1989م وكان الشاعر أحد المكرمين فيها:

ويتلج صدري أن أرى اليوم قادة

تكرّم أهل العلم والبحث والفكر

وأكبرهم شيخٌ كريمٌ موقرٌ
له في قلوب الشعب حبٌّ بلا حصرٍ
يقرب أهل الفضل في كل مجلسٍ
ويعرف أصحاب المواهب والقدرِ
ولم يقتصر ثناء الشاعر على المؤسسين فقط بل شمل الحكام الحاليين الذين ساروا على
درب المؤسسين، ومضوا على نهجهم، فمن ذلك قوله في الشيخ خليفة بن زايد - رئيس
الدولة حفظه الله، ونائبه الشيخ محمد بن راشد - رعاه الله:

واليوم في أربعين العمر دولتنا
تزدهو مبدلة ما بين دولاتٍ
(خليفة) الجود حاديتها إلى رُتبٍ
عُليا.. بحاضرها أو عهدتها الآتي
(محمد) فارس الفرسان يسنده
وكل شيخٍ جليلٍ في الكفاءات
ويثني على اهتمام الشيخ محمد بن راشد - رعاه الله - بالشعر والثقافة، فيقول:
وهذا فتى الفتيان فارس قومه
مجالسه للشعر والفكر ملتقى
ويقول فيه أيضاً:

وفارسهم شيخٌ أديبٌ محنكٌ
يقدر من يسعى ويبدع في صبرٍ
وفارس شعرٍ لا يُشَقُّ غبارُهُ
تراه إذا غنى يطير على المهرِ
ويحييه على إنشائه جائزة دبي للقرآن الكريم:
جزاك ربك إذ أنشأت جائزة
تسعى إلى خدمة القرآن والدين

ما خاب من نصر القرآن ينشره
فيعصف النور عصفاً بالرياحين
حبلاً من الله ينجينا وينقذنا
من الجحيم وزقومٍ وغسلين
هو الكتاب الذي ما زال يخرجنا
إلى سنى النور من ظلماتنا الجونِ
كما يثني على موقف الشيخ عبد الله بن زايد -وزير الخارجية- من قضية (والت دزني-
عام 1999)، في قصيدة بعنوان (صلاح الدين في ديزني لاند)، ويحكي فيها قصة حلم
رآه في المنام، ورأى فيه صلاح الدين، يزور (ديزني لاند)، ويأسى لتزوير اليهود فيها
للحقائق التاريخية، ثم يشير إلى الشيخ عبد الله بن زايد بقوله:
وفجأة رأيت (عبدالله)

يلوح في الزحام

ووحده يبرز للأمام

وببدأ الكلام بالسلام

تحية الإسلام

وبعدها يقول:

بالأمس أيها الهمام

هزمت (قلب الأسد) الضرغام

واليوم يا فارسنا المقدام

تسحقنا الثعالب الطغام

بل نحن قد هزمنا نفسنا

ففي صفوفنا

من ينشر الخلاف والإحجام

أرض ومدن الإمارات في شعر شهاب غانم

حظيت أرض ومدن الإمارات بنصيب وافر من قصائد شهاب غانم، وأول ما يستوقفنا في هذه المجموعة تلك الأناشيد الجميلة التي تغنى الشاعر فيها بحب الإمارات، فمن ذلك أنشودته التي يقول في مطلعها:

الإمارات بلادي
حبها ملء فؤادي
وسأفديها بروحي
لو دنا منها الأعادي
هي أرض الاتحاد

ولا يقتصر الشاعر على التغني بأرض الإمارات كلها، بل نجده يتغنى بجمال بعض مدن الإمارات وبمياه الخليج التي تحوطها، على نحو ما نجد في قصيدته التي يتغنى فيها بأم القيوين:

بوركت يا أم القوين مدينة
حوت الوداعة والجمال الصافي
والبحر في شغف يطوق خصرها
بالساعد المترفق الشفاف

ونراه يمزج بين جمال الخليج وجمال المحبوب في بعض قصائده الغزلية، كما في قوله في قصيدة (أغنية عيد للخليج):

ليالي العيد تحلو في الخليج
بسحر سنا محياك البهيج
ونغمة صوتك العذب الغنوج
يغني: العيد يحلو في الخليج

وبتخيل أمواج الخليج أهازيج يشارك بها الخليج الإمارات فرحها بعيد الاتحاد، فيقول في قصيدة (عيد الإمارات):

عيد الإمارات هذا ريحك العطرُ

كأنه الفل والريحان والزهرُ

وللخليج أهازيج يرددُها

في كل قلب نديٍّ خافق وتُرُ

وحين يسافر الشاعر إلى بريطانيا لدراسة الدكتوراه يتشوق إلى الإمارات وإلى أسرته، فيعبر عن ذلك بقصيدة يخاطب فيها زوجته التي تركها في الإمارات، يقول في قصيدة (من أوراق الغربة):

لعلك لا تدرين كم أتعذبُ

وكيف فؤادي بالبعد يُذَوَّبُ

ويعصف ما يكابده، من نيران الفراق والشوق، ولكنه يتعزى بوجود ابنه الصغير (وضاح) الذي يؤنس غربته وبالقصائد التي ينفّس بها عن شوقه، وبزملائه العرب الدارسين في بريطانيا:

فلولا الفتى (وضاح) مصباح غربتي

ولولا صبايا الشعر تُملِي وأُكتبُ

ولولا رفاق العلم من أرض يعرب

يوحدنا دين وضاد ومأربُ

ويجمعنا شوقٌ لأرضٍ حبيبةٍ

يوحدها فينا مَعَدٌّ ويعربُ

لكان لنا هذا التغرب محنة

تفوق احتمال المرء والشَّعْرُ أشيبُ

أدباء الإمارات في شعر شهاب غانم

ارتبط الشاعر شهاب غانم بصداقات مع أدباء ومتقفي الإمارات، حيث جمعهم الهم الثقافي، والأمسيات الأدبية، والاهتمامات المشتركة. والشاعر عضو في ندوة الثقافة والعلوم، وهو من مؤسسي مجلة (المنتدى) التي كانت أول مجلة ثقافية تصدر في الإمارات، في ثمانينيات القرن الماضي.

وقد تبادل الشاعر شهاب مع بعض هؤلاء الأدباء والشعراء القصائد، وقد ارتبط الشاعر بصداقة حميمة مع الشاعر الراحل حمد بوشهاب رحمه الله، وكانت بينهما مساجلات شعرية. فمن ذلك قوله في قصيدة بعنوان (أخي حمد والشهب تجمع بيننا)، مهنئاً له بالشفاء من المرض، وبصدور ديوانه (أريج السمر):

شفيت وعافاك الإله وسلما

ولا ذاق منك القلب يوماً تأزماً

وألبسك الرحمن سريال صحة

وأبقاك للأهل الكرام منعماً

وصانك للشعر الرفيع تصوغه

فتبدع أنغاماً تحلّق في السما

وكان الشاعر حمد بوشهاب قد حياه في غربته ببريطانيا بأبيات على وزن وروي قصيدة (من أوراق الغربة)، التي أشرنا إليها من قبل، مطلعها:

نأى بك عنا يا أخا الود مطلبُ

إلى مثله تسعى العقول وتدابُ

كما نجد الشاعر شهاب غانم يُحيي الشاعر حمد بوشهاب مرة أخرى مع الشاعرين محمد بن طوق وسالم الزمر في قصيدة بعنوان (صدى) يقول فيها:

غنى (ابن طوق) وقد شبت قصائده

عن كل طوق ففيها البحر موارُ

"أبو خليفة أستاذي" يقول لهم
ومن سجاياه تقدير وإيثارُ
و(سالم الزمر) قد يشدو لهم وله
في عالم الشعر من داود مزمارُ
أما المراثي فقد أشرنا من قبل إلى مراثيته في (تريم عمران)، التي يقول فيها:
رحلت أبا نجلاء أهلك في أسي
وصحبك والفراء فالحزن أحزانُ
ويرثي الشاعر محمد بن حاضر -رحمه الله- الذي وافته المنية فجأة في باريس، بأبيات
مطلعها:

في عاصمة النور
انطفأ سراج
لدبي وهاج
كان بشعلات الشعر يemor
فاشتد الديجور

على أننا نعجب إذ نرى ديوانه يخلو من قصيدة رثاء في صديقه الحميم الشاعر حمد
خليفة بوشهاب، على عمق الصداقة بينهما، ولعل مرد ذلك أن الشاعر شهاب غانم كان
يرثي بعض الشعراء والأدباء بمقالات نثرية، وقد جمعها في كتاب بعنوان: (كلمات وفاء
في رحيل الشعراء والأدباء).

وهكذا تتبعنا نماذج من قصائد الشاعر شهاب غانم عن الإمارات، ورأينا أن قصائده عن
الإمارات قد تنوعت بين التغني بالاتحاد، ومدح الحكام ورثاء الراحلين منهم، بالإضافة إلى
التعبير عن الحب والشوق لأرض الإمارات ومدنها، كما أشرنا إلى قصائده التي كتبها في
شعراء وأدباء الإمارات، وبعض مراثيه في الراحلين منهم.

مقدمات الدواوين

مقدمة ديوان "منة قصيدة وقصيدة"

سيف المري*

الشاعر والصادق د. شهاب غانم شخصية أدبية وقامة ثقافية غنية عن التعريف والتقديم، لولا أدبيات ما تعارفنا عليه في مجلة دبي الثقافية من كتابة مقدمة باسم الدار عن صاحب المؤلف. ولعله من نافلة القول أن نشير إلى أهمية موقع شعر د. شهاب غانم من الشعر العربي المعاصر، ذلك أن إصداراته ومشاركاته كثيرة وترجماته لها نكهة شعرية خاصة، إذ إنه من القلائل الذين يترجمون الشعر بالشعر، فيحافظ هو بذلك على روح النص الأولى ويجدد فيها ويعطيها طاقة وحياة تشبه الحياة التي كانت عليها.

ونحن في هذا الإصدار لا نتعرف على شعر شهاب غانم، وإنما نبحر في أعماق شاعريته، وهاهو يوفر علينا جهداً جهيداً حين يختار لنا من بستان أشعاره ما يربو على المئة زهرة ولكل زهرة لون مميز ورائحة ذكية من جنة بريرة آتت أكلها ضعفين. كما أنه من خلال هذه المختارات يختزل لنا تجربته الممتدة لأكثر من نصف قرن، كيف لا وهو سليل بيت الشعر والعلم والأدب؟

ومع ما يأسرك به من تواضع جم، فإن د. شهاب غانم من عمالقة الكلمة الشعرية الحية ومن رواد الترجمة الشعرية المميزة. فلنقلب مع صفحات هذا الديوان الشعري الذي تتجلى فيه شاعرية د. شهاب غانم بشكل يدعو إلى الإعجاب، ونرجو أن نكون باختيار هذا الإصدار لدبي الثقافية قد قدمنا ولو القليل من الخدمة للأدب العربي وللثقافة العربية.

دبي: يونيو 2011م

* شاعر إماراتي، رئيس تحرير مجلة دبي الثقافية.

مقدمة ديوان "بين شط وآخر"

أحمد بن محمد الشامي*

وراثـة الشعر ظاهـرة أدبية لها في تاريخ الشعر العربي حديث طويل، وقد ضربوا لها الأمثال قديماً بالشاعر الفحل كعب بن زهير صاحب: "بانت سعاد فقلبي اليوم متبول" الخ.. فأبوه هو الشاعر الكبير الحكيم زهير بن أبي سلمى صاحب المعلقة العظيمة، وبالشاعر عمرو بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري وكان ابنه "معن" بن عمرو شاعراً، وابنـه الضحـاك بن معن شاعراً شريفاً أيضاً، وبالشاعر الفذ دعلج بن علي الخزاعي، فقد كان أبوه شاعراً مجيداً، ويـال "الكميت" وهم كما قال "المرزباني" ثلاثة كلهم شعراء: أولهم الكميـت بن ثعلبة وهو "مخضرم"، وثانيهم الكميـت بن معروف بن ثعلبة، ثم الأخير شاعر أهل البيت الكميـت بن زيد الذائع الصيت، والشاعر كلثوم بن عمرو العتـابي الشاعر المجيد، والكاتب المترسل، والذي رموه بالزندقة والرفض فطلبه "الرشيد" وهرب لاجئاً إلى "اليمن" في قصة مثيرة، وهو من ولد الشاعر الفحل عمرو بن كلثوم القائل في معلقته الرائعة:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وذكروا أن المنذر بن حرام الخزرجي الشاعر هو جد حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قال دعلج والمبرد كما روى المرزباني في معجم الشعراء: "أعرق الناس في الشعر آل حسان فإنهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام" إلى غير هؤلاء أمثال "آل بن مفرغ الحميري" و"عبد المطلب بن هاشم" وسلسلته الشعرية طويلة جداً.

والبيوت المعروفة بالشعر في "اليمن" كثيرة ومنهم آل "الإرياني" وفي طليعتهم في وقتنا هذا الشاعر الفحل محمد بن عقيل الإرياني وأبوه هو الشاعر الفذ عقيل بن الشاعر الكبير يحيى بن محمد الإرياني، وقد كان عمه "علي بن يحيى" شاعراً مجيداً وابنـه مطهر بن علي من الشعراء المبدعين، وعمه محمد بن يحيى من فحول شعراء اليمن وكذلك أخوه

* شاعر يمني، ولد في اليمن (1924م). وتوفي في بريطانيا (2005م).

الرئيس السابق عبد الرحمن بن يحيى الإيراني له شعر حسن بديع ولو شئت لذكرت آل "السقاف" و"الوزير" و"الأمير" و"العنسي" و"الزبيري" و"الأنسي" وغيرهم وهيئات أن أحصيتهم عدداً؛ وإن أنس فلن أنس ألطف وأظرف شعراء اليمن في عصرنا إبراهيم الحضرائي، فأبوه هو الشاعر الراوية أحمد بن الشاعر محمد الحضرائي، وأخوه هو الشاعر الشعبي الكبير محمد بن أحمد بن محمد الحضرائي.

خطر كل ذلك بالبال حين طلب إليّ الشاعر شهاب ابن صديقي الشاعر الكبير الدكتور محمد عبده غانم أن أكتب مقدمة لديوانه الأول "بين شط وآخر" وازدادت هذه الصور الشعرية جمالاً ووضوحاً عندما تذكرت أن خال شاعرنا شهاب غانم هو الشاعر النحرير علي محمد لقمان رحمه الله: وإذا فسأقدم إلى عالم الشعر والشعراء شاعراً أصيلاً عريقاً، نشأ وشبّ في روضة الفن والأدب، وتنقف ثقافة عربية سامية حديثة.

وللصلة الأدبية الوثيقة بيني وبين الدكتور الشاعر محمد عبده غانم وهي ترجع إلى ما قبل أربعين عاماً حين كان بلبلًا غريباً يتخذ من جريدة "فتاة الجزيرة" أيكة يرسل منها أناشيده باسمه الصريح تارة، وأخرى باسم مستعار هو "صدى صيرة" فتهتز له المحافل طرباً، ونعجب نحن شباب "صنعاء" بما كنا نظنه جديداً على الشعر المتعارف عليه في مجتمعنا اليمني حينذاك، إذ كان مع زميله علي لقمان في "عدن" مثلما كان الشاعران علي باكثر وحسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في "حضر موت" في طليعة رعييل الشعراء "الرومانسيين" اليمنيين ينتهجون نفس الأساليب التي انتهجها الشعراء "تاجي" و"رامي" و"الشابي" و"أبو شادي" وسائر شعراء "أبولو". وقد توثقت هذه الصلة عندما هاجرت إلى عدن مع الشاعرين "الموشكي" و"الزبيري" والأستاذ "نعمان" سنة 1944م وامتزجت بالشاعر الفنان ودّاً وشعراً وفناً. ولذلك كله فلم يكن من الغريب أن يطلب مني الشاعر شهاب غانم أن أكتب مقدمة لبأكورة دواوينه، ولم يكن من الغريب أيضاً أن أستجيب بشوق وارتياح: ولو لم يكن إلا لكي أرد بعض الجميل، وأودّي قسطاً من دين أدبي علينا نحن أبناء "صنعاء" نحو أدباء "عدن" التي كانت في يوم من الأيام مصدر إشعاع فني وشعري لليمن كلها: ولا سيما عندما فررنا إليها بأحلامنا وآمالنا واتخذنا من جريدة "فتاة

الجزيرة" و "مخيم أبي الطيب" و "نادي الإصلاح" مجالات نشاط فكري وأدبي وسياسي وكان أبنائها "لقمان" و "غانم" و "الصافي" و "الأصنج" و "خليفة" و "جرجرة" و فلان و فلان نعم الزملاء والإخوان والأنصار. وما شاعرنا، شهاب إلا فرع من تلك الدوحة الوارفة الظلال، وزهرة من أزهارها، وثمره يانعة من ثمارها.

لم أطلع على كل قصائد هذا الديوان ولكن صاحبه أكرمني بمختارات منه جعلتني ألمس فيها شاعريته الجياشة وإخلاصه للكلمة والفكرة والموسيقى في وقت معاً وذلك ما يبشر بمستقبل شعري مثير.

ولقد أعجبني التزامه - وهو يساير شعراء ما يسمى بالشعر الجديد - بالنغمة والتفعيلة وهما لب الشعر وروحه: ولا أسمى البيان - أي بيان - بدونهما شعراً إلا مجازاً.. وذلك وحده يدل على أصالة شهاب الشعرية وعلى درايته وقدرته أيضاً - وليسامحني شهاب أو غيره إن كانوا لا يرون رأيي..

فقد أصبحت راسخ الاعتقاد مع أنني صاحب "لزوميات" الشعر الجديد وأسطورة اليمن السعيد ومن أوائل المتمردين على القوافي في اليمن - بأنه ليس هناك في الشعر جديد ولا قديم، ولا "ثابت ولا متحول".. وأن هناك أصالة وجودة، أو تقليد وإسفاف، بل وأدعي بأن الناس في زماننا لم يأتوا بجديد ذي بال بالنسبة للمعاني والصور الشعرية، ومن يسمونهم مجددین منهم إنما يتوقفون في إبداع صيغ جميلة لمعانٍ قديمة خالدة فيتهم من لا يعرف تلك المعاني، أو من لم تخلق فطرة في روحه ومشاعره، أنهم قد أتوا بشيء جديد: والمعاني كل المعاني.. للخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والجمال والقبح، والإصلاح والفساد، والجد والمجون، قديمة قدم الأسماء كلها التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام، والجديد كل الجديد إنما - شعرياً - في الصيغ والقوالب اللفظية والتراكيب البيانية وقديما قال عنتره بن شداد "هل غادر الشعراء من متردم" وقال الشاعر "وما أرانا نقول إلا معادا" الخ..

ولقد كنت منذ أيام في حوار مع صديقي الشاعر إبراهيم الحضراني ومما ذكرته به وافراً
وهو يصغي إليه بأنه يكاد يصغي إلى صوت إبراهيم ناجي أو حسن إسماعيل، أو
الشابي، قول الشاعر الجاهلي عمرو بن حلزة اليشكري وهو يرثى أخاه:

يأمن الأيام مغتر بها ما رأينا قط دهرًا لا يخون
والملمات فما أعجبها: للملمات ظهورٌ وبطون
هوّن الأمر تعشّ في راحة قلما هونت إلا سيهون
ربما قرت عيون بشجى مرمض، قد سخنت منه عيون
لا تكن محتقراً شأنٍ أمرئٍ ربما كان من الشأن شئون

والتجديد والابتكار لم يكن في عصرنا هذا إلا في حقول الصناعة والهندسة والطب
والكهرباء ونحوها مما نراه ونعيشه ونستمتع به وأما في الشعر والبيان فلا.. وإنما هي
الأصالة والجودة والقدرة أو التقليد والرداءة والعجز شيء نستحسنه ونلتذ به ونطرب له،
وأخر نستقبحه ونضيق به ذرعاً.

والشاعر شهاب غانم مثل والده أب حنون عاطفي، يحب أن يتغنى بأفلاذ أكباد، وقصيدة
"وئام" فيها من الحنان الأبوي والحب الصادق ما يروق ويعجب وكذلك في قصائده
الأخرى.

ومع ذلك فقد يأتي العيد فلا يهمه أن يسعد مع أسرته الصغيرة وهو الأب الحنون، والزوج
الوفي، بل يتذكر قضيته الكبرى فيقول:

يا عيد لم يبق في الأعياد أوطار كيف السرور وملء القلب

أوضار!؟

تضامن العرب آمال مُبَدَّة ووحدّة العرب تاريخ وأخبار!
وترية المسجد الأقصى يدنسها نعل الغزاة، ولا خزي ولا عار
لا خالداً لا صلاح الدين، لا عُمَرُ لا مرهف من سيوف الله بتأر
عشرون قطراً ونيف نحن في عدد وكل جار عليه يعتدي الجار!

وهذا من الشعر الرصين الهادف الجيد سبكاً ولفظاً ومعنى ولا يستطيعه إلا المتمكن
القدير، وشهاب وصاف ماهر حاذق يستوعب ما يراه ببصر ثاقب وبصيرة واعية،
ويحصي بشعره كل ما تسجله عدسة طرفه من مناظر خلابة، وأقرأ قصائده "سويسرا" و"
تاج محل".

ولشهاب غانم حس فلسفي عميق، وحكمة وحصافة، واستمع إليه يقول:

إنها الموجة تأتي

إنها الموجة تذهب

إنها الموجة تلهو

إنها الموجة تلعب

سوف تأتي ثم تذهب

فإذا الأيام تقسو

ربما في الغد تأسو

وإذا الدهر تبسم

لا يغرنك.. غدا قد يتجهّم

فلماذا نتألم؟

يا حبيبي..

يا أغاريدي، وطبيبي.

ولقد أعجبني المعنى البديع الذي راوده برقّة ولطفٍ فقال:

وفراشة خبرت أساليب الهوى فمضت ترفرف في الرى وتطير

الورد آذان لهمس حديثها تنتسقط النغمات حين تطير

إلى آخر الأبيات "فراشة وورود".

وله من أمثال هذه المعاني البديعة الكثير وهي ماثلة في قصائده ولا يسعني إلا أن
أعجب بقوله:

هل ترين اشتعال لَمّةٍ رأسي وشبابي مازال في العنفوان

هو في لِمَتِّي انعكاس لما يبى من ضلوعي من لوعة الفنان
ولغة شهاب لغة صافية منتقاة وقاموسه ثري، فهو يتلاعب بالألفاظ تلاعب القدير وذلك
عند العارفين بالشعر من ميزات المبرزين.
ومن أحسن ما في الديوان بل هي أهم ما سمعته للمبدعين من شعراء اليمن المحدثين
قصيدة "البحث" وفيها من العمق والمعاني ما يدل على أن وراءها شاعر حكيم ذو جودة
ولباقة.

وبعد فهذا هو الديوان الأول للشاعر شهاب غانم، وهو باكورة شاعر مهندس عصامي،
ابن شاعر عالم فنان، ولا شك لدي أنه إذا تأبر وأخلص روحه وأحاسيسه للشعر - وهو
فاعل إن شاء الله - فسوف يكون له في عالم الشعر وآفاقه صوت جهير ويتجدد "غانم"
الشاعر فيه، كما تجدد زهير في "كعب" و"حسان" في "عبدالرحمن".

بروملي: 6-11-1981م / 9 محرم 1402هـ

تقديم ديوان "بصمات على الرمال"

عبد المنعم عواد يوسف

أحب أن أقرر بادئ ذي بدء، أننا مع شهاب غانم، إزاء شاعر متمكن من ناحية التعبير كل التمكن، يستوى في ذلك شعره البيتي، وشعره التفعيلي، كما يحب أن يطلق عليه أستاذنا الدكتور محمد عبده غانم والد صاحب الديوان.

وإذا كان لكل شاعر جوه الأثير الذي يحب أن يخلق في آفاقه فإن شاعرنا يحب أن يخلق في كل الأجواء، وإن كان المجال الذي يتفوق فيه على نفسه بحق هو المجال العاطفي، ولا أقصد بذلك المعنى العام للشعر العاطفي، وإنما أخص شعر الغزل بالذات. أجل إن شاعرنا شهاب غانم يسبح في هذا التيار بمهارة ولا أدل على ذلك من أن نصف هذا الديوان الذي بين أيدينا يدخل فيما اصطلح على تسميته بشعر الغزل وربما يكون مرد ذلك إلى أن معظم هذه القصائد قد كتبت في الستينات، حيث كان الشاعر وقتها في مطلع شبابه.

والمتصفح للديوان يجد أن الشاعر قد عالج في ديوانه فنون الشعر المختلفة، فهو ينتقل بمهارة واقتدار بين الموضوعات القومية والوطنية والإنسانية والنفسية والروحية ليقف طويلاً مع الموضوع الأثير عنده وهو الشعر العاطفي كما سبق أن أوضحت.

ولو أردت الوقوف وقفة قصيرة مع كل جانب من هذه الجوانب المختلفة التي يخلق في آفاقها شاعرنا شهاب لقلت إن شعره القومي يمتاز بعمق الإحساس بانتمائه العربي، وإن هذا الإحساس القوي ليدفعه دفعا بكل صلابة وعناد في وجه أعداء أمته العربية، متحدياً إياهم وهو يذكرهم بانتصارات هذه الأمة في كثير من مواقفها البطولية. لنستمع إليه يقول في قصيدته التفعيلية الثائرة (عبثاً):

قولوا لأعداء العروبة

قد شب من أرضي السلبية

سيناء...

والجولان...

والقدس الحبيبة ...
لهب يؤجج كل قلب
في كل صوب
من كل حذب
صوت ينادي كل حر
في كل قطر
كيما يقابل بالتحدي
نير الصلافة والتعدي
ولا تقل حرارة التعبير في شعره عن هذه الحرارة التي لمسناها في شعره القومي ولنستمع
اليه معبراً عن انتمائه إلى دولة الإمارات بهذه الأبيات من قصيدته عن الاتحاد:
رفعوا الحدود فلا حدودا
فكأن ما عرفت وجودا
وكأن ما كانت لنا
من دون وحدتنا سدودا
فَطِنَ الكبار لشُرّها
فمضوا يدكّون الحدودا
فاذا بمولد دولة
أقوى أساسا بل عمودا
وشهاب غانم كشاعر وطني - تهزه الفرحة حين تحقق دولة الإمارات انتصاراً في أحد
المجالات - فهذا هو يمتلئ نشوة وسعادة حينما يتألق بطل من أبناء الإمارات محرزاً
بطولة دولية. إن شاعرنا ينفعل انفعالا صادقا بفوز بطل الشطرنج سعيد أحمد سعيد
وتفوقه على أبطال العالم الناشئين في هذا المجال فيقول:
رفعت رؤوس قومك يا سعيد
فلا عجب إذا صدح القصيد

لقد حققت في الشطرنج نصرا
هو النصر المؤزر والمجيد
رفعت به رؤوس العرب طرا
فعاد بنصرك المجد التليد
فالشاعر الذي يتألق في التعبير عن التيار القومي والتيار العاطفي لا ينسى أن يشارك
الإنسانية كلها انفعالها بالأحداث الجسام التي تمر بالعالم فانتماؤه الوطني أولا وانتماؤه
القومي ثانياً، لا ينسيانه انتماؤه الإنساني، فيعبر عن هذا الانتماء من خلال مجموعة من
القصائد التي تتناول الجوانب الإنسانية بوجه عام.
إن الإنسانية كلها تهتز انفعالا حينما يغزو الإنسان القمر، ويشارك شاعرنا العالم انفعاله
بهذا الحدث الكبير يقول في قصيدة (غزو القمر):

ما أروع الأنسان حين غدا

يغزو المدى بالعلم والفكر

ويصوغ في الأبعاد معجزة

متحديا للخوف والخطر

يجلو بها سر الفضاء وما

يطويه من خُبرٍ ومن خُبرٍ

أما الشعر النفسي فشاعرنا له فيه عدة قصائد جيدة، وأعني بالشعر النفسي هذا الشعر
الذي يتناول أحاسيس الشاعر الخاصة ومشاعره الذاتية، وانطباعاته عن الكون والحياة
وهو الشعر الذي اصطلح على تسميته شعر التأملات النفسية ومن هذا النوع قصائد عبث
التمني، في الثلاثين، الأحلام الخائنة، مهيبض الجناح، قصور الرمال، صحوة، إلى شاعر،
أطلال، أرق). لنستمع إليه يقول في قصيدة (الأحلام الخائنة):

الليل والآلام والدنيا المبعثرة الغبيّة

والبؤس يجثم فوق صدري مثل أطواد خفيّة

ولكم تمنيت الخلاص ولو على أيدي المنية

لم تبقَ لي في وحشة الر مضاء واحات نديّة
والشاعر كما أبدع في الجوانب السابقة يبدع في شعر الابتهاالات الدينية, وهو هذا الشعر
الذي يناجي فيه الشاعر ربه بكل ما يجيش به قلبه من إيمان عميق وإحساس ديني نبيل,
لنستمع اليه يقول في قصيدة (مناجاة):

يا إلهي أنزل عليّ السكينة
وترفق بمهجتي المسكينة
وأعني على الحياة وهبني
جلداً تئأس المصائب دونه
أعطني قوة أصدّ بها الكيد
فيرتد للنحور الخؤونة
أو فهبني قلباً فسيحاً ولكن
ضيق..... ضيق بوجه الضغينة

وكم كنت أود أن أطيل عند هذا الفن الشعري الذي أبدع فيه وأجاد شاعرنا شهاب, وهو
الشعر الغزل الرقيق الذي سما فيه إلى أعلى آفاق الإبداع, بيد أنني آثرت أن أترك القارئ
وحده يستمتع بهذه الضرب الجميل من شعر شاعرنا العذب, ولا بأس من أن نردد معاً هذا
المقطع البديع من قصيدته (عيناك):

لعينيك أسرار أهيم بحالها
رموش وجفن ناعس وبريق
لعينيك دفء بل جحيم يذيني
متى كان من ماء يشب حريق
فيا حلوة العينين لا تظلمي فتى
بعينيك سكران وليس يفيق
رأى الموت في عينيك عذبا مذاقه
فمن أيّ عين تأمرين يذوق

بقيت كلمة قصيرة حول البناء الفني للقصائد فشاعرنا وإن كان يؤثر القصيدة البيتية فهو لا يرفض الشكل الجديد، أعني الشعر التفعيلي، والديوان الذي بين أيدينا يضم بضع قصائد من هذا النوع.

وكما أجاد الشاعر في قصائده البيتية أجاد في هذه القصائد، مما يؤكد أن الشاعر المطبوع يستطيع أن يجيد في أيّ اللونين، ما دام قد سيطر على أدواته التعبيرية، وأمسك بناصية الأداء الفني بتمكن واقتدار.

دبي: 1983م

إضاءة لديوان "شواظ في العتمة"

د. عبد العزيز المقالح*

من الصعب الحديث عن ديوان قديم أو جديد للشاعر شهاب غانم دون الإشارة إلى والده الشاعر الكبير والأستاذ الناقد الدكتور محمد عبده غانم، ودون الإشارة إلى البيئة الشعرية التي خلقها ذلك الوالد ونشأ في رحابها شاعرنا الشاب، فمن مدرسة الدكتور غانم خرج، ومن البيئة الأدبية التي أحاطت به منذ طفولته الباكورة ولدت الموهبة الشعرية وتكونت أبعاد الطموح إلى خوض الشعر والبحث معه عن أقصى درجة من درجات الإبداع الشعري.

ولا أخشى أن يضيق غرور الشاعر شهاب غانم من الإشارة - وحتى الحديث - عن والده في مقدمة ديوانه، لا لأنه من الشعراء الأوفياء لا بائهم وأسأذنتهم وحسب وإنما لان الحديث عن ذلك الوالد الشاعر جزء لا يتجزأ من الحديث عن بيئة الشاعر وظروف تكونه الأولى، وما من شاعر إلا وقد كانت له مدرسته الأولى التي أفاد منها واقتنص من أساليبها قبل أن يستقيم له أسلوبه وتستقيم له لغته، وظروف التكوين الأولى للشاعر هي التي يسميها بعض النقاد مرحلة جدل الشاعر مع نفسه والآخرين، مع خصوصيته المنتظرة وصيرورة الواقع الشعري قبل أن يدلف إليه ويرفده بمواليد موهبته الشعرية التي لا بد أن تكون قد عانت زمناً واعتادت إشعال النار في الكلمات سراً قبل أن تشعل النار في الكلمات بشكل سافر.

وقد كان الدكتور محمد عبده غانم - والد الشاعر - أحد المعالم البارزة في الشعر المعاصر في اليمن، وكان في ديوانه الأول (على الشاطئ المسحور) من أوائل شعراء العربية الذين استجابوا للحساسية الرومانتيكية في الشعر العربي الحديث، وقد ترك بصمات تأثيره واضحة في أشعار كثير من الشعراء وآخرهم الشاعر شهاب غانم الذي بدا رومانتيكياً تستهويه الطبيعة وتعذبُهُ الحيرة والتساؤل، والدوران في حلقة مفرغة من الشعور بالضجر والإخفاق وما يزال تأثير مرحلة التشكيل الرومانتيكي قائماً في هذا الديوان:

* شاعر وأكاديمي يمني، مدير مركز البحوث والدراسات في صنعاء، ولد عام 1936م.

ماذا تريد من السؤال أو الجواب
أنسيت (هَمَلْتُ) كيف دوّخه السؤال:
أيكونه ... أم لا يكون؟
بل كاد أن يرميه في أيدي الخبال
كيما تمزقه مخالباها الطوال
يا صاحبي المسكين مالك والجنون
والآخرون بكل ركن يشخرون
أطبق على الدنيا الجفون
أواه ما أحلى السكينة والسكون
أطبق على الدنيا الجفون..
(من قصيدة أرق)

وفي هذا الديوان -كما في دواوين الشاعر السابقة- نجد المزوجة في شكل القصيدة بين البناء البيتي والبناء الجديد، وجديده في هذا الديوان أكثر تطوراً واقتحاماً، والقصائد البيئية أقل عدداً، مما يوحي بأنه في طريقه إلى التخفيف منها أو الاستغناء عن اللجوء إلى كتابتها، وهو ما لا أتمناه ولا أرجوه للشاعر شهاب غانم الذي نشأ في بيت الشعر والشعراء، وامتلأ منذ نعومة أظافره أدوات القصيدة البيئية وعناصرها الإيقاعية والبصرية، وقد أحسن هذا الامتلاك وأجاد استخدام القوالب النغمية الموروثة، كما في القصيدة التالية:

ابتعد يا معذبي عن طريقي	ولئن كنت لم تزل معشوقي
فاض كيل العذاب.. لم يبق صبر	في فؤادي الممزق المسحوق
إن عهدي بالحب عندك بذل	واشتياق إلى محب مشوق
وابتسام ووشوشات وهمس	في حديث عذب كشعري الرقيق
فلماذا غيرت ذاك طريقاً	وتغيرت في خضم الطرق!

(من قصيدة ابتعد)

إن للإيقاع هنا في هذه القصيدة دلالة خاصة تكشف عن خبرة الشاعر وتمرسه الطويل مع هذا الشكل الشعري الذي سيبقى أحد القوالب الفنية القادرة على هدهدة عواطفنا بغنائيته الشجية القادمة من وراء القرون. ولابد للشاعر أن يقتحم الشكل أو القالب الذي

سيحمل إلى الآخرين صوت نفسه، أن يختار، وإن كانت قضية الاختيار كقضية التجديد والمحافظة ذاتها معقدة ومتشابكة، وقضية في هذا المستوى من التعقيد والتداخل لا يحسم أمرها سوى وعي الشاعر وشعوره بالحضور في أي شكل من الأشكال أو في أي مستوى من مستويات اللغة، وفي هذه المزاوجة بين الشكليات وفي تنقل الشاعر شهاب غانم من البيتية إلى السطرية إذا جاز الوصف، في هذا الاختيار الصعب مجال واسع للارتقاء بالقصيدة العربية دون أن تصل المفارقة إلى ذروتها وترتفع إلى مستوى التحدي التاريخي الذي لا يصنع شيئاً سوى أن يلقي بالشعر والشعراء في فخ خديعة قد يعرفون بدايتها لكنهم لن يعرفوا لها نهاية.

وللشاعر شهاب غانم في هذا الديوان قصيدة عنوانها (المخاض في وادي عبقر) وهي التعبير الشعري عن المعاناة التي يجدها الشاعر لا في العجز عن اختيار الشكل المناسب وحسب وإنما في العجز عن اقتناص ما يستحق الاقتناص من القصائد التي يموج بها رأس الشاعر وتمتلئ بها أقطار نفسه. إن فاعلية الخلق الشعري على درجة عالية من الحدة والتوهج، وملاحقة هذه الفاعلية أصعب ما في التجربة الشعرية:

تموت برأسي ألوف القصائد قبل الولادة

بدون الإرادة تجهض حيناً ... وحيناً بكل الإرادة

تموت وعيناى مغمضتان، وصدغي فوق الوسادة

تموت وكفاي في عجالات القيادة

تموت بكل مكان

وفي كل آن

وتمسيمنية عندي عادة

إن لحظة الإبداع الشعري لحظة خاطفة، إضاءة عابرة إن لم ننتبه لها في سياق التوتر فإنها تمضي سريعاً وتتطفئ غير مخلفة سوى انفعالات وجدانيه غامضة، وما أكثر القصائد التي لمعت كالبرق واختفت كالبرق وكانت أجمل القصائد، وما أكثر القصائد أيضاً التي تلتصق بجدران الذاكرة وتقرض وجودها على الورق دون أن تكون مرغوبة وربما كانت من أردأ القصائد :

تموت لدي القصائد بعد الولادة
أمزقها في القراطيس ..أطفئ فيها الحياة
فتبلعها سلة المهملات
وكننت قضيت الليالي الطوال
على فحمها أنحت الأحرف المشرقات

حسنا يفعل الشعراء في تمزيق الرديء من قصائدهم، وإن كانت القلة القليلة منهم هي التي تحاول أن تفعل بينما الغالبية تعتمد إلى نشر كل ما يسقط على الذاكرة أو على الأوراق من منظومات تزينها الأساليب البلاغية المتجمدة. لقد استطاع شهاب غانم في سنوات قليلة أن يستفيد كثيراً من التجربة الشعرية المعاصرة في كتابة الشعر وتطوير أدواته الفنية، ثم في تعميق مفهومه الخاص نحو الشعر والخروج برؤية تجاوز النظرة التقليدية وتجاوز الأدوات الاعتيادية المعروفة، إلا إنه ما يزال أشد حرصاً على موسيقى الشعر باعتباره الإيقاع قاعدة الفن الشعري المقدسة التي لا يمكن الخروج عليها ولا يجوز الانفلات عن إطارها حتى يبقى للشعر هذا التأثير النقي الصافي وهذه القوة السحرية الجاذبة ذات الرنين الشجي الذي يمتد إلى داخل النفس.

بقيت سطور قليلة في هذا التقديم، وهي عبارة عن الديوان القادم للشاعر شهاب غانم وعن قصائده القادمة والتي ينبغي أن يفيد من تجربة هذا الديوان كما أفاد هذا الديوان من التجارب التي سبقته، ولعل أهم ما ينبغي للشاعر أن يفيد منه هو تطوير الصوت الغاضب الذي ينطلق من تجربة القهر المرير في استحياء، فأنت تحس وأنت تقرأ معظم قصائد شهاب غانم أنك أمام موهبة شعرية تعرف كيف تحب وترضى ولا تعرف كيف تغضب وتسخط، وأول مظاهر الغضب والسخط المطلوبين سوف تتصب على القصيدة نفسها، على طريقة بناء الجملة الشعرية والخروج بها إلى مجال جديد، مجال يرسم ملامح الوطن العربي المتعب بأظافر الكلمات وأسنان الموسيقى.

جامعة صنعاء: 19 ديسمبر 1984م

كلمات التكریم فی الإثنینة

كلمة سعادة الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجة*

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطاهرين وصحابته أجمعين.
الأستاذات الفاضلات.
الأخوة الأكارم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كم هو جميل أن نتقياً هذا المساء ظلال دوح الأشعار الجميلة، والمقالات الرصينة، والبحوث الأنيقة، والترجمات السديدة! جاد بها ثاني اثنين كرمتهما "الاثنيينة" من الإمارات العربية المتحدة، نلتقي الليلة للاحتفاء بالشاعر، الكاتب الصحفي الأديب المهندس الذي ذاع صيته، وانتشر أريج إبداعات شعره وأدبه، غراس نما وأبنع على ضفاف خليجنا العربي، أول عربي ينال جائزة طاغور، سعادة الدكتور شهاب محمد عبده غانم، فمرحباً به ضيفاً عزيزاً بيننا.

أيها الأخوة، ضيفنا الكبير له مع العلوم التطبيقية شأن يليق بقيمته وقامته، فأبدع وأجاد، وإنه لمكان تكريم وحفاوة لمنجزه العلمي والثقافي. اتضحت له الرؤية ومعالم الطريق حين جأر الحرف بين جنباته، ومارت الكلمة، فأرغد العالم بأعمال جادة في الترجمة، والشعر، والنثر. ويبقى الشعر أبداً "جوهر صدر المحافل". يعدّ ضيفنا الكريم أحد أبرز الشعراء الإماراتيين، الذين لهم باع طويل في مجال الفكر والأدب، أسهم في تأسيس الحركة الثقافية والشعرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، يسعى إلى إبراز وجه بلاده الثقافي من خلال ما ينشره في بعض الصحف والمجلات العربية، وما يترجمه من أشعار إلى لغات أخرى، مؤكداً أهمية التفاعل الثقافي بين الحضارات والشعوب، الذي من شأنه أن يعزز العلاقات على المستويات كافة، وبالتالي يحد كثيراً من آفة الصراعات والحروب.

* مثقف ورجل أعمال سعودي، صاحب منتدى الإثنيينة في جدة.

نقف الليلة معه منتشياً بلذة الحرف، بما امتاز به من أفق لغوي، يمنح اللغة ما تستحقه من عناية ورعاية وإتقان حصيف، وانتقاء دقيق لمفرداته وقاموسه، حريص على وضع الصور الجمالية في إطارها، الذي يستوعب رونقها وبهاءها، يحشد طاقاته لإبداعات متجددة. تثير الخيال وترغد الوجدان، نظرة عجلت إلى مؤلفاته ترسم ملامح مهمة في الحراك الشعري الخليجي الراهن. صوّر كثيراً من المعاني، التي انتزعها جرأة وشفافية من خلال كثير من التجارب والمناسبات، التي وقف عندها متأملاً وراصداً لحركة الحياة من حوله. يرسم بريشته صنوفاً من المواقف والتناقضات التي أيقظت في نفسه نوعاً من القلق، خصوصاً وقد تجاذبته أطراف الغربة بين مدينتين عدن وصنعاء في ذلك الوقت ثم الغربة القصية، ما دفعه نحو مرافئ الحس والفكر والثقافة، وجد نفسه في بيئة غمرته بمكتبة والده الوارفة في متعة أدبية تربي عليها كما تربي عليها أفراد أسرته الكبيرة التي امتهنت الشعر، و عزفت على أوتار الأدب والثقافة.

لضيفنا الكبير إسهاماته الرصينة في فن المقالة، التي وسمها بعمق معرفي، أبعداها في كثير من الأحيان ما يشوب المقالات الصحفية من عيوب مهنية، وضبابية فكرية، وعدم وضوح الرؤى، وكثيراً ما يبتعد عن الوقوع في شرك التشنج لرأي، أو ضحالة التناول لموضوعات لا تشكل إضافة حقيقة لذائقة المتلقي، ينتخبها بموضوعية واضحة، وكثيراً ما تمس المحور المركزي لكثير من القضايا الاجتماعية والثقافية في الساحة الأدبية الراهنة. وفي مجال الكتابة الأدبية، لم يأمن ضيفنا الكريم غوائل الاختلاف حول عطائه ما بين مادح وقادح، فتلك طبيعة الأشياء، غير أنه يرى أن الأمر يتعلق دائماً بعصب المبادئ التي يؤمن بها، فالحياة مبدأ يثبت أمامه ما وجد لذلك طريقاً، إنها مسألة رأي يجب أن يقال من أجل أهداف ومصالح عليا تشكل النسيج الحي، الذي يتفق حوله الجميع من دون مزايدات، حاملاً رسالته التي لم ييخل عليها بجهد ووقته، بل ظل دائماً الواثق في مقدراته وكفاءته، وعدالة الموضوعات التي يعالجها ويعمل عليها وفق مرئياته وآماله وتطلعاته، وأحسبه ظل وفياً لقلمه وعلاقته بالآخر.

تجربته الأولى ديوان شعر بعنوان "بين شط وآخر" دفع به إلى المطبعة عام 1404هـ/1982م. كتب مقدمته الشاعر اليمني الكبير السيد أحمد بن محمد الشامي، الذي أصدرت "الاثنين" المجموعة الكاملة لأعماله في ثلاثة مجلدات عام 1413هـ/الموافق 1993م، كتب شاعرنا الجميل القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، بذات النفس الذي يومض بريقاً بين جنبيه، ثم ينسكب عطراً أو جمرًا على الورق. فقد تناول مختلف أغراض الشعر بكثير من الإبداع المترع بالأصالة. فلاخوانيات نصيب، وللرثاء جانب، وللحب موئل، وللسياسة دروب، وللشأن العام اضطرابات مترعات بالآلام والآمال.

ضيفنا الكريم ممزوج بين وطنين: الإمارات التي جعلته يحتضن شعره، واليمن التي خلفت صوت أبيه عند شوارع الغربة، ورسمت ملامح إبداعاته، فهو يرى أن الشعر يبقى شعراً لأنه شعور إنساني يلتقي حوله أفراد قبيلة الشعر ولكنهم يتفاوتون كل حسب موقفه ونظريته وملابساته، لأن الشعور الإنساني لا يختلف من شخص إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر مشيراً إلى أن الترجمة تفقد الشعر كثيراً من معانيه الإبداعية، إلا أنها تبقى جسراً للتواصل بين الشعوب، ومضماراً للتلاقح الفكري، واستيعاباً لثقافة الأخرى في قوالب أدبية، فهو أيضاً مفتون بها، أفرد لها حيزاً كبيراً في حياته العملية، يرى أن الترجمة ليست مجرد مفردات توضع في مقابلها وإنما هي علم الإحساس بقيمة النص، الذي يصدر من عاطفة وبيئة ومفاهيم تختلف عن بيئة النص المترجم إليها، على دراية واعية بما حول النص من مرئيات وعوامل خارجية وعوالم مهنية، ودقائق قد تفقد النص أهميته إن لم ينقل بمهنية عالية وحرفية دقيقة، كما يرى أن المترجم يجب أن يتمتع بحس أدبي، ويكون قادراً على نقد النص من الناحية الأدبية، وقد عمل في هذا الإطار على ترجمة قاموس الأمثال الإنكليزية وما يقاربها بالعربية الذي ضم أكثر من ألف مثل، كما ترجم إلى الإنكليزية قصائد لشاعرات من الإمارات في كتابه الموسوم "مع الحبارى والبجعات" ضمن أكثر من 24 كتاباً نقله بمهنية عالية إلى الإنكليزية.

أرحب مجدداً بضيفنا الكريم، طبتم وطابت لكم الحياة.

كلمة الأستاذ الدكتور محمد علي البار*

ينتهي نسب الشاعر الدكتور شهاب غانم إلى سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما، وينتهي نسبه من أمه إلى قبيلة همدان التي قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أسلمت بكاملها في يوم واحد: "سلام على همدان، سلام على همدان". وقال الإمام علي كرم الله وجهه الذي أسلمت على يديه: ولو كنت رضواناً على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلي بسلام

والشاعر الأديب الملهم العبقري المتعدد المواهب الدكتور المهندس شهاب محمد عبده غانم ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالشعر والأدب والعلم والصحافة. فجدّه لأمه الصحفي القدير والأديب والمحامي الأستاذ محمد علي لقمان أول من أنشأ صحيفة مطبوعة في الجزيرة العربية وهي فتاة الجزيرة عام 1940م. ثم أنشأ صحيفة Aden Chronicle (باللغة الإنكليزية) ثم القلم العدني.

كان له دور كبير في النهضة، وأسهم في تكوين العديد من النوادي الأدبية مثل نادي الإصلاح العربي في التواهي عام 1929م. ونادي الإصلاح العربي في عدن (كريتر) عام 1930م، وغيرها من النوادي والمخيمات الأدبية. كما أسهم في الحركة التعليمية وإرسال البعثات من هذه الجمعيات والنوادي إلى الخارج، وقد قال أمير البيان الأمير شبيب أرسلان في مقال نشرته جريدة الشورى في 11 فبراير 1931م: "ما ألد مقالات الأديب اليماني محمد علي إبراهيم لقمان، فإني على الرغم من الشواغل أطلعها لمرتين وثلاث". وقد حذب لقمان على الأديب والشاعر الشاب علي أحمد باكثير عندما نزل إلى عدن بعد صدمته بوفاة زوجته في سيئون. وقال فيه باكثير:

ما زال باللفظ والإشفاق يغمرني

حتى شفاني من دائي وعافاني

* طبيب ومفكر سعودي، يعمل أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وكيف أنسى خليلاً قد نسيت به
أهلي وصحبي وإخواني وأوطاني
له الإرادة لا تلوي الخطوب بها
كأنما نحتت من صخر شمسان
حلو الحديث فصيح القول مرتجل
يوم الخطابة ما يزري بسحبان
صافي السريرة من غش ومن دخل
وعامر القلب من تقوى وإيمان
مؤسس النهضة السماء في عدن
مقيمها غير هيّاب ولا وان

أما والد الشاعر العبقري شهاب محمد عبده غانم فهو: الدكتور الشاعر محمد عبده غانم (1912 - 1994م): أول خريج من الجامعة الأمريكية في بيروت من الجزيرة العربية عام 1936م. وتخصص في التربية وتولى مراكز مرموقة في دائرة المعارف بعدن ثم حصل على الدكتوراه من جامعة لندن في آداب اللغة العربية، وعمل أستاذاً ورئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة الخرطوم ثم في جامعة صنعاء، وقد ترأس مجموعة من الأندية الثقافية والرياضية والموسيقية في عدن واشتهرت الأغنيات التي كتبها وغناها المغنون.

هو شاعر مبدع له دواوين عديدة منشورة أولها "على الشاطئ المسحور" ثم "موج وصخر"، ونشرت وزارة الثقافة بصنعاء أعماله الشعرية الكاملة وله خمس مسرحيات شعرية استمدها من تاريخ اليمن أولها "سيف بن ذي يزن"، ثم الملكة أروى وعامر بن عبد الوهاب وفارس بني زبيد (عمرو بن معدي كرب) والثائر الأحمر علي بن الفضل.

له مجموعة من الدراسات والكتب الأدبية النثرية مثل أطروحته للدكتوراه (شعر الغناء الصنعاني) وزمان الصبا، وصنعاء حوت كل فن، ودراسات في الشعر واللغة. فنحن أمام شاعر مبدع وأديب وفنان ومربٍّ من الطراز الأول، وكل أولاده في صف العباقرة.

والمحتقى به هذه الليلة هو الصديق الأثير الوفي منذ عهد الطفولة الباكر في المدرسة الابتدائية في السيلة إلى المتوسطة في ساحل صيرة إلى كلية عدن المتميزة (التي تشبه بفكتوريا كوليج في مصر)، الشاعر المبدع في اللغتين العربية والإنكليزية المهندس الدكتور شهاب محمد عبده غانم.

له مجموعة دواوين الشعرية منها بين "شط وآخر" و"بصمات على الرمال" و"شواظ في العتمة" و"صهيل وترتيل" و"قبضا على الجمر" و"الزمن السريالي"، وجمعت أعماله الشعرية "الأعمال الكاملة" ونشرها المجمع الثقافي أبو ظبي عام 2009م. وله من الشعر المترجم إلى اللغة الإنكليزية "ظلال الحب" و"أصداف ولآلئ" و"من أرض سبأ" و"قصائد من القرن العشرين من فلسطين"، كما أن له مختارات من الشعر الإنكليزي ترجمها إلى العربية لشاعرات من بريطانيا والولايات المتحدة. و"قصائد من كيرالا" مترجمة إلى العربية من الإنكليزية. و"أقمشة السماء" من الشعر العالمي إلى العربية وقصائد من الإمارات مترجمة إلى الإنكليزية.

ومن أهم أعماله المترجمة إلى اللغة العربية "زنين الثريا" والمعروفة باسم "يا الله" لكمل ثريا الشاعرة الهندية المتميزة، التي أعلنت إسلامها. وترجم من الإنكليزية إلى العربية "الكفاح من أجل السلام" قصائد للشاعر الياباني دايكو ايكيذا. وأعماله في مجال الترجمة الشعرية من العربية إلى الإنكليزية والعكس، نالت صدى واسعاً وشهرة عالمية والعديد من الجوائز. وهو رسول السلام بين الأمم والواعي إلى التعرف بالشعر العالمي كما نقل الشعر العربي المعاصر إلى العديد من الثقافات والأمم.

اهتم بإظهار أعمال والده الشعرية والمسرحية، كما اهتم بإلقاء الضوء على مختارات من شعر خاله "علي محمد لقمان" ومختارات من شعر عبدالله البردوني وشعراء الإمارات وصفحات من الأدب المعاصر في اليمن. وقد انتهى أخيراً من دراسة موسعة لسورة الفاتحة باللغة الإنكليزية. وفيها جهد متميز في عالم التفسير.

نحن إذن أمام عملاق في مجالات شتى أبرزها وأبقاها شعره ودواوينه وانفتاحه على الشعر والأدب العالمي، ونقله ببراعة وإتقان من الإنكليزية إلى العربية والعكس، حيث نقل الكثير من الأعمال الشعرية المعاصرة بما فيها بعض دواوينه إلى اللغة الإنكليزية لتجد صداها في مختلف القارات.

كلمة الدكتور يوسف العارف*

يعلن كثير من الشعراء علاقتهم الشعرية مع الشعر، ويوثقون جهودهم مع القصيدة، ويبينون نسقاً متكاملًا مع النص الشعري، ويشيرون إلى ذلك في كثير من قصائدهم. ويحتقون بذلك بشكل خاص ومتكرر. فلا تجد شاعراً إلا وقال عن تلك العلاقة كلاماً كثيراً!

هذا شاعر من السعودية⁽¹⁾ يقول:

عجبا..

أهي الحروفُ الصافناتُ..

تمنطقن بالضوء.. وخاتلن الفؤاد..

يوسوسن فيه بضوء القصيدة؟!

أم هي البوحُ..

كم للبوَحِ سابقةُ..

تصطفِيها يدُ الماضي..

ثم لا تأبى تعيده!!

فجأة راودتني.. تطلعت إليها.. فراحت كالطريدة،

قلت يا هذي أفيض علينا من الماء..

صُبِّي جسد الأحرفِ الحُبلى وهاتي لي وريده،

ها أنذا أصطلي بحماها.. فكانت قصيدة!

لكن ضيفنا الكريم، سعادة الدكتور الشاعر شهاب محمد غانم، يمر بالقلق والحمى والوسوسة حتى يصل الشاعر إلى القصيدة. يجسّد تجربته الشعرية، وعلاقته بالنص الشعري، وكيف تنشأ عنده القصيدة بكثير من الصور الشعرية المعبرة.

يقول:

* شاعر وأكاديمي سعودي.

¹ - هو (أنا) كاتب هذه الكلمة من ديوان (الرمْل ذاكِرَة والريح أسئلة)، ص: 26، 27.

تموت برأسي ألوف القصائد قبل الولادة
بدون الإرادة تُجهّز حيناً، وحيناً بكل الإرادة
تموت، وعيناوي مغمضتان، وصدغي فوق الوسادة،
تموت وكفاي في عجالات القيادة،
تموت بكل مكان وفي كل آن...
وثُمسي المنية عندي عادة..
تموت لدي مئات القصائد بعد الولادة..
أمزقها في القراطيس.. أكفى فيها الحياة،
وبين الألوف التي أُجهّزت من قصائد...
تظل قصيدة هنا وهناك..
وتبقى برأسي وإلا بضرسي تظل تغني عنيدة
فتولد بالرغم عني القصيدة!!

هنا رموز ودلالات على أن شاعرنا أكثر في شعره، يغرف من بحر أو يسقي من نهر،
لكنه يصطفي للأفضل والأجمل!

ضيفنا الشاعر: الدكتور شهاب غانم طائر بجناحين جناح الوطن الأم حيث الآباء
والأجداد، حيث صوت الوالد الشاعر العلامة الدكتور محمد غانم، وحيث التراث اليمني
وصوت شعراء اليمن المبدعين. وجناح الوطن الذي احتضن هذا الإبداع والتألق (دولة
الإمارات) فكان مزيجاً من الإبداع العلمي والمعرفي، حيث الهندسة تخصصاً. والشعر
موهبة والترجمة الشعرية ميداناً وإبداعاً.

عبر ثلاثة عشر ديواناً شعرياً، وعشرات الترجمات الشعرية، يتعالق صوته الشعري
بالقصيدة التراثية العمودية، أو ما يسمى التقليدية التي تحتفي باللغة، والصور، والموسيقى
الخليلية، في أسمى التجليات والإبداعات. كما تتنامى شاعريته من خلال قصيدة النغيلة،
التي تجد مساحة كبيرة في مجمل إنتاجه الرصين، وهذا يعني . للنقاد . تمازج شعري كبير

بين قصيدة النظم البيئية وقصيدة التفعيلة يغلفها بشيء من العاطفة الجياشة، والرومانسية الشاعرية، والصور الواقعية.

يعتقد بعض النقاد أن مجاله العملي وتخصّصه العلمي في الهندسة قد طغى على موهبته الشعرية فجاءت شعرية متوارية خلف باب كبير من أبواب النظم الشعري، ولكنني . وأنا المتابع أشعر أن شاعرنا د. غانم يمنح شعرية من مظان عربية، وإسلامية، تراثية ومعاصرة. وأنه أفاد من تخصصه الهندسي في هندسة القصيدة، وترتيب أفكارها، ونضج معانيها، وتوازن أبياتها من دون قتل للخيال الشعري أو الصور البلاغية أو السقوط في المباشرة والتقريرية الشعرية.

يعجبك في شاعرية . ضيفنا الدكتور شهاب . أنه لم يتحد مع الشعراء الذين يرون في الغموض والرمزية والتعظيم أفقاً شعرياً جديداً، ولكنه يمارس القصيدة التراثية على النسق المتعارف عليه.

ومن الجميل حقاً في مسيرة ضيفنا الشاعر د. شهاب غانم، أنه يبدع في حقل الترجمة الشعرية وله مقولات رائعة في هذا المجال وأهمّها أن أفضل من يترجم الشعر هو الشاعر! ولذلك أوقف جهوده في مجال الترجمة على الشعر وأبدع فيه كثيراً لأنه يمتلك ناصية القول الشعري ويميل إلى ترجمة النص بروحه ومعانيه لا بمفرداته القاموسية، وبذلك فهو يضيف إلى النص المترجم كثيراً من إحساسه الشاعري المرفه. وخلجات نفسه، وإتقان المترجم المبدع، وروح الأديب الواعي، من دون تكلف أو صنعة، وإنما تأتي بعفوية كما يقول نزار قباني:

شعرت بشيء فكوّنت شيئاً بعفوية دون أن أقصدا

فيا قارئ يا رفيق الطريق أنا الشفتان وأنت الصدى

سألتك بالله كن ناعماً إذا ما ضمنت حروفي غدا

ورغم كل هذه الترجمات الشعرية، فلم أجد له قصائد (نثرية) لأنه تربي على الشعر العمودي المقفى، وتشبّع به ولعلّ له عذراً ونحن نلوم!!

أيها السادة، اسمحوا لي أن أقف مع هذه الحكمة الشعرية التي صاغها شاعرنا الدكتور شهاب غانم إذ يقول:

أنتى للماضي الضائع أن يصبح مستقبل
أو للنهر بأن يجري نحو المنبع من أسفل
لأقول:

وما أرانا نقول إلا معاراً
أو معاداً من قولنا مكروراً

والتاريخ يعيد نفسه.

وختاماً، هذا ضيفنا الدكتور الشاعر شهاب غانم يقول في شعرية وشاعرية واعية:

أيها الشعر قد ملأت الخلايا
بالخيالات بين مبنى ومعنى
أنت تحوي رسماً وقصاً ورقصاً
وغناء يختال وزناً ولحناً
وتضم الجمال من كل شكل
كان عطراً أم كان نوراً ولونا
أنت للحب منبتٌ والمعالي
تملأ القلب فرحة ثم حسنا
أيها الشعر كنت نبراس نور
فتداعى الظلام وانجاب عنا

أيها الضيف الحبيب، أيها الضيف الكريم:
من جميل الشعر إليك هذه السداسية العارفية:
لك من حنايا القلب فيضٌ محبة
تسمو على كل الجبال الراسية

يا من يصوغ من الورود قلائداً
تختال في دار القصيد علانية
يا من منحت الشعر أصدق رفقة
حتى تنامت في يديك معانيه
يا من جرى في كل وادٍ حرفه
جزل الكلام مشاعراً أو قافية
لا فض فوك مترجماً أو شاعراً
سبك القصيد فواتحاً وختاميه
فاقبل ربيع الحرف مني مورقاً
عذب المشاعر من بحور صافية

شكراً لمضيفنا وشكراً لضيفنا وشكراً لإنصاتكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

شهادات عن شهاب غانم

أولاً: عن الشعر

قصيدة شهاب غانم (الأمواج) مثال لاتجاه التجديد فهو غير بعيد عن الإيقاع الملتزم..
ويستخدم الرمز للبعد عن المباشرة الحسية والتقريرية، ولكنه في الوقت ذاته بعيد عن
الغموض والضبابية.

د. محمد مصطفى هدارة

محاضرات الموسم الثقافي الثالث ندوة الثقافة والعلوم دبي

ومن اللافت للنظر أن الأشكال الشعرية الجديدة (الشعر التفعيلي) عند شهاب غانم تتميز
بمرونة وحركية وانسيابية على نحو تبدو فيه الأشكال الشعرية الموروثة عنده.. وإن قراءة
القصيدة (أي الأمواج) ليست بعثاً لتجربة ميتة، وإنما خلق لتجربة جديدة، فنبرات الصوت
تملاً بنية الألفاظ التي تظل تقرر الأسماع وتسيطر على القلوب.

د. عدنان حسين قاسم

مجلة شؤون أدبية الإمارات

في قصيدة (البحث) تبدو قدرته على تصوير الطبيعة.

د. حسن فتح الباب

صحيفة الرأي العام الكويت

شهاب غانم شاعر حقيقي وهو ككل شاعر حقيقي يبدع على نحو ملموس في بعض
نتاجه ويتسم شعره إجمالاً بالجودة.

وائل الجشي

صحيفة الفجر أبوظبي

شعر جميل السمات قادرٌ على التفاعل في المجتمعات العربية.

د. عبدالهادي محبوبة

وبالنظر إلى قصائد الديوان من ناحية المضمون نجد أنها تتنوع ما بين الجوانب الوطنية والقومية والعاطفية والوصفية والنفسية والتأملات الروحية والعواطف الأسرية..

د. ثريا العسيلي

ولكن شاعرنا الذي تذبل أزهار أفراحه قبل الأوان وتتراكم الأحزان في قلبه بعد أن أذكأها الوضع العربي الفاجع وأشجاها الصمت العربي الأفجع، نقول إذا كان ذلك قد حدث ومن الضروري أن يحدث لشاعر شاب يعشق واقع أمته ويتعذب من أجلها ويتابع أحداثها أولاً بأول فإن اليأس لم يتسرب إلى نفسه ولم يجد إلى تلك النفس الفتية سبيلاً وهو يواجه المحنة الشاملة بعقل هادئ ووجدان ثابت ويعبر عن هذا الإحساس في قصيدة بعنوان (سوف يأتي فجر) ومن أبياتها:

سوف يمضي الدجى ويأتي صباخُ

تتلاشى في نوره الأشباخُ

سوف يأتي فجر يمزق ليلاً

سرمدياً في ساحنا ينداحُ

سوف يأتي مهما أبى مستبد

وطغى غاصب وفاضت جراحُ

إن قوماً أبو عبيدة منهم

وعليّ وطارق وصلاخُ

سوف تعلقو شمس لهم من جديد

ويغني سناؤها الوضاحُ

د. عبدالعزيز المقالح

... و"غزو القمر" لوحة فنية يستخدم فيها الشاعر طريقة الرسم بالكلمات ... ومجموعة القصائد العاطفية "عيناك"، "نشوة"، "هل تذكرين" تصدح فيها الموسيقى العذبة بأرق الألحان والأنغام.. أما "عذاب البين"، "قطيعة"، "الأحلام الخائنة"، "أرق"، "أطلال"، "سهاد" و "مهيب الجناح" فينرف فيها الحزن ألما وعذابا ودمعا. ونأتي لشعر التأمل والصفاء الروحي في آخر قصائد الديوان الثلاث "حنانيك"، "ابتهال"، و"مناجاة" وهنا تظهر قدرة الشاعر على التحكم في لغة الشعر وأدواته الفنية ويكشف عن جوانب كثيرة في نفسه الشاعرة الرقيقة المحبة للخير ... الضائفة بالشر الباحثة أبداً عن مخرج من كل ما يملأ الدنيا من تعاسة وشقاء وخيانة وظلم فلا تجد أمامها مهرباً غير وجه الله تتاجيه وتبتهل إليه:

يا إلهي قد ادلهمت دروبي
فأنرها بشعلة الزيتونة
لا تدعني أضيع ما بين موج
ورياح كما تضيع السفينة

رجاء شاهين
زهرة الخليج أبوظبي

في (المجنون).. وفق الشاعر شهاب غانم توفيقاً رائعاً في رسم لوحاته وصياغة فكرته مستعيناً بأسلوبه الخاص الذي يميل إلى البساطة وتوظيف الرموز التاريخية والأدبية.. وقد صدق ونجح في تفتيت بيت المتنبي وإعادة صياغته بما يعبر عن موقفنا المعاصر..

إبراهيم المصري
صحيفة البيان دبي

تنتقل من منظر إلى آخر أجمل دون أن تقع عينك على حشائش أو أشواك نبتت هنا وهناك تسلب الزهور بهاءها وجمالها، لا ترى مثل هذا أبداً سواء في (شواظ في العتمة) أو توأمه الجديد (صهيل وترتيل).

طه عبدالغني مصطفى

صحيفة الاتحاد أبوظبي

أول ما قرأت للشاعر الدكتور شهاب محمد عبده غانم مجموعة شعرية بعنوان (شواظ في العتمة) وكان ذلك منذ زمن بعيد. أعجبت بالشعر..

عبدالله بن أحمد الشباط

من كتاب أدباء وأدبيات من الخليج العربي

أقول لشهاب غانم إنك تجيد الشعر العمودي، ولكنك تجيد أكثر وأكثر الشعر الحديث.. إن شعره الحديث مسترسل خالٍ من التكلف مشحون بدققة الشعور الحار مكثف المعاني والأساليب أيضاً وللقارئ الكريم أن يرى صدق ما ذهبتُ إليه بنفسه حين يطالع في ديوان (صهيل وترتيل) قصائد (بيروت ٨٢) و(من بين الأسداف) و(الفارس) وغيرها كثير.. وهو في شعره الحديث هذا من شعراء المدرسة الجديدة التي تنطلق على أساس إقامة القصيدة على نقطة محورية رئيسية ثم يأتي بناء القصيدة كله بعد ذلك دائراً حول هذه النقطة أو القضية.. وللقارئ أن يرى أمثلة للتفوق الشعري عند شهاب غانم في قصائد (شروخ) و(من وراء الستار) وفي الأخيرة يتفوق ويبلغ مستوى الشعر الإنساني الرائع بمعالجة أزمة الإنسان المعاصر وحاجته إلى الحرية.

د. حمزة حمزة أبو النصر

ومثلما يعبر الشاعر عن شتى العواطف الجياشة في الحماسة والحزن بالشكل العربي المعهود في معظم القصائد فإن الشاعر غانم استطاع بلغة سلسة بسيطة، وبصور جديدة،

التعبير عن موجات آخر من هذه العواطف والأفكار، بالشكل الجديد التفعيلي فضلاً عن بروز مزية العنصر القصصي فيها، ومزية التماسك العضوي ما بين سطورها.

مصطفى النجار

صحيفة الجزيرة 26 مارس 1996م.

وجدت في بعض مقطوعات (الترتيل) سباحات خاشعة ودعوات ضارعة كقوله في مطلع (دعاء):

يا إلهي أنزل عليّ السكينة

وترفق بمهجتي المسكينة

وقد أعجبتني من الديوان (صهيل وترتيل) مقطوعة (كلمات أخيرة) ورأيت فيها عقيدة واثقة وضراعة صادقة، هما من سجايا الإيمان، أكرم وأعظم مزايا الإنسان.

عمر بهاء الدين الأميري

سعدت سعادة غامرة بالصهيل والترتيل الصادق لأنني وجدت فيه روحاً عربية صافية وإيماناً عميقاً افتقد الشعر العربي الكثير منهما..

(في كل طريق جسد مذبح لفتاة

جرد من كل ملابسه السفلى

بطن مبقر لامرأة حبلى

رأس من عنق مذبح يتدلى)

إنها أربعة أبيات لكنها من خير الصور الإنسانية ولو رسمت بريشة رسام لأقام الدنيا الحرة وما أقعدها.

د. يوسف عز الدين

وقد رسم صوراً حسية للمذابح التي يرتكبها جزأوا العصر من اليهود وأعوانهم ضد سكان

المخيمات العزل.. صور دامية متتالية مؤلمة تثير غضب الحليم وتحرك كل من لديه ذرة من غيرة.. وهو يبدأ تصوير الجرائم البشعة التي يرتكبها الأعداء حتى كأنك تراها رأي العين ثم ينعطف إلى تصوير ما هو أشد منها إيلاًماً وجرحاً لكل عاطفة إنسانية: المواقف السلبية التي ملأت الدنيا ضجيجاً إعلامياً تعبر عن غضبها المنافق.

يحيى الرسام

صحيفة الصحة صنعاء

القصيدة الفائزة في المسابقة (المذبحة قبل الأخيرة) تتميز بموسيقى داخلية لها وقع خاص فهي تلتزم بخطين موسيقيين: نغم هادئ ودافئ وآخر صارخ أشبه بدقات الطبول.. لا شك أن قصيدة (المجنون) وهي من الشعر الجديد تمثل مدخلاً رائعاً للشاعر شهاب غانم نحو عالم المسرح الشعري، فقد استطاع خلالها أن يقدم نموذجاً مصغراً لمسرحية شعرية تؤكد أن للشاعر شهاب إمكانات الكتابة في هذا المجال.

إيهاب الخضرجي

مجلة الظفرة أبوظبي

إذا كان المهم في كل ديوان هو الرؤيا والتشكيل ف(صهيل وترتيل) قد حافظ على هاتين اللؤلؤتين.

د. عبده بدوي

مزيدياً من العطاء الشعري الذي يؤدي هدفاً نبيلاً متكئاً على ذراع الإبداع الفني.

د. عبد الرحمن العشماوي

(بيروت ٨٢) للشاعر شهاب غانم يشرح فيها القضية كعادته بأسلوب ساخر.. ثم يصرخ ملء كيانه معبراً عن ثورته واحتجابه على المنظمات والهيئات العربية والإسلامية:

(آه.. آه..)

لم يبق إلا أن نصرخ وا ذلاه
فلدينا لا يوجد (معتصم) حتى نستتجد (وا معتصماه)
ولدينا لا يوجد (قطز) يهتف فينا (وا إسلاماه)
لم يبق إلا الأشباه!).

حصة أحمد حسن الدقي

الرؤية الإسلامية في شعر الإمارات المعاصر

في ديوان (صهيل وترتيل) استطاع الشاعر أن يقدم صهيل صوت المأساة العصرية
بمختلف أبعادها من خلال ترتيله النغمي النابع من بؤرة شعوره الداخلي بحيث جعلهما
شيئاً واحداً لا انفصام فيه.

د. صلاح محمد عبد الحافظ

الشاعر شهاب غانم معروف في بلده دبي الإمارات العربية المتحدة فله مشاركاته الفعالة
في المنتديات الثقافية والمجلات الأدبية هناك كما أن له مشاركاته في المطبوعات المهمة
بالهندسة وقد كتب الشعر بالإنجليزية أو ترجمه. والديوان الذي بين أيدينا مقسم إلى قسمين
كما يحمل عنوانه (صهيل وترتيل).. إن الرحلة في واحة هذا الشعر الجميل ممتعة..

خليل الفزيع

صحيفة الرأي – الدمام

يقول شهاب غانم في قصيدته مناجاة رمضان:

وأرفع كفي نحوك

أركع

أسجد

أطرق كل دروب الخضوع

أرتل آيات ذكرك

حتى أحس بفيضك ينساب بين الضلوع

وشلال نورك

يغمر كل كياني

فيرأب مني الصدوع..

وتكثر في هذه المقطوعة ضمائر الخطاب ويتلذذ الشاعر بذلك.. كيف لا وهو يناجي خالقه ويستمر على نفس المنوال من الإكثار من ضمائر الخطاب مضيفاً إلى ذلك أفعال الدعاء تعبيراً عن الاقتراب أكثر فأكثر.

عبدالغني المقرمي

صحيفة الصحوة صنعاء

وبرغم قالب الشعر الجديد، فإن من الشعراء من يحافظ على قيم الصورة التقليدية، ومن هؤلاء شهاب غانم، حيث تمتلئ الصورة الشعرية عنده بالحركة، يقول في قصيدته (المذبحة قبل الأخيرة):

(تتدحرج عين نُزَعَتْ من محجرها فوق الطين

تتوقف

تتنظر نحو سماء الله

كما لو كانت تشكو من ظلم الإنسان إلى الملكوت الأعلى

فتمر عليها أحذية السفاحين..)

د. يوسف نوفل

من كتاب (شعراء دولة الإمارات العربية المتحدة)

ويتخذ هذا المنظور الإستشراقي الأمل مدى أكثر رحابة في قصيدة تفعيلية رائعة بعنوان

الفارس ص56 ، إذ يتبدى الغد العربي الإسلامي مشرقاً بالنصر على الرغم من معوقات
الحاضر وقتامة الصورة:

إنني أدنو من الخط الأخير

أنا في الصهوة مكتوف الذراعين.. وشهبائي تطير

وبوجهي تعصف الرياح

.. وللريح صفيّر

وأحس الرمل في حلقي، وما عندي لثام

لا.. ولا عندي مهماز ولا سوط.. ولا عندي لجام

إن تكن ثمة أسواط ففي ظهري تدور

إنما مازلت في الصهوة، والترب حوالي يثور

ثم تتشكل القصيدة فنيا لنكتشف أن الشاعر في بنائها يبدو مستفيداً من فن السيناريو حيث
يحدث قطع فراغي تعقبه هذه النهاية التعبيرية المضيئة:

بينما أدنو من الخط الأخير

يستحيل الأفق الداكن إشعاعاً ونور

أحمد محمود مبارك

الشاعر شهاب غانم ليس شاعراً عادياً إنما شعره المتوزع في مناخ المعاناة المعاصرة
الواقعية والإسقاطات التاريخية كما في (صهيل) وفي مناخ الابتهالات والأدعية والترانيم
الدينية كما في (ترتيل) وفي مناخ الحب والغزل كما في (هو الحب) يدل على شاعر
متمكن من أدواته وشاعر مطبوع ينثال بالشعر شلالات نور، ومن نار وأعاصير، وأشواق
وبخور..

هل صحيح أن الشعر العربي البيتي قد خفت صوته وكاد أن يتلاشى صداه في
المشهد الشعري المعاصر كما يتردد بين آن وآخر، وإن إنشاد قصائد د. شهاب غانم
ومعظمها من النمط العربي المعروف أفضل جواب على مثل هذا التساؤل المريب..

تقرأ في الديوان (هو الحب) سبع قصائد من الشعر الجديد (التفصيلي).. والقصائد السبع من الشعر الذي حقق فيه المعادلة الجميلة الصعبة، والمقصود بالمعادلة أن يكون فنياً ذا مستوى وأن يكون وطيد الصلة مع المتلقي .. والقصائد السبع أفادت من معطيات الحداثة كما أفادت من معطيات القصيدة التراثية فكانت بحق مثال الأصيل الجديد والأصيل. وإن كان الشاعر في القصائد العمودية حفيماً بالبيت أو بيت القصيدة في بعض الأحيان فإنه في القصائد التفصيلية (الجديدة) أكثر حفاوة بمزية الوحدة العضوية.. حتى في شعره الجديد يحتفظ بسمات توضح من هويته العربية وصوته المفعم بموسيقا موروثة اكتسبت من الشاعر لوناً وصدقاً خاصين به.

مصطفى النجار

صحيفة الاتحاد أبوظبي

عرفت من خلال سماعه ومن خلال قراءتي لديوانه (هو الحب)، أن الشاعر لا يملك فقط القدرة في مجال الفيزياء والهندسة الكهربائية، بل هو خبير في هندسة اللغة الشعرية وفيزياء الصوت والتركييب والدلالة... يكتسب الشاعر شهاب غانم قدرات إدراكية عالية كالتى يمتلكها الصوفي فيتجاوز بذلك مستويات المعرفة الدنيا من حسية وعقلية إلى مستوى روعي متعالى، هذا ما يترجمه في قصيدة (حلول) وقصيدة (فيض) والعديد من القصائد التي وشحها بالمصطلحات الصوفية التي أحسب أنها خرجت من جوفه بالسليقة والفطرة ليعبر عن معاني الحب السامي الذي ينزاح عن المعاني الجسدية الحسية وهذا ما يترجمه في قصيدة (معاني الهوى عندي)... واستطاع الشاعر في ديوان (هو الحب) أن يمزج بين برودة القصيدة الخليلية وبرودة الشعر الحر، مما ينم عن اقتدار في نظم القريض... وشعر شهاب غانم يحتاج إلى تأمل كي يقف القارئ على كل تفاصيل قصائده، لأنها ممتلئة بالمعاني الفياضة شكلاً ومضموناً.

د. شادية شقروش،

صحيفة ١٤ أكتوبر عدن

هو الحب آخر القطاف من روضة غناء غنى بها شاعرنا الدكتور شهاب غانم فأضاف درة جديدة إلى عقد الدرر الأدبية الذي تألق بنظمه.. ولكل منها فصول من المعاناة.. أطلقت العنان لخيال جامح ينطلق من الإبداع ويجمع باقاته العطرة الفواحة.. شهاب غانم يؤكد بديوانه الجديد (هو الحب) على قدرة العروض الشعري على استيعاب معاناة الحياة وتأكيد التواصل بين الشاعر والجمهور ومواكبة التطور الحضاري.. فالنفس جميلة والرؤيا جميلة، والغاية جميلة، وهنيئاً لشاعر أحسن الجمع بين جذور وإيقاعات العصر.

محمود علياء

صحيفة الفجر أبوظبي

ولا أجاملك إذا قلت إن قصيدتكم الغراء كانت واسطة العقد ومن أجمل ما زين الحفل.. فأنت بحق شاعر مطبوع وعذب الشدو مشرق الديباجة في شرف معنى وخصب خيال. لقد طربت وأنا أسمعك، واهتزت جوانحي عندما وصلت إلى بيت القصيد:

وللحب أشكال سوى حب عادة

وفن وأوطان ومؤتلق التبر

فأعظم أنواع الهوى حب ملّة

هوى ليس يجدي غيره ساعة الحشر

فبوركت وبوركت شاعريتك المتوهجة وإيمانك العميق.

د. عبد الله توفيق الصباغ

صحيفة البيان دبي

سوف يبقى للشاعر المبدع شهاب غانم الفضل في الاهتمام إلى الصيغة الصحيحة للشعر الحديث.. تلك الصيغة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة.. بين جماليات الشعر العربي

وإيقاعاته الموسيقية الموروثة وبين الحس المرهف بالكلمة والانطلاق الوجداني المطلوب من فنان يعيش عصره وينشد بلغته.

إن كل قصيدة في هذا الديوان أي (هو الحب) لوحة رائعة الجمال زاهية الألوان، ولعل أجمل ما فيها هو أنها لوحة حية حافلة بالحركة قادرة على استقطاب حواس متلقيها فيتحرك مع إيقاعها وألوانها كأنما هو مشارك في رقصة باليه..

مصطفى كمال

ديوان (هو الحب) يضم باقة من أجمل ما خطته أنامل شاعرنا.. (من أوراق الغربة) من أجمل قصائد الديوان، وجدتها حافلة بفنون التعبير الشعري وقد أثرت في نفسي كثيراً.. قصيدة (المعادلة الصعبة) جميلة بصورها وتشبيهاتها.. قصيدة (سمفونية) رائعة رائعة تلامس شغاف القلب فتعطر خفقاته..

محمد بن أحمد بن طوق

ولعلها القصيدة العربية الأولى التي تتناول هذا الموضوع بمباشرة صارخة، ربما لأن العولمة أصبحت غير مقتصرة على فرض الهيمنة الاقتصادية، بل تجاوزتها إلى محاولة فرض الهيمنة السياسية، والثقافية، والعسكرية حتى أثارت شاعرنا الغيور فأخذ يتساءل قائلاً:

ما هي العولمة؟

أهي دين جديد؟

أهي شيء مفيد؟

فلماذا يسن على الناس بالنار أو بالحديد؟

عبد الكريم الخميسي

(إن معنى الشعر يعتمد على السياق) مقولة تنطبق انطباقاً تاماً على نص (الزمن السريالي) عند الشاعر د. شهاب غانم فإن شاعرنا بما رصده من معان جديدة وعصرية وطريقة استطاع أن يدهشنا ببديهته البدائية المتمدنة، إذ إن الفنان أكثر بدائية كما هو أكثر تمدناً من معاصريه على حد قول الشاعر الإنكليزي إليوت..

حسين علي الهنداوي

(الخليج الثقافي الشارقة)

أهداني شهاب ديوانه الأخير (لقد أفقنا) وهو ديوان يختلط فيه الشعر العمودي مع شعر التفعيلة وشهاب شاعر مجيد في كلا الميدانين، وكل شعره يبرهن على صدق إحساسه وعمق تجربته سواء في هذا الديوان أو في غيره من مجموعاته الشعرية التسع. وعالمه الشعري عالم تأملي فيه نزوع شديد إلى بلوغ الذروة من الخلاص والصفاء النفسي الخالص.

إسماعيل محمد الوريث

صحيفة ٢٦ سبتمبر صنعاء

الشاعر د. شهاب غانم، صوت شعري من تلك السلالة القوية والأصلية، التي غرس بذورها الشاعر والعلامة الراحل محمد عبده غانم في أسرته الصغيرة، فانبثقت الشعراء والمبدعين، وأيضا في محيطه، فكان له تلاميذه ومريدوه. إلى جانب تأثره بجده لأمه الإعلامي والأديب محمد علي لقمان، لذا فإن الشاعر شهاب غانم من المهتمين بالشعر العربي ومشهده وحركته وتطوره ومن المهمومين بأبعاده الإنسانية والوطنية والاجتماعية في نتاجه الشعري، حيث تشكلت شخصيته الإبداعية عبر المعاناة في التعامل مع هذا الواقع الموضوع (الخارجي) والواقع الذاتي (الداخلي)، وهو ما أسهم في علو كعبه وتجربته إلى هذا المستوى الفني واللغوي، من خلال توظيف مدلولات الحب والعشق والوطن والحالات الإنسانية بدلالات فنية وموضوعية.

نواف يونس - في المقدمة الثانية لديوان "مائة قصيدة وقصيدة"

هذه الرؤية الشمولية التي لمسناها في مضامين الشاعر ورؤيته للواقع والتي رأيناها تسري في شعر الشاعر تجمع بين عاطفته الرومانسية وغموض أحلامها وصورها وسخرية الواقعية ونقدها لتناقضات الواقع وتعريتها لخفاياه كما تجمع بين الثورة السياسية الغاضبة وتجربة الحب الحاملة. بين النمط الموحد في موسيقى الشعر العمودي وتحرر الموسيقى التفعيلية، بين إحكام العبارة ونصاعتها في الشكل العمودي وبعض خصائص البناء الدرامي في الشعر الحر، بين الإقبال على مباحج الحياة واستشراق آفاق التصوف، بين جحيم القلق في دنيا الناس وواحة الاطمئنان في رحاب الله.. وإن أهم خصائص الصياغة الفنية للشاعر في قصائده الغزلية هي الصياغة العمودية الرائعة التي تعتمد على تمكن الشاعر من لغته وموسيقاه.

د. سعد دعبس

يكتب الشاعر الدكتور شهاب غانم قصائده بعفوية يحسده عليها معظم الشعراء، وأنت تقرأ قصائده -منذ بداياته قصيدة قصيدة، فلا تشعر بأنه تكلف في معنى أو صورة أو تصنع في موقف أو آخر:

وعندما كنا نحس الهوى

يحرق كالنيران قلبينا

وتلكم الأيام قد باعدت

برغما ما بين دربيننا

نفزع للأشعار نروي لها

ما بيننا كي تهزم البينا

من ديوان "لقد أفقنا" ص ٣٧

يا لسلسلة التعبير وروعة المعنى، ويا لها من مهمة جليلة يقوم بها الشعر بين القلوب.

الدكتور عبد العزيز المقالح

يقول الشاعر شهاب غانم في قصيدته الجيدة (الأمواج):

(إنها الموجة تأتي

إنها الموجة تذهب

يا حبيبي هكذا الدنيا صروف تتقلب..)

إن أعظم ما شدني في هذه القصيدة هو حركتها النغمية التي تضافرت وتساندت مجموعة من الحيل على تحقيقها، فهي من بحر الرمل (فاعلاتن فاعلاتن) فهو خفيف النغم كما سبق أن أشرنا أشبه ما يكون عند شهاب غانم في هذه القصيدة بالأغنية الشعبية..

د. عدنان حسين قاسم

من كتاب (في دائرة النص الأدبي)

ما يشكله الجانب الوجداني، في قصيدة الصديق الشاعر د. شهاب غانم، سواء أكانت مكتوبة على عمود الشعر، أو حسب نظام التفعيلة، ليعد ترجمة حرفية لروح شاعر تنوس بين فضائي الذات والعالم، الخاص والعام، إذ تتبع بوصلته ما هو أكثر إلحاحاً وجاذبية، بالنسبة إليه، ووفق رؤيته الخاصة للإبداع، والشعر، على اعتباره وفيّاً لعالمه، ما يجعلنا نراه هنا وهناك، قادراً على سبر لحظته، وفق هذه المعطيات، والتفاعل معها، كما هو شأن الشاعر المتمكن من أدواته، ضمن دائرة رؤيته الأكاديمية التي لا يتلأأ القارئ المتابع في اكتشافها، سواء أكان ذلك على صعيد اللغة التي تعكس ثقافته، وتجربته، وألمه، وأمله، وبجلاء، أينما كانت، أم على صعيد رسم صورته التي ينأى، خلال اشتغاله عليها، بسيطةً، أو مركبة، عن ضروب الغموض المفتعل، وهي مؤشر واضح على طريقة علاقته بمنلقيه، الذي يرسل إليه خطابه، ولا يفتأ يتواصل معه، بكل القنوات التي تربط مبدعاً مثله، بمن حوله، وهو الشاعر، والسارد، في آن معاً.

ثمة صدق كبير، يعيشه الصديق د. شهاب غانم، صدق مع الذات، مع الآخر، مع النص، وهو ما يشكل إحدى العلامات الفارقة لتضاريس روحه، وهو ما يجعلك لا تنتردد عن التجسير نحوه، اختلفت معه، أم اتفقت، حيث يفرد لك مساحات روحه وقلبه، كما نصه، قائلاً لك: ها أنذا...!، موائماً، ومختلفاً، إنساناً وشاعراً، منكسر الحلم، أو مزهواً بالانتصارات، حيث أنت أمام حالة متفردة، ليس أمامك غير أن تقول كلمتك التي يعنى بها، من خلال فهمه الإنساني الذي يمكن أن تصلح ترجماته للشعر الإنساني إلى لغته الأم، والعكس، أحد وجوهها، وتجلياتها، مضيفاً إلى ذلك خصوصية نصه الإبداعي.

أجل، هذا هو الصديق د. شهاب غانم

هذا هو نصه

هذه حياته

هذه علاماته الفارقة

هذه جسوره إلى الآخرين

لابأس، من أن تختلف معه، أو تتفق

فالمهم قبل كل شيء، أن يكون بينكما ما يرومه، من لغة حوار

هي الأكثر أهمية

في زمان القطيعة والنكوص..!

والشعر هو الفضاء الأوسع

الذي يشكل أعظم إمبراطورية للإبداع والحب

إبراهيم اليوسف

شهاب غانم يرسم أحيانا بالكلمات فيشكل صورا شعرية رائعة ربما تكون غير مسبقة.
يقول في قصيدة "هو الحب":

إذا رمت ربات القريض لبسن لي * دمقسا وياقوتا وأقبلن في بشر
ويقول في نفس القصيدة عن الأمير الفارس الشاعر:
وفارس شعر لا يشق غباره * تراه إذا غنى يطير على المهر
ويقول في قصيدة كتبها في شبابه يصف فيها جبال سويسرا المكلفة بالتلوج وكان الشيب
قد بدأ يغزو شعره:

وعلى هامة الجبال تلوج * في وقار المشيب قد زان شَعرا
هي مثلي صبا، وفي الشيب مثلي * وأنا مثلها جلالا وقدر
وفي قصيدة "توهج" يصف ذلك التناقض في الرقة والعنف في عناق العشاق:
فأهصر شوقك فوق ضلوعي
وأعجب كيف توحد في ساعدي النقيضان
قمة عنفي.. وأقصى حناني!

ولنستمع إليه يقول في قصيدة "عيناك" وهو هنا يستعمل المفارقات والتناقضات:
لعينيك دفء بل جحيم يذيني * متى كان من ماء يشب حريق
رأى الموت في عينيك عذبا مذاقه * فمن أي عين تأمرين يذوق
كأنني فراش في المصابيح حنّفه * ويسعى إليها جاهدا ويتوق
حنانك في عينيك أحيا محلّقا * ولكنني في مقلتيك غريق
وفي قصيدة "من وراء الستار الحديدي" يصور الرعب من المخابرات في النظام الشمولي:
أريد البكاء/ فيمنعني الخوف .. لا الكبرياء

أريدالسؤال/ ولكن محال/ لأن الظلال/ تصيخ إلى كل قيل وقال
ويصف في قصيدة "البحث" خلال رحلة أوربية في غابة وبجانب بحيرة، مستعيرا إحدى
صوره كما يبدو من أبي الطيب المتنبي:

وأفرح بالشمس تلقى الدنانير بين الظلال
وترسم لوحات زيت
حوت ألف لون ولون من الإخضرار

فأذكر ما فيك من بهجة واشتعال..
وحينا بشط البحيرات أجثو
وألقي على صفحة الماء بعض الحصى
وأمضي أناجي الدوائر تنداح لا تلتقي
كذلك نكبر.. والعمر يمضي ولا نلتقي
ولنستمع إلى، بل لنشاهد في قصيدة "جموح" وصفه فتاته وهي تعدو نحوه:
وشعرك تتسجه الريح لحنا
وترسم أمواجه في الهواء العليل
هنالك أوشكت أعدو إليك
ولكن وقفت أراقب ذاك الجموح الجميل
وأصغي لما في دمي من سهيل
وطوقك القلب
قبل الذراعين..
قبل اليدين.. بوقتٍ طويل
ويصف نعومة صاحبتَه في قصيدة "استفزاز"، وبالحال من نعومة. يقول:
إنها أنعم من صدرية * من رقيق الخز بالنهد لصيقة
وفي قصيدة "الأمواج" يصور الأمواج وكأنها تلعب لاهية:
إنها الموجه تأتي/ إنها الموجه تذهب/ ..إنها الموجه تلهو/ إنها الموجه تلعب..
وفي قصيدته "ألا بذكرك" التي ينشدها الفنان العالمي سامي يوسف يقول:
وأول أنت قبل قبل من أزل * بالكاف والنون يا رياه فتاح
وأنت نور على نور تخر له * في سجدة الحب أجساد وأرواح
جمال الناغي

شهاب غانم شاعرٌ معاصرٌ من أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة صوته الشعري يتردد صده في مساحة واسعة من الوطن العربي ويعدُّ من المعالم البارزة للحركة الأدبية المعاصرة بمنطقة الخليج العربي وذلك على الرغم من أن مجالات عمله لا تتصل بالأدب ومعاناته فهو مهندس ويحمل درجة الدكتوراه في الاقتصاد ويباشر عمله في الإدارة.

د . محمد إبراهيم حور

إن شهاب غانم يجيد أدواته الشعرية وشاعر انبثق من رحم الحقيقة فهو يبدع الجمال متوجاً بالإنقان فشهاب غانم شاعر مهندس والعلاقة بين الفن والهندسة وثيقة جداً فكلاهما إبداع وخلق وصور وأشكال. إن قدرة شهاب غانم على المزاجية بين عقب الماضي العاطر ورائحة المعاصرة بكل ما تحمله من توجهات ثقافية متناقضة ومتنافرة جعله سفيراً بين الأزمان يمتلك أدواته الدبلوماسية الناجحة في الوصول إلى أهدافه.

عبدالسلام حمزة

صحيفة الفجر أبوظبي

والشعر عند شهاب غانم هو الرسول إلى المحبوبة والصديق الوفي في القنوط والأسى بل هو أعمق من ذلك لأنه يملك عليه حياته في كل آن ولحظة حين تتجلى لديه لحظة الإبداع الشعري، وحين يشعر بغربة المكان والزمان، وحين تتقيد عنده خلجات الحب، وحين تتراوح نفسه بين الأمل واليأس.

أحمد محمد عبيد

من كتاب (الشعر الإماراتي المعاصر)

وقعت على سلسلة من الإصدارات للشاعر الخصب شهاب غانم، وبدرجة هذه الخصوبة والتنوع في الموضوعات وجدت نفسي أعود بالذاكرة إلى والده الشاعر والمتقف الشامل. لقد كان المرحوم د . محمد عبده غانم مدرسة في هذا الباب وكان له امتداداته التي

من تجلياتها ابنه الشاعر د. شهاب غانم الذي تلمح في تضاعيف شعره ذلك الثراء البياني والغنائية الرفيعة وأسباب الإقامة الجميلة ليس فقط في ذاكرة الوالد الفحل بل وفي ذاكرة الشعر العربي القادم من أساس التفعيلة والقافية والتنوع الواسع في الموضوعات.

د. شهاب غانم ينتمي للمشروع الشعري العربي الذي يتأصل فيما يواصل كامل التقليد الشعري القادم من أعماق الثقافة الشعرية العربية.. لا يستهويه التجريب ولا يجدف كثيراً في (الحداثة) و(ما بعد الحداثة).. بل يكسو البيان الشعري العربي الراسخ موضوعات وأنفاساً معاصرة.

د. عمر عبد العزيز

صحيفة الخليج الشارقة

أما شاعرنا الدكتور شهاب غانم فقد كان من بين الشعراء القلائل الذين وفقوا بين القديم والجديد، بين التراث والمعاصرة ذلك أن شاعرنا كتب القصيدة العمودية في البداية سائراً على نهج الإبتاعيين من أمثال شوقي وبدوي الجبل والأخطل الصغير ثم سائراً على سميت شعراء جماعة (أبولو) وجماعة المهجر أحياناً إلا أنه ما لبث أن أخذ يمتح من معين التيارات الشعرية المجددة العربية والأوروبية على حد سواء ولكنه كان دوماً يحرص على الابتعاد عن الإسفاف والمغامرات الشكلية التي تقطع الشرايين التي تربط القصيدة بالمجتمع والإنسان.

د. الرشيد بوشعير

جامعة الإمارات العین

بينما يذهب شاعر آخر د. شهاب غانم لتجسيد الحلم ليتسع لرؤية قاعدة كبيرة من الأفراد وهم يعيشون في الحلم ذاته وينطلقون من واقع واحد، يحتوي الحياة الآتية ولحظة الماضي السحيق، حيث يبدأ الحلم في التوالد حيث العقيدة السمحاء واليقين الرائع، والتقوى المطلقة.

د. نصر محمد عباس

من كتاب (الإبداع الشعري من المنظور النفسي)

الدكتور شهاب غانم تائر على الظلم، كاره للعدوان، مدرك لما يحاك ويخطط وينفذ على جسد أمته فينهض منافحاً عن الدين والوطن والأمة بالقلم والقرطاس.. كل قضاياها حاضرة في شعره.. وهو شاعر يكتب بروحه. أحس أنه لا يبالي إن لم يعجبك نظم قصيدته ولكنه يحزن ويعاتب نفسه إن لم يفهمك قصيدته.

عبد الغني عوض الكريم

القائم بأعمال جمهورية السودان في كندا

وأجمل ما وصف به قريحتهما في قوله (وفي كاسيكما رشف)... وهذا أجمل وصف لشعرهما من لو أنه جعله كثيراً يملأ الكأس لأنه لم يقصد هنا كثرتة وإنما ذوقه وطعمه فعبر عنه بالخلصة.

إبراهيم أبو ملحّة

صحيفة البيان دبي

ويظهر لدى بعض هؤلاء المجددين من شعراء الإمارات اتجاه فلسفي في تساؤلات لا تقع على جواب. هذا ما نجده كثيراً في شعر شهاب غانم.

د. نزار أباطة

من كتاب (الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة

١٩٢٠-١٩٩٠م)

ولم يتوقف اهتمام الشعراء العرب في قصائدهم عند موضوع القضية الفلسطينية واللبنانية بل مضى بعضهم إلى التساؤل شعراً عن العولمة كما في قصيدة للشاعر الإماراتي شهاب

محمد غانم.

أنور البصلي - تونس

حينما نتحدث عن تجربة الشاعر الدكتور شهاب غانم في المجالات الإبداعية وبخاصة الشعر سنجد أننا أمام مبدع إماراتي تتحقق من خلاله مكاسب أدبية وشعرية وعلمية عديدة فالشاعر يمتلك أسلوباً شعرياً جذاباً وصياغة أدبية متقنة ومتناسقة مع روحه المتشبعة بالعروبة والإنسانية.. عموماً إن شهاب غانم من خلال إصداراته الأدبية العديدة تمكن من الوصول إلى ذهن المتلقي بأكبر قدر من الرؤى، تلك التي تبدو فيها اللغة الأدبية شديدة الخصوصية والإيحاء.

مدحت علام

صحيفة الرأي العام الكويت

وقد بذل الدكتور محمد عبده غانم قصارى جهده لتربية أبنائه وعلمهم ورباهم تربية فاضلة ولهذا فهم جميعاً يحتلون مناصب رفيعة وقيادية في المجتمع. والجدير بالذكر أن الدكتور شهاب غانم يعمل في الخليج وله اهتمامات كبيرة في الشعر خاصة الشعر العمودي والشعر الحر وقد ورث الشعر عن والده الدكتور غانم أسوة بأشقائه وقد تميز شعره بالاهتمام بالديباجة وكذا الأسلوب السهل...

محمد راجح سعيد

صحيفة الثورة صنعاء

على أجنحة تجاربه الثرية يطل الدكتور شهاب غانم على عوالم مختلفة يختلط فيها الشعر بالفن بالصحافة والترجمة إلى جانب الدراسة الأكاديمية وتخصصه في الهندسة الميكانيكية والكهربائية ثم الإدارة الصناعية وحصوله على ماجستير في تطوير موارد المياه، وهو أيضاً حاصل على الدكتوراه في مجال الصناعة وتنمية الموارد البشرية، وهو شاعر مع

الشعراء وأكاديمي مع المتخصصين وفنان مع مبدعي الألحان والكلمات.

عز الدين الأسواني

صحيفة البيان دبي

أحسب أن كلَّ مَنْ تُتاح له فرصة قراءة شعر وإبداع الشاعر المفكر العالم الدكتور (شهاب غانم) تتطبع في ذائقة الأدبية والفكرية والفنية، جملة حقائق ، لعل أهمها أن الأصالة لا تقتضي الجمود والتكلس... وأن التماهي مع الموروث من القيم لا تستوجب الانكفاء أو العيش داخل قوقعة تمثل الهروب والعزلة وعدم مواجهة ومعايشة تحديات العصر وأوهاقه وأوجاعه... بل إن شعر الدكتور شهاب غانم يمثل بحق صورة نادرة لمعايشة الواقع بكلِّ مكوناته وتناقضاته الصارخة... إنه عينٌ أمينة في تقديم روح العصر، لكن وفق منظور عربي مشبعٌ بالأنما والخصوصية والبصمة المتميزة... وهو بذلك أنموذج فني قمينٌ بالدراسة النقدية والجمالية ، للكشف عن مذخور درره وتنوّع مرئياته، وجمالياته الفنية والأدبية والقيمية..

د. ابراهيم نويري . قسم الأدب واللغة العربية . جامعة تبسة . الجزائر

الدكتور شهاب غانم، شاعر إماراتي كبير، له العديد من الدواوين الشعرية التي جعلته يحتل مكانة متميزة على الساحة الشعرية في الإمارات ومنطقة الخليج العربي.

أحمد عوض سعداوي

صحيفة الاتحاد أبوظبي

تتجح قصائد شهاب غانم في أن تلامس جرح الراهن المتخمر برائحة البارود بصرخات الموت الجماعي، قصائد تؤرخ لراهننا المعاش الملبد بثقافة الموت لتعكس الاندماج الواعي بين الذات الشاعرة وبين صوت الجماعة واشتغالات المتخيل الشعري المنشبك بأحلامه

العصية بالتعامل مع الواقع المرمد بوصفه حلمًا مستباحًا.

د. وجدان الصائغ

جامعة ذمار، اليمن

كل الشكر لك أستاذتي الغالية على هذه المقالة الرائعة، والتي تعرفنا من خلالها على قامة شامخة، من قامات الأدب الرفيع الأستاذ نزار غانم. وهو شقيق الشاعر الكبير شهاب غانم، وقد قرأت ديوان شهاب غانم في غضون الأشهر الفائتة، كما تعلمين، وكنت أحدثك عما (ولمست ما) يمتاز به شعره من رقة الخواطر وعذوبة الألفاظ، وندرة الصورة . وكنت في كل قصيدة من قصائده ألمس شاعراً نبيلاً، وإنساناً مرهفاً، يمسك به المشهد الإنساني فلا يفلقه حتى يكتب عنه، ويجسده في قصيدة هي أشبه ما يكون بذكريات أخيه نزار غانم. وقد رأيته في قصيدته (سباق الجرذان) يلخص حياته مع الشعر والألم. وأتركك مع رائحته هذه وقد كتبها في دبي عام ١٩٧٩:

تعبت تعبت وكلتُ خُطائي

وزاغت عيوني وضاعت رؤاي

ومازلت أعدو بغير انقطاع

تحركني قوة الإندفاع.. إلخ.

زهير ظاظا

موقع الوراق

المحور التأملّي الفلسفي يبرز في شعر شهاب غانم.

عبد المنعم عواد يوسف

كتاب ندوة الأدب في الخليج اتحاد كتاب وأدباء الإمارات

الدكتور شهاب غانم يجمع بين ما يبدو أنه المتناقضات فهو مهندس الميكانيكا الذي

يصوغ من اللغة شعراً ومعنى وهو الحاصل على الدكتوراه في الاقتصاد وفي نفس اللحظة يغزل الحب عنقايد وجد وشوق ..وتجربة الدكتور شهاب غانم الشعرية تأخذ كل يوم مدى جديداً وتكتشف مع كل خطوة أفقاً جديداً وهو الذي وقع أسيراً للجمال في أشعاره ورفع راية الحب في وجه الزمن.

محمد همام

مجلة زهرة الخليج أبوظبي

و يمكن اعتبار تجربة " شهاب غانم" أساساً محورياً في هذا المجال ، فهو المعتمد على لغة شعرية شفافة ورياضة مع دقة ومهارة في اصطلياد أقصى الحالات الشعرية ندرة، فيسأل و يقول في قصيدته (حشرات):

من ينفخ الروح في جثة

مزقت ألف شلو وشلو

ما مزقتها رماح الأعادي

ولكنها مزقت نفسها

فمن يمسح الآه ؟

من يجمع الشلو للشلو ؟

من ينفخ الروح ؟

نحن أمام شاعر مسكون بسؤال اغترابي (من ينفخ الروح في جثة؟)، و هذا بحق هو السؤال الأزلّي الذي يتابع المقيمين في محطات القلق الأول تجاه الزمن الحضاري للأمة، حيث تتسم طبيعة تجربة الشاعر بالenfوان القائم على الغضب الممزوج بمعاني القلق والخوف من استمرارية الضياع، وينعكس ذلك بوضوح في قوله : (فمن يمسح الآه ؟ من يجمع الشلو للشلو ؟ من ينفخ الروح ؟) هذه الأسئلة التي تنبض بالاستنكار والسخرية والتعجب، فالأمة في نظره مثقلة ممتنه تعاني من عذابها وحرمانها، وهذه الأسئلة في

مجمالها ليست إلا صحيحة من إنسان قلق مضطرب يعيش فترة حرجة، ويترقب فقد يأتي الفرج، وقد يحضر الأمل.

حصّة عبد الله مرخان الإجتبي

القصيدة المغتربة في الشعر الإماراتي المعاصر - أطروحة ماجستير 2013م.
كلية الدراسات الإسلامية و العربية، دبي

أطلق الشاعر على الشعر الساذج و المهلهل الذي كثر في زماننا (شعر الخرابيط) والخرابيط بمعنى الكتابات التي لا معنى لها ولا تسير وفق الأساليب الفنية والأدبية للشعر العربي فالشعر ديوان العرب وروح الأمة يرقى برقيها أما إذا سَفَّهَ فكرا ولغة ومعنى انحدر وانحدرت معه الأمة.

موزة محمد سعيد بن خادم

دراسة حول مفهوم الشعر عند الشاعر الدكتور شهاب غانم جامعة الشارقة.

الصورة الشعرية الوجدانية التي تحويها قصيدة الشاعر شهاب غانم هي أحد معالم قصيدته الرئيسية، وهي تتم عن صدق التجربة الشعرية التي تبلور كلمات قصائده وتراكيب القصيدة بعامة عنده عمق تلك التجربة ومستهدفاتها. شهاب غانم شاعر يكتب بالحب وللحب، ويفتح للمتلقي نافذة إحساسه الأكثر إشراقاً بالذات والآخرين، ويصحبه في عالم تأملي، لا يملك الخيال فيه إلا المصالحة الخالصة مع الواقع، فتأتي القصيدة عنده نسيجاً متوافقاً وإحساسات النفس وتأملاتها ورؤاها الإنسانية.

د. نصر محمد عباس

شهاب غانم من أبرز الشعراء العرب في الوقت الحاضر إذ أنه يهوى النظم منذ نعومة أظفاره ووجد في أبيه الدكتور الشاعر الكبير محمد عبده غانم خير أستاذ وموجه وراع .. وقد صقل مواهبه بالقراءة الغزيرة والثقافة الواسعة.

فاروق لقمان

صحيفة الشرق الأوسط

في كل حديقة شعرية دخلتها شعرت بالصخب والضجيج والقلق ولكني في حديقة شهاب
غانم الشعرية أستشعر الهدوء والراحة والامتلاء..أخلق في عوالمه الغنية دون عناء
بوضوح صوره وعمقها وثرائها كما يقول في سمفونيته:

الأصفر البراق تبر خالص

والأزرق الهدار بحر طام

والأبيض الوهاج نور مشرق

والأحمر القاني فؤاد دام

عادل معاطي

في هذه المناسبة الهامة اسمحوا لي أن أستشهد بأبيات من قصيدة رائعة سطرها شاعر
عربي عنوانها: "رسالة عبر الصحراء" تقول:

اسمعيني إذا ترنمت فالشعر رسولي إليك عبر الروابي

وصديقي وسلوتي وأنيسي في اكتئابي ووحشتي واغترابي

كم نهى أدمعي فغارت وجفت وتبسمت رغم أنف اكتئابي

وغدت أنة تمزق صدري بين كفيه نغمة من رباب

واستحالت آلام نفسي ويأسي أملا يمتطي عباب المصاب

هذه القصيدة الجميلة كتبها د. شهاب غانم الموجود هنا اليوم. لقد حركتني هذه القصيدة
بعمق. وأنا أبعث للدكتور غانم بدعواتي القلبية متمنيا له كل نجاح في جهوده الشعرية.
إنه يعبر عن العواطف القلبية العربية وهو شاعر يهب نفسه بتفان لتطويع الشعر العربي.

الشاعر والفيلسوف الياباني دايساكو إيكيدا

من كلمته الافتتاحية لندوة "القلب الشاعري"، دبي، فبراير 2012م، (مترجمة).

قصائد شهاب غانم تؤثر على كل قارئ، بصرف النظر عن حساسيته الشعرية. إنها مكتوبة بالشكل التقليدي العمودي ولكن بعضها بالشكل التفعيلي. وأعمال الشاعر تحظى بتقدير كبير كنماذج للإبداع الذي يسبر أغوار الإنسان وصراعاته. و يغوص المؤلف في قصائده إلى أعماق فجوات الروح، كاشفا الحقيقة عن الإنسان، زاجا بنفسه في حالاته النفسية ومشاعره، مستشفا حوافز الحياة والموت، والحرب والسلام، المخاوف التي تهبط وتتصعد وهي تمر به.

للمستشارة البولندية البروفسورة د. باربارا ميشاللاك بيكلسكا

من كتاب: الأدب الحديث في الإمارات العربية المتحدة (باللغة الإنكليزية).

ثانياً: عن ترجمات شهاب غانم للشعر

ظلال الحب

(ظلال الحب) هو العنوان الذي اختاره الدكتور شهاب محمد عبده غانم ليكون عنواناً لمجموعته الشعرية الصادرة باللغة الإنجليزية والتي تضم نماذج مختارة مترجمة من دواوينه باللغة العربية. وبين يدي الآن الطبعة الثانية لهذه المختارات التي تظهر بعد الطبعة الأولى بفترة وجيزة والشاعر المهندس شهاب غانم فنان موهوب يتوارى خلف تواضعه الشديد.. وفي استعراضه للمختارات كتب أحد الأدباء الأجانب مقارنة بديعة بين الدكتور شهاب وجبران خليل جبران متلمساً وجوه الشبه من خلال تتبعه العميق لمعاني الحب الكبرى التي تجمع بين إبداع الشاعرين الكبيرين..

د. عبد العزيز المقالح

صحيفة النور صنعاء

قصائد من أرض سبأ

لم يقدّر أيّ من المترجمين اليمنيين الذين أنتجوا ترجمات مقتدرة ومتميزة عن اللغات الأجنبية، بترجمة الإنتاج الإبداعي في اليمن أو جزء منه إلى تلك اللغات. ولا نعرف سبباً لعزوف المترجمين عندنا عن هذا الأمر، أهو العجز، أم افتراضُ الخوف من فشل التجربة؟ فباستثناء ما قام به الدكتور شهاب غانم والدكتورة شيرين ياسين من جهد أسلفنا الإشارة إليه، لم يتصدَّ غيرُهما لعمل كهذا.

شوقي شفيق

من ورقة عمل قدمت في مهرجان صنعاء للقصة والرواية ٢٠٠٨م.

إذا وقصائد أخرى

أما الترجمة نفسها فليست حرفية بل هي اتصالية معنوية حافظ الشاعر المترجم في كل رباعية منها على مفصلها الأصلي وبؤرتها المركزية وفكرتها الواحدة الدقيقة والرسالة التي ترغب في إيصالها. هذا هو هدف كل رباعية في هذا الجنس الأدبي عند أهله الأول، وما

أكثر ما غاب عن عدد غفير من مترجمي الرباعيات العرب والأجانب.

د. يوسف بكار

جريدة الرأي، الأردن

(عن ترجمة شهاب غانم لبعض رباعيات الخيام)

يؤمن غانم أن أفضل ترجمة للشعر يؤديها الشعراء والقصائد الموجودة في (إذا) تدعم كلماته وتعطيها مصداقية إذ إنه لم يستوعب فقط روح القصائد في نصها الأصلي بل أيضاً قدم ترجمات صادقة تقف كنقطة إلى كتف مع القصائد الأصلية ويمكن الاستمتاع بها كاملة في حد ذاتها.. وما مكنه من إصابة هدفه سيطرته على كلتا اللغتين الإنكليزية والعربية مع حس نقدي رفيع وحساسية شعرية نادرة الوجود بين الشعراء والمترجمين في زمننا.

أحمد كفاقي

فقرة مترجمة عن مجلة بانوراما، الشارقة

إن فرادة الكتاب (إذا) هي أنه لا يعكس مجرد ترجمة أدبية ومهنية ولكن أيضاً إبداع المترجم وموهبته. والدكتور شهاب شاعر عربي معاصر معروف تصل سمعته إلى أقصى أجزاء العالم العربي.

محمد الأسعدي

فقرة مترجمة عن صحيفة يمن أوبزرفر، صنعاء

الدكتور شهاب غانم مدير عام مدينة محمد بن راشد للتقنية لم يسمح لاختصاصه العلمي وحياته المهنية أن تخنق عشقه للشعر والأدب فالدكتور غانم شخصية أدبية بارزة ليس فقط في الإمارات بل في المنطقة بأسرها.. فقد أصدر ١٨ كتاباً ومن خلال كتابه الجديد (إذا) يهدف د. غانم إلى تجسير الفجوة بين الحضارات وتأسيس حوار ثقافي مفتوح.

سناء معضاد

فقرة مترجمة عن صحيفة خليج تايمز، دبي

مع الحبارى والبجعات

وفي كتاب (مع الحبارى والبجعات) نلمس الذوق الرفيع لهذا الشاعر الترجمان، والترجمان الشاعر.

حكيم عنكر

(صحيفة الخليج الشارقة)

قصائد من كيرالا

إنني بالغ السعادة بتقديمي لهذه المجموعة الأولى من شعر لغة الماليلم مترجما إلى العربية. كلا عالمي الأدب العربي والماليلم سيكونان ممتنين للشاعر شهاب غانم وأصدقائه الذين شجعوه على القيام بهذه المهمة النبيلة. وآمل أيضا أن يحفز هذا الجهد جهودا أخرى كثيرة لتقريب هذين الأدبيين من بعضهما البعض. ومن ناحية يظهر أنه من الطبيعي أن يترجم شعر لغة الماليلم إلى العربية، لأن العلاقات بين كيرالا والعرب تمتد ألف سنة. ولم تكن تلك العلاقات تجارية محضة، فالعربية قد أغنت الماليلم بالمفردات من جرّاء هذه الاتصالات إلى الحد الذي أصبح لدينا لهجة من الماليلم تسمى "الماليلم العربية" التي تمزج كلمات وعبارات اللغتين في مزيج عذب ومخدر كما يستعمل بشكل خاص في أغاني المبلّاه في ملبار التي تضم أغاني الاعراس والأغاني المتعلقة بالتاريخ الإسلامي كمأساة كريلاء، وأيضا أغاني متعلقة بتاريخ كيرالا الذي يحوي أبطالاً عظاماً من المسلمين أمثال كنهائي ماركار الذي حارب الاحتلال الأجنبي..

البروفسور ك. ساتشيدانندان

في مقدمة الكتاب

لقد تعاون الشاعر شهاب غانم في هذا النشاط بشكل كبير في اختيار الشعراء والترجمة لبعض أهم شعراء الماليلالم إلى العربية لدرجة أن رئيس مجموعة الأدباء الماليلاريين أطلق عليه (سفير لغة الماليلالم في الإمارات)..

خالد البدور

(البيان دبي)

ربما تكون هذه المرة الأولى التي تحتضن المكتبة العربية فيها كتاباً يضم ترجمات لقصائد من ولاية كيرالا الهندية.

يحيى البطاط

مجلة دبي الثقافية

الدكتور شهاب غانم يكسر في كتابه (قصائد من كيرالا) هذه المآخذ لاهتمامه بمنابع الآداب المتنوعة.

محمود أبو حامد

البيان دبي

المهندس الشاعر الدكتور شهاب غانم يحب ترجمة القصائد من مختلف أنحاء العالم بما في ذلك الهند.. وهذا الشاعر الحائز على جائزة راشد للتفوق العلمي وجائزة العويس للبحوث غير راض عن التأثير الزائد للجوانب السلبية للحضارة الغربية المعاصرة على الجيل العربي الناشئ.

نازيم بيجوم

صحيفة البوست الإماراتية المسائية بالإنكليزية

قصائد من الهند

لنعترف بأن الشعر هو هذا النهر الذي يتحدث عنه طاغور والذي لم يختره شاعر ومبدع ومترجم قدير هو الدكتور شهاب غانم عن عبث، فما الترجمة في الشعر كما تتجلى لنا في كتاب (قصائد من الهند) عبر ترجمة أكثر من ثمانين قصيدة لثلاثين شاعراً وشاعرة إلا التعبير الحي عن علاقة لسان ما بمضمون فني مكتوب بلغة أخرى يتسع ليقع في حقل دلالي قريب إلى هذا اللسان بما يكفي ليحفزه على اجتراح فعل الترجمة بمثل هذا الدفء وهذه الاحتفالية الموسيقية.

سامح كعوش

صحيفة الخليج الشارقة

اختصار هائل بالكلمات، وإحياء بارع بالصور وتكثيف عال بالرؤية وبراعة بالنسج قل نظيرها.. لقد عرف الدكتور شهاب غانم كيف يختار ولمن يختار، فقدم بانوراما دقيقة وجميلة، تضحك وتسرع، تبكي وتؤلم، تتحسس الوجد وتفرح للصور الخلابة والانتقاء الجميل.

د. سلمان كاصد

عن كتاب قصائد من الهند، صحيفة الاتحاد أبوظبي

هذا الديوان الشعري إضمامة مهمة للاطلاع على الشعر الهندي بمختلف تجلياته الفكرية والإنسانية والحياتية والجمالية والذي كتبته أجيال شعرية مختلفة، لتكتشف شيئاً مهماً من النوع الشعري الذي يسود ساحة الأدب الهندي، كما يحسب للدكتور شهاب غانم الذي اختار وترجم هذه الباقية المتنوعة جهده البين في اختيار الأسماء المهمة التي تزخر بها خريطة الشعر الهندي الذي نكاد نجهله ونجهل أجياله المتعاقبة.

بيان الكتب ، ملحق صحيفة البيان دبي

كيف انتحر مايكوفسكي

هذه المجموعة هي ثالث المجموعات الشعرية الهندية التي يقوم بترجمتها الدكتور شهاب غانم. ونحن الهنود، وعلى وجه الخصوص شعب كيرالا، نعتبر الدكتور غانم سفيرنا الثقافي في العالم العربي. وقلمنا تجد مجلة أو جريدة مليبارية لم تنشر حوارات معه ومقالات عنه. كما أن لدى الدكتور غانم العديد من الأشعار المترجمة، وهو صاحب أول مجموعة شعرية لشاعر عربي ترجمت ونشرت بلغة المليالم، وقد قام ستشانداندان بترجمة عدد من قصائد تلك المجموعة.

شاه جهان مادمبات

في مقدمة الكتاب

ورحلة شهاب غانم مع الشعراء العالميين هي رحلة حرة، بمعنى أنها نوع من الحياة معهم في بعض لحظاتهم الإنسانية وبعض أشعارهم، دون التقيد بمنهج أكاديمي صارم يبدأ معهم من الميلاد حتى النهاية، ويحرص على تسجيل الأحداث التاريخية والأدبية تسجيلاً دقيقاً يمضي فيه معهم لحظة بلحظة، فهذا أمر لم يفكر فيه، ولم يخطط له، ولكن رحلته مع هؤلاء الشعراء العالميين الكبار هي نوع من الحياة في حدائقهم الجميلة، ينتقل فيها بحرية كاملة هنا وهناك، كلما أثار انتباهه زهرة جميلة، أو شجرة ظليلة، أو مقعد إنساني مريح، ولكن الشيء الوحيد الذي يحكمها هو نداء القلب وجاذبية الجمال في الفن والإنسان.

وشهاب غانم لديه اهتمام بالثقافة الهندية حيث يعتبره النقاد الهنود سفيراً للثقافة الهندية في العالم العربي وهو صاحب أول مجموعة شعرية لشاعر عربي ترجمت ونشرت بلغة المليالم، وقلمنا نجد مجلة أو جريدة مليبارية لم تنشر حوارات معه أو مقالات عنه وتوجت جهوده بحصوله مؤخراً على جائزة طاغور وهو أول شاعر عربي ينال هذه الجائزة القيمة..

خالد بيومي

من مقال بعنوان: "الخيانة الخلّاقة في الترجمات الشعرية لشهاب غانم"

أقمشة السماء

وقد ترجم هذه القصيدة (لجوته) الشاعر المهندس الصديق الوفي الدكتور شهاب محمد عبده غانم في ديوانه (أقمشة السماء) .. ويبدو الفرق واضحا بين ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي وترجمة الشاعر الرقيق شهاب محمد عبده غانم:

الشرق ملك الله

والغرب ملك الله

كذلك الشمال والجنوب

كلاهما إلى سلام كفّ يؤوب

الدكتور محمد علي البار

من كتاب : هل كان شاعر الألمان جوته مسلما

لكي ترسم صورة طائر

يميز ترجمات صديقنا وشاعرنا د. شهاب غانم أنه في الغالب يعمد إلى أمرين؛ أولهما ترجمة الشعر بالشعر، وذلك لأنه يمتلك ناصية هذه الصناعة؛ أي صناعة الشعر بقوة واقتدار، وثانيهما أنه يترجم روح النص وليس مفرداته القاموسية..

سيف محمد المري

في مقدمة الكتاب

حقق الشاعر والمترجم د. شهاب غانم صيتا كبيرا في مجال الترجمة من وإلى العربية في المشهد الإماراتي فهو أول من نقل الأدب الإماراتي إلى اللغات الأخرى وخصوصا إلى الإنجليزية، كما أنه نقل إلى العربية باقة مختارة من القصائد الشعرية العالمية ولم يكتف

بذلك، فعمد إلى توثيق العلاقة مع لغة المالالم، عندما نقل لنا كوكبة من شعرائها إلى اللغة العربية..

فكما أنه التفت إلى أهمية علاقتنا بالآخر في الغرب، فقد توجه شرقا ليعيد إحياء علاقتنا الإبداعية الوثيقة بالحضارة الشرقية، من خلال تقديمه نخبة من شعراء الهند، حتى أطلق عليه نقاد الهند "سفير الثقافة الهندية العربية" إضافة إلى أنه أول شاعر عربي تترجم أعماله إلى لغة المالالم.

نواف يونس

في المقدمة الثانية للكتاب

وفي باب الإبداع وبالرغم من وجود قصائد وقصص إبداعية ومترجمة إلا أن قصيدة (لكي ترسم صورة طائر) للشاعر الفرنسي الرائع جاك بريفر وترجمة الدكتور شهاب غانم تقف مزهوة بعبقريّة بساطتها ومفرداتها المنحوتة من أبيات الجمال الشعري التي تعلن قيامتها لمجرد قراءتها.

إنها قصيدة تستحق أن نصطحبها في كل صباحاتنا.

مجدي أبو زيد

صحيفة البيان دبي

وغني عن البيان أن المترجم الشاعر متمكن من اللغتين، محسنا التصرف، ومعانينا في النقل حينما يأخذ على عاتقه سكب المنقول نظما، محملا نفسه كما أظن أكثر مما تطبيق النفس، ولكن ما يغريه في النظم المنقول وإن كان ذلك في الكتاب قليلا - أنه شاعر مطبوع، ولا يرى نظم "مشاعر الآخرين" يستعصي على موهبته....

كتاب الدكتور شهاب غانم "لكي ترسم صورة طائر، وقصائد أخرى من الشرق والغرب"، الذي قدمته مجلة "دبي الثقافية" هدية إلى قرائها (الإصدار 35، لشهر مارس/ آذار 2010م) يعد إضافة مضيئة إلى الأدب العربي، ويؤكد في الوقت ذاته ثقافة المترجم،

وحسن اختياره، والدقة في النقل، وشاعرية في النثر الذي نقل إليه وفي الشعر أيضاً، وبعد ذلك، وقبله، ما تحلّى به من صبر وجلد.

فاضل السباعي

دمشق الشام 5/6/2010م.

ما توقفت عنده في تقديم مختصر للسيرة العلمية للرجل أردت به أن أدلل بأن الأدب لا يُدرس، أما فروعه في الجامعات فهي تُخرّج لنا مدرسين للأدب ولا تُخرج أدباء فهوّلاء نباتات شيطانية أو رحمانية تنفجر حتى في أشد الصحارى موتاً أو في مدن الثلج والصمت. ولذا فإن د. شهاب غانم وهو نبات رحمانيّ بالتأكيد له عدة دواوين موضوعة. وقد صدرت أعماله الشعرية الكاملة في مجلد عن المجمع الثقافي في (أبو ظبي) عام 2009م.

أما فيض القصائد التي ترجمها فهي تشمل مساحة واسعة من الأدب العالمي مع اهتمامه الملحوظ بأدب الشرق فله على سبيل المثال: قصائد من كيرالا (2005م) وقصائد من الهند (2008م) ومؤلفات أخرى.

عبد الرحمن الربيعي

ينكب الشاعر د. شهاب غانم على استمرارية مشروعه المتميز في ترجمة الأدب الإماراتي والعربي إلى اللغة الإنجليزية بإرادة قوية دافعها الوحيد همّ المبدع الحقيقي في إيصال إبداع غيره إلى القارئ في الضفة الأخرى.. إن مشروع د. شهاب غانم يثمن بالتقدير فهو يحاول أن يعرف القارئ باللغة الإنجليزية بشعرنا وأدبنا العربي والمهمة ليست سهلة على مبدع بمفرده.. في وسط غير ملائم لأننا أقل الأمم تقديراً لإبداعنا ومبدعينا، وعلينا أن نقرّ بذلك.

نواف يونس

صحيفة الخليج الشارقة

ومما يحمد للشاعر الدكتور شهاب غانم أنه بترجمته الناصعة معني ومبنى أثبت أن ترجمة الشعر ليست خيانة كما يقال أحياناً، وأنه أشار عرضاً إلى بعض الموضوعات التي تشغل الرأي العام العالمي في هذه المرحلة التاريخية الحرجة مثل آفات العولمة أو الأمركة ومنها الجرائم التي ارتكبتها الولايات المتحدة في سجن جوانتانامو في جزيرة كوبا وسجن أبوغريب في العراق والغزو الثقافي الذي تقوم به بعض الدوائر الغربية بدلاً من الحوار الحضاري الذي تتقدم به البشرية.

د. حسن فتح الباب

حلقة ثالثة مهمة جداً هي الترويج للثقافة الإماراتية في المشاركات الخارجية والبدائية بالطبع بوضع خطة لترجمة الكتب الثقافية والتاريخية والأدبية وهي بالعشرات لتضاف إلى الكتب القليلة التي تصدت لترجمة هذه الإبداعات وأبرزها جهود الصديق الدكتور شهاب غانم.

عادل خزام

صحيفة البيان دبي

في مجال الترجمة الشعرية شهاب غانم هو صاحب جهود كبيرة ومهمة في هذا المجال.

رنا رفعت

صحيفة الخليج الشارقة

وربما تجدر بي الإشارة ويكل تقدير إلى اهتمام الأديب الدكتور شهاب غانم بالترجمة وحرصه على متابعتها وهو الذي حمل على عاتقه أولوية الاهتمام بهذا العمل الحضاري في موضوعه الفكري الذي يشتغل عليه في الإمارات واتجه إلى الترجمة الإبداعية في مجال الشعر بشكل مخلص ومتخصص تقريباً.. وقد نجح شهاب غانم بذكاء المترجم

المتلمس لمكان قلمه والعارف لما قد يبحث عنه الآخر لدينا، في إيقاد شمعة تنير الدرب.

باسمة يونس

صحيفة الخليج - الشارقة

فشاعر مبدع ومترجم بارع وأكاديمي قدير مثل الدكتور شهاب غانم لا بد أن تأخذ الكتابة عنه حظها من الشمولية.. ومن هنا فإن الدكتور شهاب غانم يعتبر في عداد المبدعين في هذا النوع من الترجمة من العربية إليها وأعتقد أنه أول مواطن إماراتي يتصدى لمثل هذا العمل الأدبي الإبداعي.. وقد وفق الدكتور شهاب غانم في بعض ترجماته توفيقاً حسناً يدل على شاعريته الجزلة وتوفيقه هذا في رأيي تفوقه في تعبيره الشعري في أماكن متعددة على تعبيرات الشاعر المترجم عنه.

عبد الغفار حسين

صحيفة الخليج الشارقة

إنه ليس غريباً عن عالم الشعر، ولا عن أجواء الترجمة بل إن الشعر والترجمة كليهما يدخلان في صميم اهتماماته الثقافية والأدبية، أي إنه ضليعٌ في اللغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل إليها.. ومطلع على الثقافتين العربية والإنجليزية ومتفاعل مع النص الذي يترجمه، ولهذا نجده قدم لنا في اختياره للنصوص الإنكليزية وترجمتها العربية نصاً انسياقاً ومتمكناً يفي برواء الينبوع الأصلي للقصائد.

محمد عمر بحاح

صحيفة أخبار العرب، أبوظبي

الدكتور شهاب غانم مثقف إماراتي كبير ومبدع موهوب كشاعر عربي يتكئ على معرفة واسعة وعريقة لذات الشعر العربي قديمه وحديثه، وقد منحته معرفته وإتقانه للغة الإنجليزية فرصة للإطلاع على الشعر في لغات أخرى، الأمر الذي مكنه من ترجمة

روائع الشعر الأجنبي إلى اللغة العربية وأتحف المكتبة العربية بأسماء لشعراء من مختلف الجنسيات. لذا أنا أعدّه من أهم مترجمي الشعر في العالم العربي في وقتنا الحالي. فلأنه شاعر فهو يستطيع أن يتحسس المفردة وينتقي أجمل التعبيرات ويصوغ العبارات والأسطر الشعرية المتفردة بمهارة لافتة.

ناصر عراق

صحيفة البيان دبي

الترجمة عند د. غانم (عمل إبداعي) في الدرجة الأولى ويحركه في مثل هذه (الإبداعية) كونه شاعراً قبل وبعد كل شيء فهو بذلك يتبع بوصلته الجمالية في قراءة الشعر وترجمته محافظاً إلى أقصى ما يستطيع على روح القصيدة وذلك لما في ترجمة الشعر من صعوبة ودقة، وهو بالفعل عمل مرهق، ولكنه ممتع بالنسبة إلى شاعر يبحث عن ذلك التحليق الأبدى في ممالك الشعر.

يوسف أبو لوز

صحيفة الخليج الشارقة

ثالثاً: عن كتب شهاب غانم النثرية

شعراء من الإمارات

الدكتور شهاب غانم شاعر إماراتي كبير له العديد من الدواوين الشعرية التي جعلته يحتل مكانة متميزة على الساحة الشعرية في الإمارات و منطقة الخليج العربي ولكنه في كتابه (شعراء من الإمارات) الصادر عن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث يبتعد عن قصائده ودواوينه الخاصة ويذهب بنا في جولة بين أروقة الشعر في دولة الإمارات..

صحيفة الاتحاد أبوظبي

كلمات وفاء في رحيل الشعراء والأدباء

وليس الوفاء فقط ما يميز هذا الكتاب، بل إن له قيمة أدبية وتاريخية عظيمة، فالمؤلف يروي فيه معلومات نادرة عن هذه الشخصيات التي عرفها، ويكشف عن جوانب إنسانية ربما لا تكون معروفة للكثير. وتكتسب هذه المعلومات أهميتها من كونها تحكي عن علاقات الأدباء بعضهم ببعض، وما يربطهم من أواصر الصداقة والمودة. كما أن المؤلف كثيراً ما يستطرد في حديثه إلى حديث جانبي له صلة بالموضوع. فيحكي قصة أو يروي أبياتاً مما يغني المقال ويجعله أكثر تشويقاً ومتعة، خاصة أحاديثه عن والده الشاعر الكبير الدكتور محمد عبده غانم الذي كان السبب الذي مهد أمام المؤلف الطريق إلى كثير من تلك الصداقات الأدبية مع أولئك الشعراء والأدباء الأفاضل.

د. عبد الحكيم الزبيدي

في مقدمة الكتاب

في هذه الوثيقة الوثيقة من مشاعرها وحروف صدقها، يهرع الأديب الشاعر الدكتور شهاب غانم إلى جمع رسائله الأدبية وشهاداته ومرائيه التي عكف على إسداؤها إلى أرواح أحبته ومعارفه من شعراء وكتاب وأدباء العالم الذين تربطه بهم نبضات قلب ودماء قلم.. منذ افتتاح صالة المغادرين لأولهم، وحتى آخر فرسان الترحل عن صهوة الكتابة.. على مدى

عقدين زمنيين ممثلين فقداً وحزناً وحسن كتابة.. لا رياء فيهما، ولا نكران جميل أو صداقة..

عبدالله محمد السبب

في تقديم الكتاب

بين قصيدتين

هذا كتاب للتطواف الرشيق مع التقابلات الشعرية والمستويات الدلالية التي يمكن أن يستمتع بها القارئ المعاصر على قاعدة الكلام السهل الممتنع والتلقائية التعبيرية التي كثيرا ما ميزت مقاربات الدكتور شهاب

د. عمر عبد العزيز

في مقدمة الكتاب

من قناديل الحكمة

هذا الكتاب أي (من قناديل الحكمة) رغم تنوع موضوعاته يتبع منهجاً من التأمل والبحث ممتعاً ومفيداً.

عمر شبانه

صحيفة الاتحاد أبوظبي

من شعراء الأغنية اليمنية

ليس لأنه ابن لشاعر اعتبر أول خريج جامعي في الخليج والجزيرة العربية، وليس لكونه من أسرة ارتبطت بعالم الأدب والإبداع وجعلت الشعر والقصائد المغناة عناوين فنّها، ولكن هو الشاعر الذي أسبغ على قصائده نكهة خاصة خرجت عن جلاباب أبيه الدكتور محمد عبده غانم وهو المؤلف الذي جعل من البحث الدؤوب هاجسه حتى أصبحت مؤلفاته تتجاوز طموحه فيما كتب وبما نشر عشرات المؤلفات والكتب في الشعر والأدب

والترجمة وآخرها كتاب (من شعراء الأغنية اليمنية) الذي قدم له الكاتب السعودي أحمد المهندس بكلمة كشف فيها عن أهمية ما كتبه ويكتبه الدكتور شهاب غانم.

جميل محسن

صحيفة البيان دبي

تقديم كتاب أحد المبدعين من السلالة الغانمية الذي رغم تفوقه التقني في الهندسة تفوق أيضاً وبرز في الجانب الشعري والأدبي وتجاوز بإنتاجه عطاء أسرته الإبداعي كمّاً وكيفاً.

أحمد المهندس

من تقديم الكتاب

صورة مدينتين

إن من يطلع على الكتاب الموسوم بـ (صورة مدينتين عدن وصنعاء في شعر محمد عبده غانم) للدكتور شهاب محمد عبده غانم سيتولد عنده، ولا جدال، انطباع بأنه أمام مائدة حافلة بأطباق شهية إذ لم يكن بالأمر الهين اختزال مكونات الكتاب في ١٨٨ صفحة شملت ما لذ وطاب من العناوين والتتويجات.. توزع جهد الدكتور شهاب في اتجاهين: نقدي وتوثيقي.

نجيب محمد يابلي

(صحيفة الأيام عدن)

وتطرق كذلك دكتور نزار غانم إلى تجربة غانمية جميلة صادرة عن الدكتور شهاب غانم أحد علائم شجرة الدكتور محمد عبده غانم حينما أرّخ عن طريق الفضاءات الشعرية لتجربة قصة مدينتين تشكلان رثتي اليمن.. عبر السلم البياني الشعري وتمكن قدرة د. شهاب غانم الإبداعية..

عبدالله الضراسي

صحيفة ١٤ أكتوبر - عدن

ينتقل المؤلف من ديوان إلى آخر وبحس شاعري رفيع يشير إلى هذا البيت أو ذاك ويوجه الأنظار إلى جمال الصورة هنا وحسن السبك هناك ليتضح أمام ناظرينا هذا الحب العظيم الذي أخذ بشغاف قلب والده الشاعر د. محمد عبده غانم لهاتين المدينتين.. وها أنذا أجد نفسي محاصراً بين شاعرين كبيرين أما الأول فهو د. محمد عبده غانم وأما الآخر فولده د. شهاب غانم ولا أدري هل أمتدح الأول على جميل شعره ورقيق كلماته؟ أم أمتدح الثاني على حسن صنيعه وجمال أسلوبه في كتابة مقالاته؟..

كمال محمود علي اليماني

صحيفة ١٤ أكتوبر - عدن

صورة مدينتين، عدن وصنعاء في شعر محمد عبده غانم، تأليف ابن الوفاء الدكتور شهاب محمد عبده غانم.. والذي يحدثنا بجمالية الراوي والشاهد التاريخي.

محمد حسين بيحاني

صحيفة ١٤ أكتوبر عدن

ذلك كله جعل المؤلف يرى أن هذا الكتاب: (ليس السيرة التي كنت أفكر في تأليفها في البداية ولكنه لا يخلو من لمحات من سيرة والدي رحمه الله)، ولعل في بعض هذا الكلام شيئاً من التواضع لأن الكتاب حقاً وفعلًا قد استطاع أن يعرض فصولاً شتى مهمة ومميزة في حياة خالد الذكر محمد غانم. والكتاب بشكل عام يقدم أنموذجاً نادراً لعلاقة فريدة بين الابن ووالده الشاعر تكاد تشبه - إلى حد ما ما عرف في التراث العربي بـ(الراوي) ... كما أن الكتاب يظهر كمّ الجهد الذي بذله المؤلف وعاناه خلال رحلته التي جمع فيها مادة الملاحق والمراجع والتي تعتبر بحق بيبليوغرافيا متنوعة... لذا فمن المؤكد إن شاء الله أن

يعاد التوقف عند هذا الكتاب الممتع موضوعاً وأسلوباً في زمن قريب.

عبد الكريم المقالح

الكتاب أي (صورة مدينتين) يستحق إدراجه في الدراسات الجامعية إذ إنه يحتوي على مراجع هامة لم تنشر بعد عن الأستاذ الراحل وما ألفه وما كتب عنه وأسماء من كتبوا أو نظموا شعراً عنه وهو تحية شاعر قدير لوالد جدير.

فاروق لقمان

صحيفة ٢٦ سبتمبر - صنعاء

وليس برنامج حوار وخلص وهي الحلقة التي لقيت صدى وردود فعل على أهمية الوقوف أمام آثار القامة محمد عبده غانم بالإضافة إلى التطوافة الفنية والثقافية لتجربتي العالمين د. شهاب غانم ود. نزار غانم الابداعيتين والمختلفتين اللتين عكستا فضاءات أدبية زاخرة خاصة د. شهاب غانم.

عبدالله الضراسي

صحيفة ١٤ أكتوبر في ١٢/١٠/٢٠٠٨م.

الدكتور شهاب غانم واحد من المثقفين الكبار فهو موسوعة فنية ومعرفية جادت قريحته بعشرات الدواوين الشعرية وله ترجمات عديدة من الإنجليزية إلى العربية وله دراسات وأبحاث ومقالات منشورة في صحف ومجلات عربية مختلفة.

عبدالغني القرشي

صحيفة الجمهورية صنعاء

صفحات من أدب اليمن المعاصر

لقد نجح الدكتور شهاب في هذا الكتاب لا في إنصاف المبدعين والتعريف بنتائجهم فحسب وإنما في إلقاء أضواء جديدة وغير معروفة للقارئ عن حياتهم وبيئتهم لاسيما في وقفته مع رائد النهضة الفكرية الأستاذ محمد علي لقمان وكتابته للشعر والبحث عن

قصائده المجهولة وعلاقته الوثيقة بالشاعر والكاتب المسرحي المعروف علي أحمد باكثير، فضلاً عن وقفاته مع الثلاثي الشعري المهم المتمثل في الشعراء الدكتور محمد عبده غانم، والأستاذين علي محمد لقمان، ولطفي جعفر أمان، فقد عاش معهم طفولته وجزءاً من شبابه وأفاد منهم، ومن لطفي خاصة فقد تلقى على يده دروس اللغة العربية

د عبد العزيز المقالح

في مقدمة الكتاب

والدكتور شهاب في كتابه هذا ينصف الأساتذة الكبار الذين أطلقوا اليمن من عقال العزلة وأعادوه إلى مكانته الرائدة، وهو البيت الكبير الذي انطلقت منه الأسرة العربية لتملأ الدنيا فكراً وإبداعاً، والمفارقة أن أبرز هؤلاء المؤسسين لنهضة اليمن من الذين اهتم بهم شهاب هم: أبوه الشاعر الدكتور محمد عبده غانم، وجده لأمه الأستاذ محمد علي لقمان، وخاله علي محمد لقمان، فضلاً عن الأديب اليمني المصري الكبير علي أحمد باكثير، وهو الذي حظي بالشهرة لأنه اختار العيش في مصر وهو حضرمي أصلاً ونشأة، إندونيسي الولادة، مصري الجنسية والشهرة يرى شهاب أن باكثير سبق نازك الملائكة والسياب إلى كتابة الشعر الحر بنحو عقد من الزمن، كما يشير شهاب إلى معاناة باكثير في أواخر حياته من محاصرة سياسية بسبب موقفه العروبي الإسلامي....

ولا بد من القول إن كتاب شهاب لا يمكن تلخيصه، فهو سلسلة مقالات يجمعها الكتاب مثلما يجمعها موضوع اليمن والأدب، ولئن تساءل أحد عن سر غياب البردوني عن هذه الصفحات، فبوسعه أن يعلم أن شهاباً ألف كتاباً خاصاً عن هذا الشاعر اليمني الكبير، وقد صدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وقد أحببت أن أشير إلى كتاب (صفحات من أدب اليمن المعاصر) تحية للصديق شهاب، وثناء على هذا الجهد الوفي، وإعجاباً بمهندس وعالم كبير يحرص على الجمع بين العلم والأدب

د. رياض نعيان آغا

مجلة المرأة اليوم - أبوظبي

قصائد مهداة إلى الشاعر

قصائد تهنئة بجائزة طاغور

شهاب في حدائق طاغور

شعر: د. حسن الأمrani

شهاب تجلى في حدائق طاغور
منيفا كما التوباد في سبحاته
له في إمارات الهوى نبض عاشق
فقل أي صرّحي ريشتيه ممرّد
أضاء سناه بالإمارات مشرقاً
ويغلبه طبع الحياء فلا ترى
ولكن نجم الشعر يعلو ضياؤه
تطوف عذارى الكنج حول خبائه
توقع سيتا خطوها في ضراعة
وتعصر جيتا ضوء كرم مقدس
ومن حكمة الهند القديمة فوحت
إذا ما دنا (جنّي القطاف) تضوّعت
فيا (صاحب البستان) يا املاً جرارنا
دنانك ما أولى بها غير عاشق
وللشعر محرابٌ بهي عنث له
إذا نقلت منه الأنامل باقة
وإن أرتجت أبواب قول تفتحت
أليس بذكر الله فاضت قلوبنا
وكم قائل: كم طوقتك يد النوى
ولو شاء ربّي لم أهاجر، ولم أقل:

ندياً، بهيّا، مثل سحر المزامير
مشعاً كقطر، أو كشهقة زرزور
ومن أرض بلقيس مصابيح تدير
يجلّ بأن يبليه وقع الأعاصير؟
وغرب حتى قد أحاط بمعمور
له غير وجه بالسماحة مغمور
فيكشف من لألائه كلّ مستور
مولّهة بالشعر، والسحر، والنور
وتتشر في الأرجاء سرب عفافير
كراهبة حنّت إلى صقعة الطور
أزاهير منه طوّقت بأزاهير
بأنفاس طيب فاعم غير محظور
بما اعتصرت كفاك من كرمك الثوري
يناجي بقلبي دائم الحزن مكسور
أناشيد هيغو، وابتهاال شكسبير
من السحر شق الضوء قلب الدياجير
مغاليقه ب (الفتح) و (الملك) (الطور)
طمأنينة، مزهوة بتباشير
ولم يدر ما تجري بهن مقاديري
لقد صار قلبي معبدا غير معمور

إلى (عندليب الهند) أفضت لحونه
تغار دمي الأولمب من عرصاته
وأوفيد لما شد قيثاره الهوى
وقام حكيم الهند يعصر خمرة
إلهي! نور بالحجي صدر أمتي
أطلّ على الأيام طاغور قائلاً:
كذلك أجراس القوافي إذا كست
فإن رمت ضوء الشمس من كفه فقل:

فأضحى لديها القلب أسعد مأسور
وتؤنس نجواه عرائس من حور
ترنحت الأوتار سكرى بتقدير
عناقيد شدو ملهم الوقع أسطوري:
ليشفى به من غيّه كل مصدور
ألا ليتني بالضاد حبرت تعبير
مقال حكيم نال إعجاز تصوير
شهاب تجلى في حائق طاغور

الشارقة: 28 صفر 1434هـ / 10 يناير 2013م.

إشارات:

- 1 - (جني الثمار) و(البستاني) من أعمال طاغور الشعرية.
- 2 - عندليب الهند: لقب أطلقه غاندي على الشاعرة ساروجيني نايدو. والعندليب في لغة الهند مؤنث، والورد مذكر.
- 3 - ذكر حسين أحمد شوقي أن طاغور عندما التقى بوالده أحمد شوقي غبطه على أن نظم شعره بالعربية، وتمنى لو استطاع ذلك، ليقراه هذا الجمهور العريض الناطق بالضاد.

طاغور بين يدي شهاب

شعر: د. عبد الحكيم الزبيدي

اصدح بشعرك يا شهابُ وابلغ به ثبجَ السحابِ
فالיום شعرك قد غدا ملء الصحارى والهضابِ
وبلغت فيه مكانةً تعنو لها كل الرقابِ
(سامي) يغرّد من قصيدك بالأناشيد العذابِ
ومضى (أسامة) قبله يشدو بشعرك في انسيابِ
قد جئت فيه بالدراري والفرائد والعُجابِ
وفتحت باباً للتشاقف والتعارفِ أي بابِ
بالترجمات وقد أتت من فيك كالشهد المذابِ
أضحى بها شعر الهنودِ إلى العروبة قدر قابِ
(ستشيدنندن) شعره بك قد غدا مثل الحُبابِ
صلوات (كملا) حلقت بالمتقين إلى الرحابِ
والإنجليز وشعرهم (أليوت) والأرض اليبابِ
وزهدت في شعر القشور ورحت تبحث عن لبابِ
للسّلم تشدو والمحبة للحياة وللشبابِ
كم من قصيدٍ قلته في عشقٍ (ليلي) و(الربابِ)
هيّجت فيه مشاعراً فينا توارت بالحجابِ
وشرحت من صدّ الحبيب وما تكابد من مصابِ
وغزلت فيه الحبلَ للمحبوبِ فاستعفى وآبِ
فظفرت منه بزورةٍ فيها عبيت من الرّضابِ
ولثمت ثغراً باسماءٍ وهصرت كفاً ذا خضابِ
واليوم من بعد المشيب أرى الفؤاد سلى وثابِ
واستغفر الرحمنَ من عبثِ الشبابِ ومنه تابِ
ومضى يرتل في محاريب التصوف والقبابِ
ويسبّح المولى تبارك في الذهابِ وفي الإيابِ
يدعو بتكفير الذنوبِ عسى دعاءك مستجابِ

أبَا (وئام) تقبَّلَن مني قصيداً ما يُعَابُ
قد صغته من خافقي ومزاجه دمعي المذابُ
فرحاً بما قد نلته وبما بلغت من الثوابُ
ما نلته بتطلعٍ كلا ولم تحسب حسابُ
قد نلته بالجد كم قد ذقت قبل الشهد صابُ
ولقيت من صرف النوائب كل ذي ظفرٍ ونابُ
ومضيت في درب الحياة مذللاً كل الصعابُ
ورحلت في طلب العلوم لريف عاصمة الضبابُ
حتى استويت على الهدى ووضعت رجلك في الركابُ
فأتى إليك مهرولاً يجري لمنزلك العُبابُ
يسعى به (طاغور) نحوك بالمودّة والرّغابُ
ما كرموك وإنما بك كُرمت لغّة (الكتابُ)
دافعت عنها كيد من شحذوا لها سُمّ الحِرَابُ
قومٌ أرادوا وأدّها قد ذلّ مسعاهم وخابُ
أنكرتهم وفضحتهم فغدت أمانيتهم سرابُ
ردّ المهيمُن مكرهم كيد الأعادي في تبابُ
فأهنأ بمجدك إنه مجدّ لنا نحن الصّحابُ
تاهت به مدن (الإمارات) الحبيبة والشعابُ
سرّ في طريقك ماضياً الحق نهجك لا تهابُ
أبقاك ربي دائماً في أفقنا مثل الشّهابُ
متمتعاً في صحّة تكسو جبينك والإهابُ
وأطال عمرك في ثقي ووقاك في الأخرى العذابُ
وأثابك الفردوس في نُزُلٍ به الحورُ الكعابُ
ذاك الخلود فريناً قدّر لنا حُسن المآبُ

العين: في 2 يناير 2013م.

إشارات:

1. سامي: المطرب العالمي سامي يوسف.
2. أسامة: المنشد الإماراتي أسامة الصافي.
3. ساتشيدندن: شاعر هندي مشهور ترجم الدكتور شهاب ديوانه إلى العربية.
4. كملا ثريا: شاعرة هندية مشهورة كانت هندوسية ثم أسلمت، ترجم الدكتور شهاب ديوانها (يا الله) إلى العربية.
5. إليوت: شاعر إنجليزي مشهور.

شهاب الغنائم

شعر: د. أكرم جميل قُنْبِس*

شِهَابُ لَكَ الْعِلْيَاءُ وَالْمَجْدُ وَالْحُبُّ
وَيَرْقِصُ مِنْ بُشْرَى أَغَارِيدِكَ الْقَلْبُ
أَيَا مَنْ غَرَسْتَ الْحَرْفَ لِلنَّاسِ رَايَةً
قُطُوفُ أَمَانِيهَا يُكَلِّلُهَا الْخِصْبُ
وَصَلَّتْ عُيُونُ الشَّرْقِ بِالْغَرْبِ عَاشِقًا
فَغَرَّدَ فِي نَجْوَى قِصَائِدِنَا الْغَرْبُ
وَصَارَتْ بَنَاتُ الشَّعْرِ يَرْفُلْنَ بِالْمُنَى
فَمَيِّدَاتُهَا. يَا صَاحِبِي . صَدْرُكَ الرَّحْبُ
تُعْنِي عِذَارِي الضَّادِ بِاسْمِكَ صَادِحًا
فَشِعْرُكَ فِي أَنْفَاسِهَا سَائِعٌ عَذْبُ
فَتَجْلُو لَهَا الْأَمَالَ مِثْلَ عِرَائِسٍ
تَهَيَّأْنَ فِي حُسْنٍ يُدْغِدُهُ الْحُبُّ
أَيَا مَنْ بِهِ الْآدَابُ صَارَتْ غَنِيَّةً
وَعَنَّتْ بِكَ الْآفَاقُ، وَابْتَهَجَ الرُّكْبُ
فَهْذِي وَفُودُ الشَّعْرِ جَاءَتْ شَدِيدَةً
بِجُودِ شِهَابٍ فِيهِ قَدْ أَثْمَرَتْ كُنُوبُ
حَمَلَتْ لَوَاءَ الْمَجْدِ لِلشَّعْرِ بَاذِلًا
لَهُ عُمَرُكَ الْوَضَاءَ فَاَنْكَفَا الصَّعْبُ
وَهَنْدَسَتْ أَشْكَالَ الْقَصِيدِ بِحِكْمَةٍ
لِيَهْجُرَهَا مِنْ ضَيْقِ مَيِّدَانِهَا الْكَرْبُ

* شاعر سوري، يعمل في دولة الإمارات.

تَغْنَتُ بِكَ الْآفَاقُ " بِالْهِنْدِ " تَارَةً
وَفِي مُنْتَدَى "بَارِيسَ" غَاذِلَكَ الْهُدْبُ
وَفَوْقَ جِبَاهِ الشَّعْرِ أَصْبَحْتَ تَاجَهَا
لِتَفْخَرَ فِي سُلْطَانِ أَشْعَارِكَ الْعُرْبُ
فَمَا أَجْمَلَ الْأَشْعَارَ تُرْجِي سَحَائِباً
مَنْ الْخِصْبِ يَجْثُو تَحْتَ أَقْدَامِهِ الْجَدْبُ
إِذَا كُنْتَ فِي " طَاغُورَ " صِرْتَ مُكْرَماً
وَنَالَكَ مِنْ تَكْرِيمِهِ بَعْضَ مَا يَصْبُو
فَمَا كُنْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِلَّا شِهَابَنَا
تَعَطَّرَ فِي دُنْيَا الْعُلُومِ بِكَ الشَّعْبُ
وَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ يَشْرَفُ الْعُلَا
وَتَأْنَسُ فِي أَسْفَارِ عَلَيَائِهِمْ شُهْبُ
هَنِيئاً لَكَ الْأَمْجَادُ يَا ابْنَ رَحِيقِهَا
وَدَامَ مَدَى الْأَيَّامِ تَغْرِيدُكَ الْعَدْبُ

الشارقة: الأربعاء 16 / 1 / 2013م.

أشهابُ ... يا أبهى رسول

شعر: كمال محمود علي اليمني*

أشهابُ ...

نجمك قد علا

متلألئاً بين النجوم

وغدوت بين كواكب

جذلان ...

تسبح في الفضاء

تحوطك العلياء كالأم الرؤوم

أبداً تحوم

وحولك النجمات تسعى

والكواكب في مدارات .. تحوم

طاغور جاء مهنئاً

طاغور مدّ يداً إليك

وقال خذ ... باسم السلام

وتطيرت لما مددت يد المحبة

في الدنى

بالحب أسراب الحمام

وإذا الإمارات الحبيبة

أشرقَتْ وجنائها

وتراقصت فخرأ

فهذا ابن الكرام

وهناك في عدن الجميلة

شعشت ..

أنوار أقيار

تبادلِكَ التهاني ... والأمانى

* شاعر يماني.

والأغاني ...
والغرام
ماذا أقول
وكيف لي قول ... وقد
من فرجة
دمعات عيني ترجمت أحلى الكلام
أشهابُ عذراً
أنت أكبر من ركابة ما أقول
بل أنت نجم خالد فينا
منير
ليس يعرف ما الأفول
قد كنت لليمن السعيدة
للإمارات الحبيبة
للعروبة
شاعراً .. و مترجماً
أبهى رسول
طاغور أهلاً
ألف أهلاً
يا سلامات الوصول

قصائد متنوعة

ما أقرب اليوم من غد

شعر: حمد خليفة بو شهاب - الإمارات

(مهداة لشهاب غانم تحية لقصيدته "من أوراق الغربة")

نأى بك عنا يا أخا الود مطلبُ
إلى مثله تسعى العقول وتدأبُ
ويسهر طرف العين لأياً لأجله
ومن أجله يحلو السهاد ويعذبُ
هو العلم فانهل من معين فراته
فليس كمثل العلم للمرء مشربُ
ففي نيلهِ سيما الجلال ورفعةُ
تقاصر عنها في السماوات كوكبُ
فصبراً شهابَ الدين صبراً على النوى
فإن طريق العلم للمجد مركب
وما المرء في دنيا الورى دون علمه
سوى طيف وسمان يجيء ويذهبُ
شكوت النوى للشعر فانساب جدول
من البيئات الغر وانهل صيبُ
فحوّل شؤبوب البيان لظى الجوى
ربيعاً به الآمال تحيا وتعشبُ
فحلقت في أجوائه متألقاً
وكنت به قبل النوى تتوثبُ
فزد في النوى يزدد بك الشعر رقة
تلامس أوتار القلوب فتطربُ

أبا غانم ما أقرب اليوم من غد
وأنت لقلبي يا أبا الود أقرب

البيان، دبي 17/11/1986م.

يا رافعاً شأن القصيد

شعر: محمد صالح القرقي- الإمارات

أهدي إليك من القريض حصادي	يا رافعاً شأن القصيدة عاليا
عن نابغ من عقله الوقاد	هذي الأناشيد التي ترجمتها
جادت بفيض بلاغة ورشاد	فيها تجلت للعقول رسالة
أنت الخبير بفطنة وسداد	إني لأرجو أن تتال رضاكم
أنت الجدير بصحبة ووداد	يا مبدع الأشعار دمت موفقا

هو الحب

شعر: سلطان خليفة- الإمارات

تحية لديوان "هو الحب" لشهاب غانم
هو الحب غرد بين المروج
ندي المشاعر حلو النشيد
ترنم لحناً رخيم الغناء
مشوقاً تباهى بأحلى القصيد
خمائله يانعات الرؤى
وفيه الجديد وفيه التليد

غنيّ التجارب عذب اللسان
به من خفايا الجوى ما نريد
تصفحته فاستعدت الحنين
أزال عن النفس غما شديد
وحلقت في شاطئيه بروحي
فخامرها منه لحن مشيد
أعاد لقلبي ذكرى الهوى
وصحصح فيه شعور فريد
"هو الحب" فاصدح به ما أردت
هنيئاً لشدوك هذا الجديد

شهاب قبس

من قصيدة للشاعر: عارف الشيخ - الإمارات

مهداة لشهاب غانم بمناسبة فوز قصيدته "المذبحة قبل الأخيرة" بالجائزة الشعرية الأولى في المسابقة التي
نظمتها الدائرة الثقافية بالشارقة عام 1983:

مهرجان الفن أطرب مسمعاً	ملّهُ صمت كصمت الأخرس
إننا اليوم وفودٌ جُلّسْ	قد هرعنا لشهاب قبس
بلبل الألحان أمسى غرِداً	فاسقه كأساً عسى أن نحتسي

صحيفة الخليج - الشارقة

يا شاعري

من قصيدة للشاعر: أحمد صالح الصالح "مسافر" - السعودية

يا شاعري
من أين بوحك جاء لي
ذكراك طابت

مثلما طاب القصيد لديك عرفا..

عادت به الذكرى

ألست لهذه الذكرى حديثاً طيباً

وأخاً له صفتِ القلوبُ

فرق بين الناس إلفاً

شكراً شهاب الخير

يا من أوركنت كلماته عذب الكلام

كأنه العسل المصفى.

صحيفة الخليج - الشارقة

ياغانم الشعر

شعر: عباس مهدي خزام- السعودية

ياغانم الشعر أنت الشعر والأدبُ

وأنت نبع من الإيمان منسكبُ

لبست تاج العلا تاج المفاخر من

آل الرسول وفخرٌ ذلك النسبُ

سطعت نورا بأفاق الثقافة في

دبي وشعرك تتلو بعضه الشهبُ

تاه القريض بكم زهواً وكنت له

نبعاً ومن فيضه يستلهم العربُ

"لقد أفقنا" أتاني بالبريد وقد

رأيت قيساً تزهر به الكتبُ

إني تخطيت ستيناً فما وهنت

قريحتي أبداً أو عاقها نصبُ

إعجابنا هو شعر بعضه درر
وبعض آخره يا غانم الذهبُ
حتى يكون كباقيات أُقَدِّمُها
لشخصكم حيث أنت المنهل العذبُ

تحية إلى شهاب غانم
شعر: حسيب كيالي- سوريا

يا شهاب أحسنت نخب الهديةُ
وتفضلت يا أُخَيَّ عليَّ
"بين شط وآخر" رحت أسري
بشراع مجدافه أُغْنِيَّ
بل هو الحلم كله والأمانى
هادرات حيناً وحيناً هنية
أنا منذ الإهداء, وهو وفاء
يأسر القلب, مرهف أُذْنِيَّ
واهب مهجتي لطبع سخي
تقفته يدُ صِناع سخيهِ
ليس بدعا هذا الترهدن في ال
نسج وهذي الغلائل العبقريَّةُ
ليس بدعا هذ الشفوف وكان الأب
من كان روحه يمينيَّةُ
كلنا يستظل بالوارف العذ
ب وكل يلقي الثمار الجنيَّةُ

دوحة أنبتت فروعا كراماً
مغدقات نعى هبات سرية
لك مني تحية شاعرا فذا
رقيقا وما أقل التحية

عبق تَضَوّع والخميل "شهاب"

شعر: جاك صبري شماس- سوريا

عبق تَضَوّع والخميل "شهاب"
وترش خد قصائدي الأطيابُ
أثقلتني بالنعميات وإنها
درر تضيء وكوثر وسحابُ
يا سيدي لا تعذليّ لو جفا
نغم القريض وملني التطرابُ

جسدي تمزق في مضارب يَعْزِبُ
والنخل يدمي بلُحّه الأحزابُ
ومشت سموم في الحدود فأغلقت
وجرى فُويقَ حدودنا الأغرابُ
وتضرّج التاريخ حين تخطه
ناب الأفاعي ثعلبٌ وذئابُ
يا نخل فاشهد قد وهبتك مهجتي
أخشى إذا طعن العذوق جِرابُ

لم تَرَوْ عن مقلّي جذورك إنني
خبز لجذرك في الهوى وشرابُ
قبّلت قرآن الهدى ويسير بي
"طه" الرسول وأهلُه وصحابُ
آخيت "فاطمة" و "مريم" في دمي
وتُظِلُّ دوحَ عروبتِي الأهدابُ
فالقُدس تأسرها بقايا قلة
والجامع الاقصى طوته نيابُ
ولئن تمادى في التماذي مارق
ف"صلاح" آت "طارق" وحسابُ

الحسكة, سوريا 1996م.

الزهو للعلم

من قصيدة للشاعر: د. حمزة حمزة أبو النصر- مصر

يا فارساً جنحت فوق السحاب به
خيل عراب ملا صوت الهدى فاهها
"صهياها" مفرد تاه القصيد به
تزهو به الضاد إذ تزهو بأحلاها
"ترتيلها" قد سرى في الأفق شاردة
قد سبحت وانتثت تعنو لمولاهها
يزكو بك العلم إذ يغدو وحامله

في مدرج الحق أواباً وأواها

قيس من شهاب

شعر: رعد أمان- اليمن

أعجزتني المطالع .. والقوافي السَّواجعُ
كلما قمتُ أرتجي .. وصفهُ وهو طالعُ
فيضيقُ المجالُ بي .. وهو بالشعر واسعُ
وكأنني وقد بدا .. في مدى الصمت قابعُ !
حائرٌ, لستُ دارياً .. ما أنا فيه صانعُ ؟!
ذلك السامقُ الذي .. به يسمو التواضعُ
شاعرٌ ينشرُ السَّنا .. وسَنا (الشُّهبِ) لامعُ !

طوبى لنجمك يا شهاب

شعر: د. محمد عبده غانم- اليمن

طوبى لنجمك يا شهاب لما انجلى عنه السحابُ
لما أطلَّ بنوره في بحثك الضخم العبابُ
وافيته بالسعي تكشف ما استبد به الحجابُ
وجلوته شأن العروس زها بجلوتها النقابُ
وغدوت تسأل والسؤال إذا زكا فهو الجوابُ
وجعلت تصلح في القصيدة ما أشاع بها الخرابُ
شعر "الخرابيطة" الذي جمحت لنزوته الذئابُ
وأريتنا كيف استقاد لطالبي العلم الطلابُ
بل كيف يهدي العاملين له فما خاروا وخابوا

كم ليلة دأبوا على درب النهى حتى أصابوا
لولا تزملمها بذف البحث في الأشواق لآبوا
ليل الشموع لصحبه أهدى إذا نطق الصواب
كم حول سفرك سوف يسعى الباحثون إذا استرابوا
فهو الدليل على السبيل إذا تآمرت العقاب
وطغى ظلام الجهل حتى غاص في اللجج الركاب
الله أكبر يا شهاب فلست آخر من أنابوا
فلقد أجبت نداء داعي الحق والدنيا ضباب
وأفضت في الأشعار تنهى ما نهى عنه الكتاب
وجمعت بين الدين والدنيا بلحن لا يعاب
قد طوفت فيه الفنون ونافس العود الرباب
فاهناً بنجحك إنه الفوز العظيم المستجاب

الملاحق

السيرة الذاتية للدكتور شهاب غانم

* حصل على البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من جامعة أبردين باسكوتلندا عام 1963م ثم البكالوريوس في الهندسة الكهربائية. حصل بعد ذلك على شهادة في الإدارة الصناعية من لندن وشهادة في إدارة القوى العاملة من برمنجهام ببريطانيا. ثم نال دبلوم ما بعد التخرج في هندسة تطوير موارد المياه من جامعة روركي في الهند عام 1970م وعلى الماجستير من الدرجة الأولى في تطوير موارد المياه عام 1975م. وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد (التصنيع وتطوير القوى العاملة) من جامعة كارديف في ويلز ببريطانيا عام 1989م. ويحمل درجة زميل بمعهد الادارة البريطاني ومهندس مجاز (شارترد) من بريطانيا منذ 1971م وزميل بمعهد المهندسين الميكانيكيين بلندن وعدد من الجمعيات العلمية الأخرى.

* عمل مهندساً بشركة جي اي سي ببريطانيا، ونائباً لوكيل وزارة الأشغال والمواصلات بعدن ورئيساً لمهندسي شركة إترنوسبلايز بلبنان ومديراً لمصنع الإنترنت بدبي، ومديراً للدائرة الهندسية في مؤسسة الموانئ والجمارك والمنطقة الحرة بجبل علي، دبي، ثم مستشاراً للرئيس التنفيذي ومديراً لدائرة البحوث والتطوير فيها، ثم مديراً عاماً لمدينة محمد بن راشد للتقنية، ثم مديراً عاماً لإنديستك للاستشارات.

* عضو شرفي في اللجنة الاستشارية لمعهد السيرة الأمريكي وعضو شرفي في اللجنة الاستشارية لمركز السيرة العالمي بكامبردج، بريطانيا. وسابقاً عضو لجنتين استشاريتين لكلية التقنية العليا بدبي في مجالي الهندسة الميكانيكية والإدارة، وعضو سابق في مجلس إدارة النادي العلمي بدبي.

* محرر مجلة كلية عدن 1958-1960م ورئيس تحرير مجلة عالم الهندسة في الإمارات 1996-1999م، وكان عضواً مؤسساً لمجلة المنتدى الثقافية بدبي، وهو عضو اتحاد كتاب وأدباء الإمارات وكان عضو اللجنة الاستشارية لمجلة الاتحاد شؤون

أدبية. وهو عضو لجنة المكتبة بندوق الثقافة والعلوم ومسؤول النشر فيها. وعضو اللجنة الاستشارية لمجلة المشكاة ومستشار لموقع كلية عدن الإلكتروني ومستشار مهرجان القلب الشعري.

* حصل على عدة جوائز في مجالات الشعر والمقالة والدراسة والبحث والترجمة وكرم من قبل عدة جهات و ترجم شعره إلى 9 لغات. ومن أهم الجوائز والتكريمات:

- جائزة طاغور للسلام عام 2012م وهي جائزة عالمية تمنح لشخص واحد فقط مرة كل عامين وهو أول عربي يحصل عليها.

- تكريم مؤسسة الجالا بدبي عام 2013م.

- جائزة شخصية العام الثقافية ضمن جائزة العويس للإبداع عام 2013م.

- جائزة جمعية الشعر العالمية عبر القارات للثقافة والإنسانية (شيناى/ الهند) 2013م.

- تكريم من اثينية الشيخ عبدالمقصود خوجة في جدة، 2013م.

- جائزة العويس للإبداع عام 2012م وكان أول من يحصل عليها في مجال الترجمة.

- جائزة معرض الشارقة لأفضل كتاب مترجم مرتين عامي 2003 و 2007م وسلمها له صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي.

- جائزة راشد للتفوق العلمي عام 1989م وسلمها له المغفور له الشيخ مكتوم بن راشد رحمه الله.

- جائزة العويس للبحث العلمي 1998م وسلمها له المغفور له سلطان العويس رحمه الله.

- جائزة نادي أبها للديوان الشعري في السعودية التي قدمها سمو الأمير خالد الفيصل.

- الجائزة الأولى للشعر في الإمارات عام 1984م من الدائرة الثقافية في الشارقة.
 - قلادة الشعر من الدرجة الأولى من بيت الشعر اليمني وسميت الدورة 2010-2011م بإسم دورة شهاب غانم.
 - قلادة السلام عام 2012م من منظمة سوجي جاكاي اليابانية التي تضم 12 مليون عضوا.
 - _ كان أول عربي يكرم في أكاديمية الآداب في كيرالا بالهند وذلك عام 2011م.
- كما نال عدد من الجوائز الأخرى للمقالة العربية وللمقالة الإنكليزية وعدد كبير من التكريمات من قبل وزراء الثقافة في تونس والسودان ومن مؤسسة هائل سعيد في اليمن ومن منتدى عبدالله باسراويل في مكة ومن اتحادات الكتاب ومختلف المؤسسات الثقافية والجامعات في بلدان مختلفة.

أدرج اسمه في أكثر من عشرة من المراجع العالمية للأعلام منها:

Who's Who in the World, published by Marquis in USA, 2000

Who's Who in Science and Engineering, published by by Marquis in USA, 2002/2003

Who's Who in Finance and Industry, published by Marquis in USA.

International Who's Who of Intellectuals published by IBC in Cambridge UK, vol 5

International Authors and Writers Who's Who, IBC, UK, 10th

edition, 1986

Dictionary of International Biography, IBC, UK, 1984

• غنى وأنشد قصائده عددًا من المغنيين والمنشدين منهم الفنان العالمي سامي يوسف والمنشد الإماراتي المعروف أسامة الصافي والفنانون اليمنيون أحمد بن أحمد قاسم وفرسان خليفة وأبو بكر فارح والدكتور نزار غانم وغيرهم.
* شارك في أكثر من 150 مؤتمرًا هندسيًا واقتصاديًا علميًا وأدبيًا وفكريًا وثقافيًا وزار أكثر من خمسين دولة.

* من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة ويقيم في دبي. متزوج وله بنت وولدان وأحفاد.

مؤلفات د. شهاب غانم

دواوين شعرية:

- 1_ "بين شط وآخر"، مؤسسة البيان التجارية، دبي 1982م.
- 2_ "توبيعات على الأوتار الخمسة" (مجموعة مشتركة)، مؤسسة البيان التجارية، دبي 1982م.
- 3_ "بصمات على الرمال"، وزارة الإعلام والثقافة، أبو ظبي 1983م.
- 4_ "شواظ في العتمة"، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، جدة 1986م.
- 5_ "صهيل وترتيل"، مؤسسة البيان التجارية، دبي 1987م.
- 6_ "هو الحب"، مؤسسة البيان التجارية، دبي 1991م.
- 7_ "قبضا على الجمر"، مؤسسة البيان التجارية، دبي 1993م.
- 8_ "الزمن السريالي"، خدمات إكسبريس للطباعة ذ.م.م.، دبي 1999م.
- 9_ "لقد أفقنا"، خدمات إكسبريس للطباعة ذ.م.م.، دبي 2005م.
- 10_ "شموع في ليالي الخريف"، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والعيكان، الرياض 2009م.
- 11_ ديوان شهاب غانم (الأعمال الشعرية الكاملة)، المجمع الثقافي، أبوظبي 2009م.
- 12_ مائة قصيدة وقصيدة (مختارات شعرية)، كتاب دبي الثقافية، دبي 2011م.
- 13_ الدروب الخضر، كتاب مجلة الرافد، الشارقة 2011م.
- 14_ معاني الهوى عندي، الياسمين، الشارقة 2013م.
- 15_ انعتاق، كتاب الرافد، الشارقة 2014م.

شعر مترجم:

- 1_ "ظلال الحب" قصائد لشهاب غانم ترجمها الشاعر نفسه إلى الإنكليزية، مطبعة ديرة، دبي 1995م.
- 2_ "أصداف ولآلي" (قصائد لشعراء من الإمارات مترجمة إلى الإنكليزية)، مطبعة ديرة، دبي 1996م.
- 3_ "من أرض سبأ" (قصائد لشعراء يمنيين مترجمة إلى الإنكليزية)، مطبعة ديرة، دبي 1999م.
- 4_ "قصائد من القرن العشرين من فلسطين" (مترجمة إلى الإنكليزية)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 2001م.
- 5_ "إذا وقصائد أخرى" (ترجمات عربية لمختارات من الشعر الإنكليزي)، دبي 2002م.
- 6_ "لآلي وتمرات" (قصائد من الإمارات مترجمة إلى الإنكليزية والسلوفاكية)، المجمع الثقافي 2003م.
- 7_ "السوننة 18 وقصائد أخرى" _ (ترجمات عربية لمختارات من الشعر الإنكليزي) _ الصدى، دبي 2003م.
- 8_ "مع الحبارى والبجعات" (ترجمات إنجليزية لقصائد شاعرات من الإمارات وترجمات إلى العربية لقصائد شاعرات بريطانيات وأمريكيات)، إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة 2005م.
- 9_ "قصائد من كيرالا" (قصائد مترجمة إلى العربية)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 2005م.
- 10_ "أقمشة السماء" (قصائد من الشعر العالمي مترجمة إلى العربية)، الصدى، دبي 2006م.
- 11_ "قصائد من الإمارات" (مترجمة إلى الإنكليزية)، وزارة الإعلام والثقافة، أبو ظبي 2006م.
- 12_ "قهوة وتمر" (كتابات إماراتية مترجمة إلى الإنكليزية)، إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة 2007م.
- 13_ "قصائد من الهند" (قصائد مترجمة إلى العربية من 12 لغة هندية)، أبوظبي للثقافة والتراث، 2008م.
- 14_ قصائد من شعراء جائزة نوبل، كتاب دبي الثقافية، دار الصدى، دبي 2009م.

- 15_ كيف انتحر مايكوفسكي، قصائد من ساتشيدانندان، كلمة-أبوظبي للثقافة والتراث، 2009م.
 - 16_ قصائد من الجزيرة العربية (مترجمة إلى الإنكليزية والسلوفاكية-بالاشتراك مع بيتر جولدش)، أبوظبي للثقافة والتراث، 2010م.
 - 17_ لكي ترسم صورة طائر (قصائد من الشرق والغرب مترجمة إلى العربية)، كتاب دبي الثقافية، دار الصدى، 2010م.
 - 18_ رنين الثريا أو مجموعة "يا الله" لكمل ثريا عن ترجمة إنكليزية لكليم أحمد، كلمة-أبوظبي للثقافة والتراث، 2011م.
 - 19_ "هذا العالم مجرد مسرح"، (قصائد من الشرق والغرب مترجمة إلى العربية)، كتاب دبي الثقافية، دار الصدى، 2012م.
 - 20_ قصائد من الهند إلى الإمارات لجيتا شهابرا، موتيفيت، دبي 2012م.
 - 21_ "في وادي عبق"، قصائد لشهاب غانم ترجمها الشاعر نفسه إلى الإنكليزية، وزارة الثقافة أبوظبي، 2013م.
 - 22_ "من أجل السلام"، (ديوان للياباني دايساكو إيكيدا)، كلمة-أبوظبي للثقافة والتراث، 2014م.
 - 23_ "مطر الليل"، (قصائد من الشرق والغرب مترجمة إلى العربية)، كتاب دبي الثقافية، دار الصدى، 2014م.
- كتب نثرية:

- 1_ "الصناعة في دولة الامارات العربية المتحدة" Industrialization in the United Arab Emirates (باللغة الإنكليزية)، كتب سلسلة إيفيري، لندن 1992.
- 2_ "المعجزة الأبدية ومقالات أخرى" The Eternal Miracle (باللغة الإنكليزية)، مطبعة ديرة، دبي 1999م
- 3_ "ديوان الأنامل الجافة" للدكتور محمد عبده غانم (جمع وإعداد) مكتبة عبادي، صنعاء، 1999م
- 4_ "دراسات في الشعر واللغة" للدكتور محمد عبده غانم (جمع وإعداد) ندوة الثقافة والعلوم، دبي 1999م
- 5_ "علي محمد لقمان ومختارات من شعره"، خدمات إكسبريس للطباعة ذ.م.م.، دبي ، 2002م.
- 6_ "وقفات مع دواوين معاصرة"، ندوة الثقافة والعلوم، دبي 2003
- 7_ "الشاعر اليمني عبد الله البردوني - حياته ومختارات من شعره" - إتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة 2003م
- 8_ "بين قصيدتين" ، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة 2004م
- 9_ "من شعر الأغاني اليمنية" ، مكتبة الجيل، السعودية 2006م
- 10_ صورة مدينتين - عدن وصنعاء في شعر د. محمد عبده غانم ، مؤسسة البيان التجارية، دبي 2008م.
- 11_ شعراء من الإمارات - مع عشرة من الشعراء الراحلين، المجمع الثقافي بأبوظبي، 2008م
- 12_ من قناديل الحكمة ، دار الصدى ، دبي 2008م
- 13_ في واحة الأدب، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، أبوظبي 2008م
- 14_ المسرحيات الكاملة للشاعر د. محمد عبده غانم، جمع وإعداد وتقديم شهاب غانم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2009م
- 15_ صفحات من الأدب المعاصر في اليمن، مطابع المتنوعة، تعز 2011م
- 16_ كلمات وفاء في رحيل الشعراء والأدباء، إتحاد كتاب وأدباء الإمارات ، الشارقة 2012م
- 17_ أوراق أدبية وثقافية، ندوة الثقافة والعلوم، دبي (تحت الطبع).

مراجع تناولت شعره

الكتب:

- اتحاد كتاب وأدباء الإمارات: قصائد من الإمارات، 1986م.
- أحمد محمد عبيد: الشعر الإماراتي المعاصر: مقدمات ودراسات، دار الفجر، 2001م.
- باربارا ميشالاك بيكلسكا: الأدب الحديث في الإمارات العربية المتحدة، مطبعة جاجيلونيان الجامعية، كراكاو، بولندا، 2012 (باللغة الإنكليزية)
- بلال البدور: موسوعة شعراء الإمارات، الجزء الأول - الشعر العامودي، دبي، 2013م
- حسن فتح الباب: المقاومة والبطولة في الشعر العربي، كتاب الرياض، العدد (57/56) - أغسطس - سبتمبر 1998م.
- سالم الزمر: سفر الحب، منشورات البيت، الجزائر، 2007م.
- عبد الحكيم الزبيدي: التناص في الشعر المعاصر في الإمارات، مركز سلطان بن زايد للثقافة والتراث، أبوظبي، 2011م.
- عبد الغفار حسين: أنغام من الوجدان، مختارات شعرية، دبي، 2012م.
- عبد الله بن أحمد الشباط: أدباء وأدبيات من الخليج العربي، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، الخبر، 1420هـ/1999م.
- عدنان حسين قاسم: في دائرة النص الأدبي : قراءة في أدبنا المعاصر في دولة الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة العين، أبو ظبي، 1991م.
- مجموعة من الشعراء: لتتوحد مع الشعر، رواق عوشة بنت حسين الثقافي، دبي، 1996م.
- محمد المشايخ: البوسنة في الشعر العربي المعاصر (دراسة ومختارات)، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2010م.

- **محمد علي البار:** بوشكين شاعر روسيا والقرآن الكريم، دار كنوز المعرفة، جدة، 2010م.
- **محمد علي البار:** هل كان شاعر الألمان جوته مسلماً؟، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، 2007م.
- **محمد مصطفى هدارة:** تطور الحركة الأدبية في الخليج، محاضرات الموسم الثقافي الثالث ندوة الثقافة والعلوم دبي، 1990م
- **موزة عبيد غباش:** ليالي الرواق، رواق عوشة بنت حسين الثقافي، دبي، 1997م.
- **مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري:** مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، الكويت، 2001م.
- **مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري:** مختارات من الشعر العربي الحديث في الخليج والجزيرة العربية، الجزء الخامس، الكويت، 1996م.
- **مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري:** معجم البابطين – المجلد الرابع، الكويت، 1995
- **ناصر النعيمي:** الأثر الجميل، النادي الوطني للثقافة والفنون، عجمان، 1993م.
- **نزار أباطة:** الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة: ١٩٢٠-١٩٩٠م، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع 1997م.
- **نصر محمد عباس:** الإبداع الشعري من المنظور النفسي (واقع الشعر الإسلامي)، دراسة نقدية تحليلية، دبي، 1998م.
- **وفاء أحمد راشد العنتلي:** الوطن في الشعر الإماراتي المعاصر، أكاديمية الشعر، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2012م.
- **يوسف حطيني:** الشعر الإماراتي: قراءات في الموضوع والفن، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة. (سهيل وترتيل).

- **يوسف نوفل:** شعراء دولة الامارات العربية المتحدة : دراسة و ببلليوجرافيا، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، 1994م.

الدوريات:

- **شهاب غانم:** رحلتي في عالم الشعر، مجلة دمون، بيت الشعر، صنعاء، ربيع 2012م.
- **عدنان حسين قاسم:** التصوير الفني في الشعر الإماراتي المعاصر - مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الإمارات - مج 11، ع 1 (اكتوبر 1995م) - ص ص 164 - 2004م.
- **عدنان حسين قاسم:** شهادة أولى في قصائد من الإمارات - مجلة شؤون أدبية، الشارقة، السنة الأولى، العدد 2، 1987م.

أطروحات أكاديمية:

- **حصّة أحمد حسن الدقي :** الرؤية الإسلامية في شعر الإمارات المعاصر (بحث تخرج)، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1988م.
- **حصّة عبدالله مرخان الإجتبي:** القصيدة المغتربة في الشعر الإماراتي المعاصر (أطروحة ماجستير)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، 2013م. (وقد طبعته ندوة الثقافة والعلوم في كتاب بنفس العنوان، دبي، 2014م)
- **عبد الوهاب سي:** تطور الشعر العربي في الإمارات العربية المتحدة مع تركيز خاص على شهاب غانم ودواوينه، (أطروحة دكتوراه تحت الإعداد - الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، الهند).

صور مختارة





8- جائزة الشعر العالمية بشناني في الهند وعلى يمينه
المغني العالمي ياسوداس



7- ميدالية سوكا جاكاي اليابانية للسلام



10- ضيف الشرف والمتحدث الرئيس في حفل تخرج
جامعي في الهند



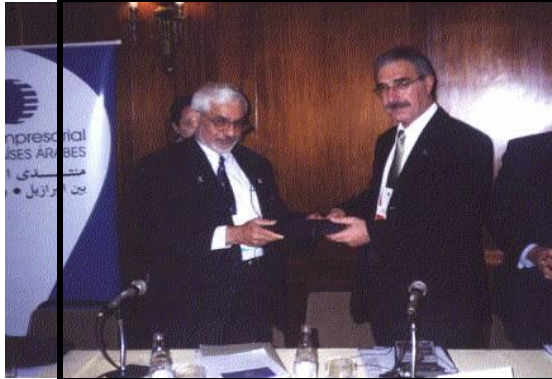
9- جائزة الجالا الهندية يقدمها وزير هندي



1- تكريم في منتدى السعيد الثقافي في اليمن



11- تكريم في أكاديمية الآداب بأكبر
الصورة صديقه الشاعر د. عبد الحكيم الزبيدي



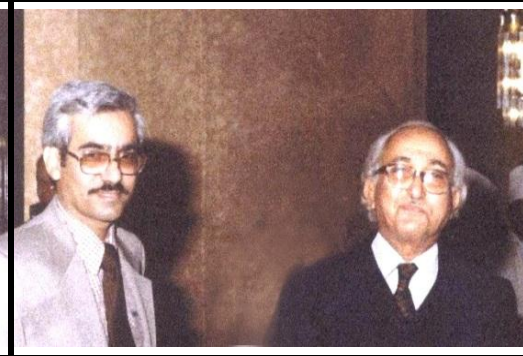
14- تكريم من الوزير البرازيلي في ريو دي جانيرو



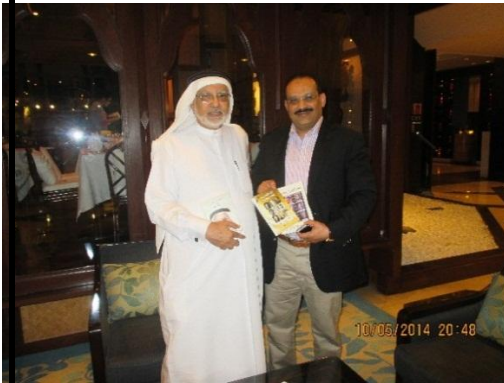
13- تكريم من وزير الثقافة في تونس



16- تكريم الشيخ عبد المقصود خوجة في جدة



15- مع والده الشاعر الدكتور محمد عبده غانم رحمه الله



18- مع الشاعر الدبلوماسي اليمني د عبد الولي الشميري



17- مع الفنان العالمي سامي يوسف

الفهرس

7	تقديم
9	مقدمة
9	د. عبد الحكيم الزبيدي
13	تجربة شهاب غانم الشعرية
14	التصوير الفني في شعر شهاب غانم
14	د. عدنان حسين قاسم
24	يلعب باللغة كطفل: قراءة في نص (بخوخ)
24	سامح كعوش
28	فينومينولوجية التشكيل التخيلي بين التفسير والتأويل في نص شهاب غانم
28	د. نبيل قصاب باشي
37	سيمياء الحواس وجدلية الصمت والكلام في شعر شهاب غانم
37	الدكتوة شادية شقروش
47	في تجربة شهاب غانم الشعرية:
47	إيقاع الوطن.. إيقاع الحياة
47	د. يوسف حطيني
57	مفهوم الشعر عند شهاب غانم
57	د. حسن الأمراني
63	التنصص في شعر شهاب غانم
63	د. عبد الحكيم الزبيدي
78	ثنائية الشعر والحياة في ديوان "مئة قصيدة وقصيدة"
78	حمزة قناوي
88	ما وراء الاختيار في ديوان "مائة قصيدة وقصيدة"
88	د. عبد القادر علي باعيسى
99	الدفع في ديوان "مائة قصيدة وقصيدة"
99	ميشيلين حبيب
102	تأملات في ديوان "بين شط وآخر"
102	عبد الوهاب قتاية

108	المرأة في ديوان "بين شط وآخر"
108	عبد المنعم عواد يوسف
114	العفوية في ديوان "بين شط وآخر"
114	حسيب كيالي
117	العذوبة والسلاسة في ديوان "بين شط وآخر"
117	وائل الجشي
123	قراءة في ديوان "بين شط وآخر"
123	إيهاب الخضرجي
132	وقفه مع ديوان "بين شط وآخر"
132	مدرك عدنان قصير
136	تجربة الحب في ديوان "بصمات على الرمال"
136	د. سعيد دعيبس
147	بصمات على الرمال ... شعر لا يباع
147	مدرك عدنان قصير
150	دراسة تحليلية في ديوان "بصمات على الرمال"
150	إبراهيم سغفان
155	قراءة في ديوان "شواظ في العتمة"
155	د. حسن فتح الباب
159	العمق والتطور الفني في "شواظ في العتمة"
159	أنور ثابت
168	قراءه في ديوان "سهيل وترتيل"
168	عبد المنعم عواد يوسف
175	وقفه مع ديوان "هو الحب": شهاب غانم .. شاعر المواقف الشعرية
175	عبد الله السيد شرف
180	إطلالة على ديوان "هو الحب"
180	يس قطب الفيل
191	خمسون قصيدة حب
191	عبدالله بن أحمد الشبَّاط
196	في ديوان "هو الحب" بوح رقيق يرشف رحيق الجمال
196	جالك صبري شماس
201	"قبضاً على الجمر": حقائق لا أباطيل
201	د. غازي مختار طليمات

205	قبضاً على الجمر وفصل في مسرح اللامعقول
205	د. حسن فتح الباب
213	الروح المقاتلة في ديوان "قبضاً على الجمر"
213	فضل النقيب
217	الفطرة البيضاء في ديوان "قبضاً على الجمر"
217	مصطفى أحمد النجار
221	الحداثة في ديوان "الزمن السريالي"
221	جالك صبري شماس
224	اللوحة الصراعية في ديوان "الزمن السريالي"
224	حواس محمد
228	درامية الشعاع.. جمر من الرؤيا.. صراع البنية والأنا والآخر..
228	الأعماق الصاعدة حتى انطفاء الجمر في القصيدة
228	في مجموعة (شموع في ليالي الخريف)
228	غالية خوجة
232	ديوان "انعقاد"
232	قصيدة استثنائية فرادتها في كلاسيكية الشكل وروحانية المضمون
232	سامح كعوش
239	قراءة في ديوان (انعقاد)
239	د. عبد الحكيم الزبيدي
250	الأعمال الشعرية الكاملة لشهاب غانم: امتزاج الشعر بالعلم والترجمة
250	الدكتور سلمان كاصد
255	قراءة في الأعمال الكاملة للدكتور شهاب غانم .. الشعر بجناحي التاريخ والفلسفة
255	حمزة قناوي
262	الإمارات في شعر شهاب غانم
262	د. عبد الحكيم الزبيدي
276	مقدمات الدواوين
277	مقدمة ديوان "مئة قصيدة وقصيدة"
277	سيف المري
278	مقدمة ديوان "بين شط وآخر"
278	أحمد بن محمد الشامي
284	تقديم ديوان "بصمات على الرمال"
284	عبد المنعم عواد يوسف

289	إضاءة لديوان "شواظ في العتمة".....
289	د. عبد العزيز المقالح.....
293	كلمات التكريم في الإثنية.....
294	كلمة سعادة الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجة.....
297	كلمة الأستاذ الدكتور محمد علي البار.....
300	كلمة الدكتور يوسف العارف.....
305	شهادات عن شهاب غانم.....
306	أولاً: عن الشعر.....
334	ثانياً: عن ترجمات شهاب غانم للشعر.....
346	ثالثاً: عن كتب شهاب غانم النثرية.....
353	قصائد مهداة إلى الشاعر.....
354	قصائد تهنئة بجائزة طاغور.....
354	شهاب في حدائق طاغور.....
354	شعر: د. حسن الأمrani.....
356	طاغور بين يدي شهاب.....
356	شعر: د. عبد الحكيم الزبيدي.....
359	شهاب الغنائم.....
359	شعر: د. أكرم جميل فنبس.....
361	أشهابُ ... يا أبهى رسول.....
361	شعر: كمال محمود علي اليماني.....
363	ما أقرب اليوم من غد.....
363	شعر: حمد خليفة بو شهاب - الإمارات.....
364	يا رافعاً شأن القصيد.....
364	شعر: محمد صالح القرق- الإمارات.....
364	هو الحب.....
364	شعر: سلطان خليفة- الإمارات.....
365	شهاب قبس.....
365	من قصيدة للشاعر: عارف الشيخ - الإمارات.....
365	يا شاعري.....
365	من قصيدة للشاعر: أحمد صالح الصالح "مسافر" - السعودية.....
366	يا غانم الشعر.....
366	شعر: عباس مهدي خزام- السعودية.....

367	تحية إلى شهاب غانم
367	شعر: حسيب كيالي- سوريا
368	عبق تَضَوُّع والخميل "شهاب"
368	شعر: جاك صبري شماس- سوريا
369	الزهو للعلم
369	من قصيدة للشاعر: د. حمزة حمزة أبو النصر- مصر
370	قبس من شهاب
370	شعر: رعد أمان- اليمن
370	طوبى لنجمك يا شهاب
370	شعر: د. محمد عبده غانم- اليمن
372	الملاحق
373	السيرة الذاتية للدكتور شهاب غانم
377	مؤلفات د. شهاب غانم
377	دواوين شعرية:
377	شعر مترجم:
378	كتب نثرية:
379	مراجع تناولت شعره
379	الكتب:
381	الدوريات:
381	أطروحات أكاديمية:
388	الفهرس



(سلسلة إصدارات الإبداع)

- 1- **عناقيد في الأدب والفن**. تأليف: عبدالرحمن طيب بعكر الحضرمي 1996م، ط. ثانية/1997م.
- 2- **درر النحور: ديوان القاسم بن علي بن هتيمل**، دراسة وتحقيق الدكتور: عبدالولي الشميري (ثلاثة مجلدات) 1997م.
- 3- **ديوان الأنموذج الفائق للنظم الرائق**. شعر: عبدالرحمن الأنسي، تحقيق: عبدالرحمن طيب بعكر 1998م.
- 4- **مرآة قلب**. شعر: عبدالقادر بعكر 1999م.
- 5- **قبل الرحيل**. شعر: يوسف العظم (أردني) 2000م.
- 6- **خلجات قلب**. شعر: عبدالله الضحوي 2000م.
- 7- **عصارة الأيام**. شعر: عبدالرحمن الشريف 2000م.
- 8- **الأبعاد السياسية والاجتماعية في الأمثال اليمنية**. تأليف: سعيد أحمد الجناحي 2000م.
- 9- **أمسية شعرية** - منتدى المثقف العربي - القاهرة (1) 2001م.
- 10- **القوافي القلقة**. شعر: الحارث بن الفضل الشميري 2001م.
- 11- **شعب المرجان**. شعر: حسن عبدالله الشرفي 2001م.
- 12- **مواجهة بين الأصالة والحداثة في الشعر العربي** - منتدى المثقف العربي - القاهرة (2) 2001م.
- 13- **سدود اليمن**. تأليف: المؤرخ، القاضي/ إسماعيل بن علي الأكوع 2001م.
- 14- **العربية لسان البيان والقرآن** - منتدى المثقف العربي - القاهرة (3) 2001م.
- 15- **فرسان الشعر: مناظرة بين الشاعرين: مفضل اسماعيل غالب من اليمن، محمد الزعبي من لبنان** - منتدى المثقف العربي - القاهرة (4) 2001م، ط. ثانية/ 2003م.
- 16- **الكتابة بقاء**. شعر ونثر: سليمان العيسى (سوري) - منتدى المثقف العربي - القاهرة (5) 2002م.
- 17- **سجادة الخضر**. شعر: عبدالرحمن طيب بعكر - منتدى المثقف العربي - القاهرة (6) 2002م.
- 18- **من أوراق الأحرار**. مقالات سياسية وثقافية: د. عبدالولي الشميري - منتدى المثقف العربي - القاهرة (7) 2002م.
- 19- **ألحان ضمير**. شعر: محمد حسين علي 2003م.
- 20- **أوتار**. شعر: د. عبدالولي الشميري - منتدى المثقف العربي - القاهرة (8) 2003م، ط2/2003م، ط3/2007م، ط4/2010م.
- 21- **مناظرة شعرية (2) بين الشاعرين د. رضا رجب من سوريا، ابراهيم صديقي من الجزائر** - منتدى المثقف العربي - القاهرة (9) 2003م.

- 22- مابين الدبلوماسية والإعلام في عصر العولمة: د. خالد الكومي (مصري) - منتدى المثقف العربي - القاهرة (10) 2003م.
- 23- حنين من الشعر العربي: د. عبدالولي الشميري - منتدى المثقف العربي - القاهرة (11) [صنعاء عاصمة للثقافة العربية] 2004م، ط. ثالثة/ 2007م.
- 24- شاعر وقصيدة. شعراء من اليمن. إعداد: عبدالسلام عثمان - منتدى المثقف العربي - القاهرة (12) 2005م.
- 25- أغاريد وأناشيد. شعر: إبراهيم أبوطالب - منتدى المثقف العربي - القاهرة (13) 2005م.
- 26- قيثار. شعر: د. عبدالولي الشميري - منتدى المثقف العربي - القاهرة 2007م.
- 27- ربيع وأعاصير. شعر: عبدالقادر طيب بعكر 2008م.
- 28- نغم. شعر: محمد حسين علي، [تريم عاصمة للثقافة الإسلامية] 1431هـ/ 2010م.
- 29- هواجس غريب. شعر: محمد عبدالغني عبدالرحيم 2008م.
- 30- ملتقى الإبداع الشعري الأول. إعداد: مجموعة من الأدباء - مارس 2014م.
- 31- شهاب غانم في بستان طاغور. إعداد: د. عبدالحكيم الزبيدي 2014م (هذا الكتاب).
